الخلاصة الزكية

في

شرح الأربعين النووية

اعداد

الْدُكْتُور مُحَمَّد أَحْمَد عَبْد الغَنيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ للهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بُعِثَ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الذِينَ فَاقُوا فِي الْفَصَاحَةِ قُسًّا وَسَحْبَانَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فلا يخفى أن مَتْنُ الأَرْبَعِين النَّوَوِيَّةِ لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى من جوامع كلمه ﷺ ، وهو خزانة للأحكام الشرعية، وكنز لقواعد الإسلام، ونبراس للفقه الإسلامي وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه أو هو نصف الإسلام، أو ثلثه.

فهو من المتون المهمة التي ينبغي أن يبدأ بها طالب العلم حفظاً لأحاديثها ووعياً لما تضمنته هذه الأحاديث من بديع الفوائد وغرر الفرائد .

ولأهَمِّيَّةِ العلمِ والتعليمِ سَاهَمْتُ بجُهْدِ المقِلِّ، إذْ قُمْتُ بشرحِ (الأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ) في حلقات علميَّةٍ، وقد رأيت أن أُخرجَ هذا الشرحِ في كتابٍ؛ ليكونَ أحفظَ للعلمِ وأَدْعَى إلى نَشْرِهِ وتيسيرِ الحصولِ عليهِ، وليسهل الإلمام بأهم مقاصد كل حديث من الأحاديث، بحيث يستفيد منه الطالب أتم فائدة وأيسر طريقة وسَمَّيْتُهُ: **(الخُلاصَةُ الزكيَّةُ في شَرْحِ الأربعين النووية)**.

أَسْأَلُ اللَّهَ أنْ يَنْفَعَ بهذا العلمِ، وأنْ يَجْعَلَهُ خالصاً لوجْهِهِ الكريمِ، وأنْ يجْعَلَهُ من العملِ الذي لا يَنْقطِعُ، وصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ.

الفقيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ

الشيخ د. محمد احمد عبد الغني

الحديثُ الأوَّلُ

عَنْ أَمِيرِ المُؤمِنينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوُله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا، أَو امْرأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" (1).

تَرْجَمَةُ الصَّحابِيّ رَاوِي الحَديثِ:

" **عَنْ أَمِيرِ المُؤمِنينَ** " لَقَبٌ يُلَقَّبُ بِهِ الخليفةُ الذي يَتَوَلَّى إِمْرَةَ المؤمنينَ، ويُقالُ: هِرَقْلُ لِمَلِكِ الرُّومِ. وكِسْرَى لِمَلِكِ الفُرْسِ. وفِرْعَوْنُ لِمَلِكِ مِصْرَ.والنَّجَاشِيُّ لِمَلِكِ الحبشةِ. وتُبَّعٌ لِمَلِكِ اليمنِ.

وأول من أطلق علية لقب أمير المؤمنين هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تولّى الخلافة بتعين أبي بكر الصديق له .

"**أَبِي حَفْصٍ** " كُنْيَةُ عُمَر بن الخطَّابِ رَضيَ اللهُ تَعالى عنْهُ.

وسمي بها عمر نسبة الى ابنته حفصة زوجة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، واشارة الى كُنْيَة الأسَد بسبب اشتهاره بالقوة والشجاعة الصبر.

وَلَقَبُهُ: الفاروقُ لِفُرْقَانِهِ بينَ الحقِّ والباطلِ بإِسْلاَمِهِ؛ إِذْ أَمْرُ المسلِمينَ كانَ قبْلَهُ على غايةِ الخَفَاءِ، وبعدَهُ على غايةِ الظُّهُورِ ، كما أنّ النبيّ ﷺ كان يدعو قبل إسلامه: **(اللَّهمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذينِ الرَّجُلَيْنِ إليكَ بأبي جَهْلٍ أو بعُمرَ بنِ الخطَّابِ فكان أحبُّهما إلى اللهِ عمرَ بنَ الخطابِ)** (2).

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ في "صحيحه" (1 / 6) برقم: (1) ومُسلِم في "صحيحه" (6 / 48) برقم: (1907) .

(2) أَخْرَجَهُ الترمذي (3681)، وأحمد (5696) واللفظ له.

أَسْلَمَ بعدَ أربعينَ رَجُلاً وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً سَنَةَ ستٍّ منَ النُّبُوَّةِ. وبإسلامه أظهر الله به الدين في مكّة، ففرّق بين الحقّ والباطل، ومن الجدير بالذكر أنّ الرسول ﷺ قال: **(إنَّ اللَّهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ)** (1).

وَبُويِعَ لَهُ بالخلاَفةِ يومَ موتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَاتَ شَهِيدًا في المدينَةِ سنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ منَ الهِجْرَةِ، وهُوَ ابنُ ثلاثٍ وستِّينَ على الصَّحِيحِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قال ابن رجبٍ:" وَهَذَا الْحَدِيثُ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ الدِّينُ عَلَيْهَا، فَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ ثُلُثُ الْعِلْمِ، وَيَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ.

وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ: أُصُولُ الْإِسْلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ:

- حَدِيثُ عُمَرَ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ).
- وَحَدِيثُ عَائِشَةَ:(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ)(2).
- وَحَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ : الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ "(3).(4)

والحديث يرفع شأن النيَّة ويُعلي مكانَها، ويبيّن أنها من العمل بمنزلة الأُس من البناء، والرُّوح من الجسد، والعِماد من البيت، والعمل الذي خلا من النية كالصورة لا حياة فيها، والبنيان لا أساس له، فلا خير منه يُرجى.

---

(1) أَخْرَجَهُ الترمذي (3682)، وابن حبان (6895)، وأحمد (5697) باختلاف يسير وذكره الالباني في صحيح الترمذي (3682) .

(2) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (2697)، ومُسلِم (1718). والهروي في ذم الكلام (292/1)، (296)، (18).

(3) أَخْرَجَهُ البُخاريّ في "صحيحه" (1 / 20) برقم: (52) ومُسلِم في "صحيحه" (5 / 50) برقم: (1599)

(4) ابن رجبٍ الحنبلي : جامع العلوم والحكم (ص 15).

الشَّرحُ:

قوله :" **سَمِعْتُ** " .

دليل على أنه أخذه من النبي ﷺ بلا واسطة .وهي إِحْدَى صِيَغِ أداءِ الحديثِ، بلْ هيَ أَعْلاها وأقْوَاها وأَثْبَتُها، ومِثْلُها حَدَّثني.

ولفظ الحديث انفرد به عمر رضي الله عنه وتلقته الأمة بالقبول التام، حتى إن البُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ صدر كتابه الصحيح بهذا الحديث، ومعنى الحديث ثابت بالقرآن والسنة .

قوله ﷺ:" **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**".

فِيهِ: أُسْلُوبُ الْقَصْرِ ب "إِنَّمَا".

والقصر: تَخْصيصُ شيءٍ بشيءٍ أو أمر بآخر، ويُستخدم لإبراز المعنى وتوكيده بحصره في شيء معين.و"**إِنَّمَا**"، تتركب من:

- " **إِنَّ**" التي تفيد التثبيت والتأكيد.
- و"**مَا**" الكافَّة التي تتضمّن معنى النفي والإثبات معاً، فتعمل عمل (ما) و (إلاَّ). وتُسمى "ما الكافة والمكفوفة" أو "ما الحصرية"، وتُستخدم لإثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه. (1)

فقول الله تعالى : " **إِنَّمَا المؤمنون إِخْوَةٌ**" يعني : ما المؤمنون الا أخوة .

وقولنا انما ينجح المجتهد يعني : ما ينجح الا المجتهد .

وقول النبي ﷺ :" **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**".يعني : ما صحة الأعمال الا بالنيات.

---

(1) وظيفتها النحوية: تكفّ (تمنع) الحروف المشبهة بالفعل (إنّ وأخواتها) عن العمل، فلا تنصب الاسم ولا ترفع الخبر، ويأتي بعدها مبتدأ وخبر مرفوعان

قوله ﷺ :" الأَعْمَالُ "

اذا قلنا (**أل**) الجنسية: فإنها تشمل :

1-الأعمال التي يتعبد بها، مثل: الصلاة ،الصوم ،الزكاة ،الحج.

2-الأعمال التي لا يتعبد بها من الأمور المباحة،كالطعام والمشي والركض. (1)

ولكن كيف تكون جميع الأعمال بالنيات، ومنها ما لا يتعبد به؟

النية مصححة للأعمال المتعبد بها، والعبادات لا تصح إلا بالنية.

والنية ضامنة للثواب في الأعمال التي لا يتعبد بها في أمور العادات إذا قصد بها وجه الله.فمن مشى وركض بنية "المؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ " (2) نال الثواب .

و «**الأعمال**»: جمْعٌ يعم جميع أفعال الجوارح. (3).

ومفرده العمل : وهوَ ما يَقومُ بهِ الإنسانُ مِنْ قولٍ أوْ فعلٍ أوْ تَرْكٍ مقصودٍ.

ومن «الأعمال» :

1-الأعمال البدنية، كالصّلاة والصّيام، والزّكاة، والحجّ، والوضوءِ،وغيره.

2-الأعمال القلبية، مثل التّوبة، والحبّ في الله، والخوف والخشية والإنابة وغيره.

3-عمل اللسان الذي هو القول، مثلُ قراءةِ القرآنِ.

4-ترك الاعمال عمل، لأنَّهُ عملٌ اختياريٌّ. مثل : تركِ السرقةِ قَصْداً.

---

(1) يقسم معظم النحاة أداة التعريف "أل" باعتبار الاسم الداخلة عليه إلى قسمين: جنسية وهي ما دل الاسم المعرف بها على جنس المسمى كقوله تعالى "وخُلِق الإنسانُ ضعيفا"،والانسان هنا جنس الانسان ، لا انسانا معينا . وعهدية وهي ما دل المعرف بها على اسم معين معروف (معهود) لدى المخاطب كقوله تعالى "فعصَى فرعونُ الرسولَ"، والرسول هنا هو موسى عليه السلام .

(2) أخرجه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة (2/ 725)، رقم: (2144)

(3) ابن دقيق العيد: إحكام الأحكام (1/ 61).

ويَشهدُ لِذلك قَوْلُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: **(إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً –إِلَى قولِهِ– وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً)**. (1).

ومفهومُهُ: إِذَا لَم يَتْرُكْ مِن أَجْلِ اللَّهِ لَم تُكتَبْ حَسَنَةً، وَإِنْ تَرَكَهَا مِن أَجْلِ الخوفِ مِن الْخَلْقِ يَأْثَمُ. وذلك التَّركُ هو التَّوبةُ من الذَّنبِ، والتَّوبةُ عِبادةٌ منَ العِباداتِ، إذا حَصَلَت بشُروطِها أذهَبَتِ السَّيِّئاتِ، وأعقَبَتِ الحَسَناتِ. فَإِنْ تَرَكَ الشَّرَّ لِلَّهِ، يُثَابُ عَلَى التَّرْكِ، وَإِنْ تَرَكَ الْخَيْرَ الْوَاجِبَ بِلا عُذْرٍ فَهُو شرٌّ ويُلامُ.

وَلَكِنْ يُستَثْنَى مِن التَّرْكِ بَعْضُ الأعمالِ ، كَمَا بَيَّنَ العُلماءُ، مِثْلُ:

- إزالةِ النَّجاساتِ .
- سداد الديون .

فإنَّها لا تَتَوَقَّفُ صحَّتُها عَلَى النِّيَّةِ، وَلَكِنْ يَتَوَقَّفُ الثَّوابُ فِيهَا عَلَى نيَّةِ التَّقرُّبِ.

بمعنى: سداد الديون لا يشترط له نية، لكن ترتيب الثواب عليه لا بد له من نية.

فإذا دفع المبلغ الذي في ذمته لشخص من غير قصد فلا ينوي بذلك شيئا إلا أنه ليسلم من شره ومطالبته، تبرأ ذمته، لكن إذا قصد بذلك أن هذا عقد وعهد والله أمر بالوفاء بالعقود والعهود يؤجر على امتثال هذا الأمر.

فمقتضي العموم من لفظ «الأعمال» كما أورد الأردبيلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

"أنْ لا يصح عمل من الأعمال الدينية التي لم تخصص إلا بالنية، فلا يصح التوحيد إلا بمعرفة وقصد وإخلاص؛ لأنه عمل القلب واللسان، ولا الوضوء والغسل والتيمم والصلاة والزكاة والصوم والاعتكاف والحج والعمرة إلا بنيات؛

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (7501)، ومُسلِم (128)

لأنَّها عمل الجوارح، فلو غسل أعضاءه الأربعة تبردًا أو تنظيفًا أو تعليمًا لغيره، أو انغمس في نهر للسباحة، أو اصطياد سمكٍ...، لم يكن وضوءًا ولا غسلًا".(1).

قوله ﷺ:" بِالنِّيَّاتِ "

تعريف النية :

عرّف القرافي النية بأنها: " قصد الإنسان بقلبه ما يريده بفعله. (2)

فقدْ يَقْصِدُ بالعملِ رِيَاءً أوْ سُمْعَةً أوْ مَالاً أوْ مَنْصِباً أوْ دُنْيَا أوْ غَيْرَها.

واما في معناها الخاص فهي :"العزم على فعل العبادة تقرباً إلى الله تعالى" .

وقال الفَضْلُ بنُ زِيَادٍ: سأَلْتُ أبا عبدِ اللَّهِ -يَعْنِي أحمدَ- عَن النِّيَّةِ في العَمَلِ، قلتُ: كيفَ النِّيَّةُ؟ قالَ: (يُعالِجُ نفسَهُ إذا أرادَ عَمَلاً لا يُرِيدُ بِهِ النَّاسَ).

فلا يُرادُ من الوضوءِ النظافةُ بل العبادةُ، وأنْ يكونَ لِلَّهِ. ولا يريدُ بالصلاةِ الرياضةَ. ولا بالصومِ التخفيفَ من الوزنِ.ولا بالحَجِّ السياحةَ والنُّزْهةَ، وإنَّما لأجلِ اللَّهِ تعالى.

دلالة الباء في " بِالنِّيَّاتِ "

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: الباء للمصاحبة، ويحتمل أن تكون للسببية، بمعنى: أنَّها مُقوِّمة للعمل، فكأنَّها سبب في إيجاده، وعلى الأول فهي من نفس العمل، فيُشترط أنْ لا تتخلَّف عن أوله. (3).

وعلى القول بأنها باء السببة يكون المعنى : العمل يكون صحيحا بسبب النية ، فلو نوى الصلاة بلا قصد لها لم تصح.

---

(1) الأزهار مخطوط لوح (11)

(2) "الذخيرة" (20/1)

(3)ابن حجر: فتح الباري (1/ 13)

وعلى القول بأنها باء المصاحبة تعني: أن النية من نفس العمل وتصاحبه من اوله. كالصلاة، فإن النية تصاحبها لتحدد نوعها وقيمتها.

وكل من التفسيرين يؤدي إلى نتيجة مؤداها، أن صحة العمل وثوابه أو عقابه يعتمدان على النية.

قوله ﷺ:"وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ"

أي لكل إنسانٍ، فيَشْملُ الذَّكَرَ والأُنْثَى ولا يَخْتَصُّ بالذَّكَرِ؛ لأنَّ الأحكامَ عامَّةٌ للمُكَلَّفِينَ.

قوله ﷺ:" مَا نَوَى "

أي ما نواه. فإنْ أرادَ عبادةً كانتْ عبادةً، وإنْ أرادَ غيرَ ذلكَ فهوَ بِنِيَّتِهِ.

قوله ﷺ:" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" و"وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى" هل هاتان الجملتان بمعنى واحد، أو مختلفتان؟

الأصل في الكلام التَّأْسِيسُ دون التَّأْكِيد (1).،وعليه فانهما مختلفان .

ومعنى التأسيس : انه لها معنى مستقل يختلف عن الأولى .

ومعنى التأكيد : أن الثانية بمعنى الأولى فتكون تكرارا لتقويته.

فالعبارة الاولى " **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** " بيان لما يعتبر من الاعمال والعمل المعتبر ما اقترن بنية .

والعبارة الثانية " **وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى** " بيان لما يترتب على الاعمال التي تكون بالنية من الثواب والعقاب .

---

(1) قال الجرجاني: (التأكيد: تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله) وقال: (التأسيس عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن أصلًا قبله، فالتأسيس خيرٌ من التأكيد؛ لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة) وقال الامدي: (وَالتَّأْسِيسُ أَصْلٌ، وَالتَّأْكِيدُ فَرْعٌ، وَحَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى الْفَائِدَةِ الْأَصْلِيَّةِ أَوْلَى) انظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (2/ 185). التعريفات للجرجاني (ص: 50).

وقال الشيخ ابن عثيمين: " فالأولى باعتبار المنوي وهو العمل، والثانية باعتبار المنوي له وهو المعمول له هل أنت عملتَ لله أو عملتَ للدنيا؟." (1).

مثال: عند إرادة الإنسان الغُسل ينوي الغُسل، فهذه نيَّة العمل، لكن إذا نوى الغُسل تقرُّبًا إلى الله تعالى وطاعةً له، فهذه نيَّة المعمول له؛ أي: قصد وجهه سبحانه وتعالى وهذه الأخيرة هي التي نغفُل عنها كثيرًا،فلا نستحضر نيَّة التَّقرب، فالغالب أنَّنا نفعل العبادة على أنَّنا مُلزمون بها، فننويها لتصحيح العمل، وهذا نقصٌ؛ ولهذا يقول الله تعالى عند ذكر العمل:﴿ **إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى**﴾(2)

ويدل لهذا ما فرعه النبي ﷺ في قوله: " **فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله**" وعلى هذا يبقى الكلام لا تكرار فيه .

والمقصود من هذه النية :

1- تمييز العادات من العبادات.

2- تمييز العبادات بعضها من بعض .

مثال تميز العادات عن العبادات :

أولاً : الرجل يأكل الطعام شهوة فقط، والرجل الآخر يأكل الطعام امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله:﴿ **وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ** ﴾(3). أكل الثاني عبادة ، وأكل الأول عادة .

---

(1) ابن عثيمين :شرح الأربعين النَّووِيّة (ص: 8)

(2) الليل: 20

(3) الأعراف : 31

ثانياً : الرجل يغتسل بالماء البارد تبرداً ، والثاني يغتسل بالماء من الجنابة ، فالأول عادة ، والثاني : عبادة .

ولهذا قال بعض أهل العلم : عبادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات .

مثال تميز العبادات عَن بعضِهَا البعضُ:

فالصَّلاةُ بحاجةٍ إِلَى نيَّةٍ حتَّى تَتميَّزَ عَن غيرِهَا مِن النَّافلةِ.

والصِّيامُ مِنْه الفرضُ،نحو: صومُ رمضانَ، والنَّذْرُ، والكفَّاراتُ. ومنه النَّافلةُ: كصومِ يومِ عَرَفَةَ، وعاشوراءَ، وصومِ الاثنينِ والخميسِ. فَلا بُدَّ مِن نيَّةٍ حتَّى يَتميَّزَ كلُّ نَوْعٍ عَلَى حِدَةٍ.

والصَّدقةُ مِنْهَا: الفرضُ، والكفَّاراتُ، والنَّافلةُ، وَكَذَلِك لا بُدَّ مِن نِيَّةٍ حتَّى تَتميَّزَ.

أين محل النية ؟

مَحَلُّ النِّيَّة القَلبُ، ولا يُنْطَقُ بها إطلاقاً (1)

قال الطحطاوي (2):(لايُشترط النُّطق بالنيَّة؛ لأنَّها من متعلِّقات القلب التي لا يُشترط لها النُّطق، وقد أجمَعَ العُلَماءُ على أنَّه لو نوى بقلبه ولم يتكلَّم بنيَّته، فإنَّه يجوز). (3)

---

(1) وهذا مَذهَبُ المالكيَّة ، وهو قولٌ للحنفيَّة ، والمنصوصُ عن أحمد ، واختاره ابن تيميَّة ، وابنُ القيِّم ، وهو ظاهرُ اختيارِ الكمالِ ابنِ الهُمام ، واختاره ابنُ باز ، وابن عثيمين ، وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك وانظر: ((البحر الرائق)) لابن نجيم (293/1)، ((حاشية ابن عابدين)) (108/1). ((الذخيرة)) للقرافي (240/1)، ((القوانين الفقهية)) لابن جزي (ص: 42). ((كشاف القناع)) للبهوتي (87/1). (مجموع فتاوى ابن تيمية)) (256/22). ((زاد المعاد)) (196/1، 201). ((الشرح الممتع)) (195/1).

(2) أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي: فقيه حنفي. ١٢٣١ هـ ١٨١٦ م).

(3) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ص: 148

وذلك أن النية تتبع العلم ، فمتى علم العبد ما يفعل كان قد نواه ضرورة ، فلا يتصور مع وجود العلم به أن لا تحصل نية.

والسبب انك تتعبّد لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والله تعالى عليم بما في قلوب عباده ، ولست تريد أن تقوم بين يدي من لا يعلم حتى تقول أتكلم بما أنوي ليعلم به ، إنما تريد أن تقف بين يدي من يعلم ما توسوس به نفسك ويعلم متقلّبك وماضيك ، وحاضرك .

ولهذا لم يَرِدْ عن رسول اللهﷺ ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتلفّظون بالنية .

لكن،يُسنُّ عندالجمهور غيرِ المالكيَّة التَّلفظُ بها لمساعدة القلب على استحضارها ،ليكونَ النَّطق عونًا على التَّذكُّر، والأَولى عند المالكيَّة: ترْك التَّلفُّظ بها؛ لأنَّه لم يُنقل عن النبيّ ﷺ وأصحابه التلفُّظُ بالنيَّة، وكذا لم يُنقل عن الأئمَّة الأربعة، فإن نوى بقلبه وتلفَّظ بلسانه، أتى عند الجمهور بالأكمل، وإن تلفَّظ بلسانه ولم ينوِ بقلبه، لم يُجزئه، وإن نوى بقلبه ولم يتلفَّظ بلسانه، أجزأه.

إذا قال قائل: قول المُلَبِّي: لبيك اللهم عمرة، ولبيك حجّاً، ولبيك اللهم عمرة وحجّاً، أليس هذا نطقاً بالنية ؟

فالجواب: لا، هذا من إظهار شعيرة النُّسك، ولهذا قال بعض العلماء : إن التلبية في النسك كتكبيرة الإحرام في الصلاة، فإذا لم تلبِّ لم ينعقد الإحرام، كما أنه لو لم تكبر تكبيرة الإحرام للصلاة ما انعقدت صلاتك .

ولهذا ليس من السنة: أن يقال : اللهم إني أريد نسك العمرة، أو أريد الحج فيسّره لي، لأن هذا ذكر يحتاج إلى دليل ولا دليل عليه .

ثم ضرب النبيﷺ مثلاً بالمهاجر فقال :

" فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ "

والهجرة في اللغة : مأخوذة من الهجر وهو الترك .

وأما في الشرع فهي : الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام .

قوله ﷺ:" فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله " كرجل انتقل من مكة قبل الفتح إلى المدينة يريد الله ورسوله ، أي : يريد ثواب الله، ويريد الوصول إلى الله كقوله تعالى:﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(1) إذاً يريد الله: أي يريد وجه الله ونصرة دين الله، وهذه إرادة حسنة .

قوله ﷺ: "وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا " بأن علم أن في البلد الفلاني تجارة رابحة فذهب إليها من أجل أن يربح ، فهذا هجرته إلى دنيا يصيبها، وليس له إلا ما أراد، وإذا أراد الله تعالى ألا يحصل على شيء لم يحصل على شيء،أو من هاجر من بلد إلى لامرأة يتزوجها، بأن خطبها وقالت لا أتزوجك إلا إذا حضرت إلى بلدي فهجرته إلى ما هاجر إليه .

هل الهجرة واجبة أم مستحبة ؟

فالْهِجْرَة بصورة عامة جائزة شرعا، بل تكون محمودة ومأجورة اذا كانت الهجرة فرارا من الفتنة في الدين والعقيدة، لقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾(2) وقال تعالى:﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾.(3)

فالمهاجر يجد أمرين:

(1)الأحزاب : 29

(2) النساء: 97

(3) النساء: 100

أولهما : رفض الذل.

والثاني: سعة في التحول من القلة الى الكثرة ومن الفقر الى الغنى .

كما حث النبي اصحابه على هذا النوع من الهجرة حين اشتد اذى المشركين على المسلمين في مكة فأمرهم بالهجرة الى الحبشة اولا ثم المدينة ثانيا، وهي سنة يتأسى بها المسلمون الذين يفتنون في دينهم في اي ارض وفي اكل عصر .

الا ان واقع هجرة المسلمين الى بلاد الغرب في هذا الزمان تختلف عن هجرة الأوائل، وتزداد هذه الهجرة يوما بعد يوم، اذ يقدر عدد المسلمين العرب في الاتحاد الاوروبي ما يقارب من ثلاثين مليون لاسباب متنوعة منها :

التوسع في الرزق، وطلب الحياة الكريمة، والهرب من الظلم، واندلاع الحروب والمعارك، وفقدان الأمن. ولهذا وضع العلماء شروطا للهجرة .

شروط الهجرة الى البلاد الاوربية :

1-**ان يكون عند الانسان علم وايمان يدفع به الشبهات** ما يطمئنه على الثبات على الدين، ويبعده عن الزيغ والانحراف . فلا يتأثر بعقيدة الغرب التي تفصل الدين عن الدنيا وتقدس المادة وتطرح جانبا كل امر غيبي، وتؤمن بالحرية الشخصية والديمقراطية الزائفة، والمساواة بين الرجل والمراة في الانفاق والميراث وان العصمة بيد المراة.

2-**وان يكون عنده دين يمنعه من الشهوات**، فالغرب لا يغريك بالفكر فقط بل يغريك بالشهوة وبثقافة الشذوذ الجنسي،والمساكنة والمصاحبة خارج إطار الزواج، والانفصال عن العائلة في سن الثامنة عشر وثقافة شرب الخمر وثقافة الإباحية والخلاعة في الشوارع والحدائق. فمن ليس لديه وازع من الله سيفقد صلاته .

3- **ان يكون المهاجر محتاجا للهجرة هرباً، وطلباً** : هربا من الكفر والظلم والحرب والجوع والمرض. وطلبا للعلم والتجارة والسياحة والعلاج .

4- **ان تكون نية المهاجر الإقامة المؤقتة لا الدائمة** : فلا يجوز للمسلم ان يعيش عمره في بلاد لا يظهر فيها دينه ولا يأمن على اسرته من الفتنة.لقول رسول الله من اقام مع المشركين برئت منه ذمة الله . ولحديث :"**أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بين أظهرِ المشركين ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ولم ؟ قال : "لا تَراءَى نَاراهُما**"(1) أي: لا تتَماثَلُ نارُهما ولا تتَقارَبُ.فاذا لم تتم الشروط فانه لا يجوز السفر الى بلاد الغرب .

ومن أنواع الهجرة : الهجرة غير النظامية " السرية " ومن مفاسدها :

1-تعريض النفس للهلاك؛ بسبب ركوب البحر في قوارب متهالكة لا رخصة لها ولا امان فيها ويسلكون طرقا بحرية غير امنة .وقد اتفق العلماء على أن البحر إذا كان مظنة للهلاك لم يجز ركوبه ومن المقرر شرعًا أن حفظ النفس أحد مقاصد الشرع الخمسة التى تقع فى مرتبة الضروريات،ويقول تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾(2) ويقول تعالى:﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾(3)

2-ما يترتب على هذا النوع من الهجرة من إذلال المسلم لنفسه:

---

(1)رواه أبو داود (2645) ، والترمذي (1604) . وحكم عليه كثير من أهل العلم منهم أبو حاتم و البُخاريّ والترمذي والنسائي والدارقطني وغيرهم بأنه " مرسل " ؛ والمرسل أحد أنواع الحديث الضعيف ، وصححه بعض العلماء كالشيخ الألباني في " إرواء الغليل " (30/5) .

(2)البقرة 195

(3)النساء: 29

من بيع ممتلكاته او الاستدانة، ومن استغلال المهربين لاموال المهاجرين مقابل الخدمات التي يقدمونها من النقل والإقامة والوثائق المزورة حيث يحصد المهربون. ومن التعرض لسلب المال والاعتقال والضرب والترحيل .

قال رسول الله: «**لا يَنبَغي للمؤمِن أَن يُذِلَّ نَفسَه**» **قالوا: وكيف يُذِلُّ نَفسَه؟ قال: «يَتَعَرَّض مِن البلاء لما لا يُطِيق»**. (1)

3-ما يكون من تزوير وغش وتدليس على سلطات الدولتين المهَاجَر منها والمهَاجَر إليها، وهو من باب الكذب وقد قال الله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾(2)

4-ما يترتب على الهجرة من ضعف الهوية الإسلامية والانتماء الثقافي والديني والتأثر بالمادية والعلمانية والتنكر لكثير من تعاليم ديننا بل وربما محاربته بدعوى التمدن والتحضر وتجديد الخطاب الديني. ولا ريب أن شريحة كبيرة قد فقدت أولادها وبناتها واستقامتها في هذه المجتمعات. وهناك فرق كبير بين أن تكون في مجتمع أكثريته تحتقر الفاحشة، وأن تكون في مجتمع أكثريته تعد الفاحشة حرية شخصية .

وبناءً على ذلك: فإن الهجرة غير النظامية على الوجه الذي يحصل في بلادنا الآن لا يجوز فعلها أو الإقدام عليها شرعا.

---

(1)رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب. وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه: 3259 وقال : حديث حسن .

(2)الحج: 30

الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَال : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثّياب شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنا أحَدٌ حَتى جَلَسَ إِلَى النبِيﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفيْهِ عَلَى فَخِذيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: " الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ،وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً "

قَالَ: صَدَقْتَ. فَعجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ:

فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ:" أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئكَتِه، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ،وَالْيَومِ الآَخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " قَالَ: صَدَقْتَ،قَالَ فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " .

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ،

قَالَ:"مَا الْمَسئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"

قَالَ : فَأَخْبِرْنِيْ عَنْ أَمَارَاتِهَا،

قَالَ:" أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ" ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثتُ مَلِيَّاً ثُمَّ قَالَ: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ "

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ قَالَ:" فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ " (1)

---

(1) الحديث بهذا اللفظ أَخْرَجَهُ مُسلِم في صحيحه (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بقدر الله، حديث رقم 8)، وأَخْرَجَهُ البُخاريّ في صحيحه (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم 50)

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ ابنُ دقيقِ العيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا حديثٌ عظيمٌ، اشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ وَظائفِ الأعمالِ الظَّاهرةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَعُلُومُ الشَّريعةِ كلُّهَا راجعةٌ إِلَيْهِ، ومُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ، لِمَا تَضَمَّنَهُ مِن جمعِهِ عِلْمَ السُّنَّةِ، فَهُو كالأمِّ للسُّنَّةِ، كَمَا سُمِّيَتِ الفاتحةُ (أمَّ الْقُرْآنِ) لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِن جَمْعِهَا معانيَ الْقُرْآنِ).(1)

وقالَ ابنُ رجبٍ: (وَهُو حديثٌ عظيمُ الشَّأنِ جِدًّا، يَشتملُ عَلَى شرحِ الدِّينِ كلِّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ فِي آخرِهِ: **(هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)** (2)

وَقَالَ النَّوَوِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَاعْلَمْ أنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَجْمَعُ أنواعًا مِن الْعُلُومِ، وَالْمَعَارِفِ، والآدابِ، واللطائفِ، بَلْ هُو أَصْلُ الإِسْلامِ). (3)

وقال القرطبي كما في الفتح: «هَذَا الْحَدِيث يَصْلُح أَنْ يُقَال لَهُ أُمّ السُّنَّة؛ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ جُمَل عِلْم السُّنَّة». (4)

وقد تناول الحديث حقائق الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان.

وهذه المراتب الثلاث عظيمة جدا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى علق عليها السعادة والشقاء في الدنيا والآخرة ، وبين هذه المراتب الثلاث ارتباط وثيق ، فدائرة الإسلام أوسع هذه الدوائر ، تليها دائرة الإيمان فالإحسان ، وبالتالي فإن كل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم .

---

(1) ابن دقيق العيد : شرح الأربعين النَّووِيّة ص12 .

(2) جامع العلوم والحكم (1/ 53).

(3) شرح صحيح مُسلِم للنووي(1/160)

(4) انظر : فتح الباري (1/125) .

الشَّرحُ :

قولُهُ ﷺ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ "

قولُهُ ﷺ: " جُلُوْس " يُؤْخَذُ مِنْ كلمة جُلُوْس: حِرْصُ الصحابةِ على العِلْمِ، وتحَلُّقُهُم لهُ. وطُولُ مُكْثِهِم في مُجالسةِ وصُحْبَةِ العلماءِ. والتواضعُ في الطَّلَبِ.

قولُهُ ﷺ: "ذَاتَ يَوْمٍ" هنا تفيد النكرة الدالة على العموم، أي في يوم من الأيام.

قولُهُ ﷺ: "إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ"

قولُهُ ﷺ: (إِذْ) ظرفُ زَمَانٍ مَاضٍ لِلْمُفَاجَأَةِ، يدل على حدوث أمر بلا توقّع أي : فاجَأَنَا طُلُوعُ رَجُلٍ .

قولُهُ ﷺ: (طَلَعَ) عَبَّر بِالطُّلُوعِ إِشْعَارًا بِتَعْظِيمِهِ ورِفْعَةِ قَدْرِهِ.

وفيه اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ؛ لأنَّه شَبَّهَ ظُهُورَهُ في ارْتِفَاعِ الشَّأْنِ بطلوعِ الشَّمْسِ؛ فحذفَ الْمُشَبَّهَ (الظُّهُور) وصرَّحَ بالْمُشَبَّهِ به (الطُّلُوع)، ثُمَّ اشْتَقَّ مِنَ (الطُّلُوعِ) -بمعنى الظُّهور- الْفِعْلَ (طَلَعَ)؛ على سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ.

أو: شَبَّهَ الرَّجُلَ بِالشَّمْسِ، فحذفَ الْمُشَبَّهَ به (الشَّمْس)، ورَمَزَ له بِشَيْءٍ من لوازِمِهِ، على سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ.

قولُهُ ﷺ: (رَجُلٌ) أي: مَلَكٌ في صُورَةِ رَجُلٍ. وهذا الرجلُ هوَ جِبْرِيل جاءَ في صورةِ أعرابيٍّ.

وجاءت نكَّرَهُ تَعْظِيمًا كما نُكِّرَتْ كلمةُ (طَائِف) في قولِهِ تعالى: **(فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ)** [1] .

[1] سورة القلم: 19

وهذا المجِيءُ هوَ أحدُ أنواعِ الوَحْيِ والذي مِنْ أَنْوَاعِهِ: الرؤيَةُ الصادقةُ، والإلقاءُ في الرُّوْعِ، وأنْ يَتَغَشَّاهُ.وأنْ يَرَاهُ على صُورَتِهِ التي خُلِقَ علَيْها، وأنْ يُكَلِّمَهُ مِنْ وراءِ حِجَابٍ.

قولُهُ ﷺ: " شَدِيْدُ بَيَاضِ الثّياب " أي عليه ثياب .

قولُهُ ﷺ: " شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ " أي أنه شاب . الْمُرَادَ هُنا: هو شَعْرُ اللِّحْيَةِ، كما جاءَ في رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ: (شَدِيد سَوَادِ اللِّحْيَةِ) فيكونُ هذَا مِنْ إِطْلَاقِ العامِّ وإِرَادَةِ الْخَاصِّ، وهو مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلَاقتُهُ: الْعُمُومِيَّةُ.

قولُهُ ﷺ: " لاَ يُرَى عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ " لأن ثيابه بيضاء وشعره أسود ليس فيه غبار ولا شعث السفر ، ولأن المسافر في ذلك الوقت يُرى عليه أثر السفر .

قولُهُ ﷺ:" وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنا أحَدٌ " أي وليس من أهل المدينة المعروفين، فهو غريب

قولُهُ ﷺ: " حَتى جَلَسَ إِلَى النبيﷺ" أي: جَلَسَ عِنْدَهُ أو مَعَهُ. ولم يقل عنده ليفيد الغاية، أي أن جلوسه كان ملاصقاً للنبي ﷺ .ولهذا قال :

" **فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفيْهِ** " أي: كفَّيْ هذا الرجل " **عَلَى فَخِذَيْهِ** " أي فخذي هذا الرجل ، وليس على فخذي النبيﷺ،وهذا من شدة الاحترام .

وفيه بَيَانُ آدابِ الجلوسِ فِي حِلَقِ الْعِلْمِ، فجبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ جَلَسَ قريبًا مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لطالبِ الْعِلْمِ حتَّى يأخذَ الْعِلْمَ بدِقَّةٍ وتَثَبُّتٍ مِن أفواهِ الْعُلَمَاءِ.

وفِيهِ بَيَانُ كيفيَّةِ الجلوسِ فِي حِلَقِ الْعِلْمِ، فجبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ جَلَسَ جِلْسَةَ التَّشهُّدِ، ووَضَعَ كفَّيهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، فعلَى طالبِ الْعِلْمِ أَنْ يُفرِّغَ ذِهنَهُ وحواسَّهُ أثناءَ ذَلِك حتَّى يَستفيدَ مِن مُجالستِهِ للعلماءِ.

قولُهُ ﷺ:" وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ "

استعملَ أداةَ النِّداءِ (يَا) وهي -في الْأَصْلِ- لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ مع أنَّ جِبْرِيلَ كان قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؛ وذلكَ لتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ، تَنْبِيهًا عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ.

ولم يقل : يا رسول الله ليوهم أنه أعرابي ، لأن الأعراب ينادون النبي ﷺ باسمه العلم ، وأما أهل الحضر فينادونه بوصف النبوة أو الرسالة عليه الصلاة والسلام .

قولُهُ ﷺ: " أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ "

أي ما هو الإسلام ؟ أخبرني عنه .

فللدين الإسلامي ثلاث مراتب وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة لها معنى ، ولها أركان .

والإسلام لغة: الانقياد والإذعان.

وأما في الشرع: فيختلف معناه بحسب إطلاقه، وله حالتان :

فالحالة الأولى : أن يطلق الاسلام مفرداً غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله ، كقوله تعالى:(**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**).(1) وقوله تعالى:(**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) (2)، وقوله تعالى: (**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) .(3)

(1) آل عمران/19

(2) المائدة/3

(3) آل عمران/85 .

ولذا فقد عرف بعض أهل العلم الاسلام بقولهم :

هو الاستسلام لله بالتوحيد ،والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .

أما الحالة الثانية: أن يطلق الاسلام مقترنا بالإيمان، فهو حينئذ يراد به الأعمال، والأقوال الظاهرة، كقوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (1)

قولُهُ ﷺ:"الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ "

تشهد أي تقر وتعترف بلسانك وقلبك ، فلا يكفي اللسان، بل لا بد من اللسان والقلب قال الله تعالى:(إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). (2)

قولُهُ ﷺ:و" أَشْهَدُ"

بمعنى أقر بقلبي ناطقاً بلساني ؛ لأن الشهادة نطق وإخبار عما في القلب .

والشهادة باللسان لا تكفي بدليل أن المنافقين يشهدون لله تعالى بالوحدانية ولكنهم يشهدون بألسنتهم ، فيقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلا ينفعهم .

قولُهُ ﷺ: أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ "

أي: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ. وفِيهِ: أُسْلُوبُ الْقَصْرِ، وهو: تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ " وفيه إِيجَازُ حَذْفٍ؛ وهو حَذْفُ خَبَرِ لَا النَّافِيةِ للجِنْسِ وتقْدِيرُهُ (حَقٌّ).

قولُهُ ﷺ: إِلاَّ اللهُ " الله : علم على الرب تعالى لا يسمى به غيره .

قولُهُ ﷺ: وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ الله " أي وتشهد أن محمداً رسول الله.

وقوله :" **مُحَمَّدَاً** " هو محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي من ذرية إسماعيل، وليس من ذرية إسماعيل رسول سواه .

---

(1) الحجرات/14

(2) الزخرف : 86

وقوله :" رَسُولُ الله "

رسول بمعنى مرسل ، والرسول هو من أوحى الله بشرع وأمر بتبليغه والعمل به .

هل هذه الشهادة تُدخِل الإنسان في الإسلام ؟

نعم، تدخله في الإسلام حتى لو ظننا أنه قالها تعوّذاً، فإننا نعصم دمه وماله؛ ولو ظننا أنه قالها كاذباً.

ودليل ذلك قصة المشرك الذي أدركه أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين هرب المشرك، فلما أدركه أسامة بالسيف قال: لا إله إلا الله، فقتله أسامة ظنّاً أنه قالها تعوّذاً من القتل، أي قالها لئلا يقتل فقتله، فلما أخبر بذلك النبي ﷺ جعل يردد: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: يَارَسُوْلَ اللهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، (1) فجعل يردد: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ؟! فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ .

قال أسامة : فتَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ. (2).

وفي روايةٍ: فَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **أَقَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟! قلتُ: يَا رسولَ اللَّهِ! إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قَالَ: أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟! فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يومَئِذٍ.** (3)

إذاً، نحن ليس لنا إلا الظاهر حتى لو غلب على ظننا أنه قالها تعوذاً عصمته، نعم لو ارتد بعد ذلك قتلناه، وهذا يوجد من جنود الكفر إذا أسرهم المسلمون قالوا: أسلمنا. من أجل أن يعصموا أنفسهم من القتل، فيسأل المجاهدون ويقولون: هل نقتل هؤلاء بعد أن قالوا: لا إله إلا الله أم لا ؟

---

(1) أي: لم يكُنْ قاصِدًا بذلك الإيمانَ، بل كان غَرَضُه التَّحصُّنَ مِن القتْلِ

(2) أَخْرَجَهُ مُسلِم (96) وأَخْرَجَهُ البُخاريّ (4269) باختلاف يسير

(3) أَخْرَجَهُ أبو داود (2643) واللفظ له، وأَخْرَجَهُ البُخاريّ (4269)، ومُسلِم (96) باختلاف يسير

نقول: حديث أسامة يدلّ على أنهم لا يقتلون ولكن يراقبون، فإذا ظهر منهم ردة قتلوا، لأنهم بشهادة أن لا إله إلا الله تُلزمهم أحكام الإسلام. فإن كان الكافر يقول: لا إله إلا الله لكن لا يشهد أن محمداً رسول الله، فلا يكفيه ذلك حتى يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وعلى هذا فالكافر يدخل في الإسلام بمجرّد أن يقول: لا إله إلا الله، فإذا كان يقولها لكنه ينكر رسالة النبي ﷺفلابد أن يضيف إليها شهادة أن محمداً رسول الله، وفي الحديث: (فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ) (1)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺواتفقت عليه الأُمّة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله).

فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان (2) وإذا كان مسلماً وشهد أن لا إله إلا الله ومات على ذلك فإنه

يكفي لقول النبي ﷺ: **(مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله دَخَلَ الجَنَّة)** (3) وإنما اكتفي بلا إله إلا الله لأن هذا الميت يقر بأن محمداً رسول الله وليس عنده فيها إشكال.

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (1496) واللفظ له، ومُسلِم (19)

(2) درء التعارض" لابن تيمية (434/7).

(3) أَخْرَجَهُ أبو داود (3116) واللفظ له، وأحمد (22034)

قولُهُ: " وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ "

وَتَعْنِي إِقَامَتُهَا الْإِتْيَانَ بِهَا تَامَّةً مُشْتَمِلَةً عَلَى جَمِيعِ أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا الْحِسِّيَّةِ كَالتَّحْرِيمِ وَالتَّسْلِيمِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالِاعْتِدَالِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَأَدَائِهَا فِي وَقْتِهَا مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَالْمَعْنَوِيَّةِ كَالْإِخْلَاصِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ فِيهَا وَالْخُشُوعِ.

وكلمة: " **الصَّلاَةَ** " تشمل الفريضة والنافلة .

قولُهُ: " وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ " تؤتي بمعنى تعطي .

والزكاة هي المال الواجب بذله لمستحقه من الأموال الزكوية تعبداً لله ،وهي أربعة : الذَّهب والفضَّة، وعُروض التِّجارة،الزُّروع والثِّمار،والأنعام.

و**إِيتَاؤُهَا** إِعْطَاؤُهَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا مِنَ الْأَصْنَافِ الذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، في سورة التوبة وهم ثمانية أصناف :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(1). أي فرضها الله علينا أن نعطيها هؤلاء ولا نعطي غيرهم

قولُهُ: " وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ "

وَمَعْنَاهُ: الْإِمْسَاكُ عَنْ شَهْوَتَيِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَكُلِّ الْمُفَطِّرَاتِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ بِنِيَّةٍ.

قولُهُ: " وَتَحُجَّ البَيْتَ "

وَمَعْنَاهُ: قَصْدُ المشاعِرِ المقدَّسة؛ لأداء المناسكِ في مكان ووقت مخصوص تعبُّدًا لله عزَّ وجلَّ

---

(1) التوبة/60

قولُهُ: " إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً "

مؤخوذ من قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (1) قد يقول قائل : هذا الشرط ف جميع العبادات لقول الله تعالى :﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (2)

فلماذا خص الحج ؟

نقول : خص الحج لأن الغالب فيه المشقة والتعب وعدم القدرة ، فلذلك نص عليه وإلا فجميع العبادات لا بد فيها من الاستطاعة .

" قَالَ : صَدَقْتَ "

أي أخبرت بالحق ، والقائل هو جبريل عليه السلام .

قولُهُ: " فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ "

ووجه العجب أن السائل عادة يكون جاهلاً ، والمصدق يكون عالماً فكيف يجتمع هذا وهذا . "

قولُهُ: " قَالَ : فَأَخْبِرِنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ "

قال : أي جبريل ، فأخبرني : أي يا محمد عن الإيمان ؟

والإيمان في اللغة : هو الإقرار بالقلب والاعتراف المستلزم للقبول والإذعان وهو مطابق للشرع

وَالْإِيمَانُ عند أهل السنة: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ والعَمَلُ بالجوارِحِ والأركانِ.

(1) آل عمران : 97

(2) التغابن : 16

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ومن أدركناهم؛ يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر. (1)

قولُهُ: " قَالَ : " أَنْ تُؤمِنَ بِالله ، وَمَلائِكَتِه ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَومِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " هذه ستة أشياء :

" أَنْ تُؤمِنَ بِالله " الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء :

الأول : الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى .

الثاني : الإيمان بانفراده بالرّبوبية ، أي: أن نؤمنَ أن الله عز وجل وحده الرب الخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، المدبر لجميع الأمور؛ كالرزق والإحياء والإماتة، وإنزال المطر وغير ذلك؛ يقول الله سبحانه: ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (2)

الثالث: الإيمان بانفراده بالألوهية، وذلك بأن نفرد الله تعالى بالعبادة، فلا نَصرف شيئًا من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، ونتبرَّأ من كل ما يُعبد من دونه عز وجل، وهذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

والعبادة التي يجب ألا تُصرف إلا لله وحده تشمل: كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فتشمل: الصلاة والدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستعاذة، والخوف والرجاء وغيرها.

---

(1) "أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي" (956/5) رقم 1593، "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (209/7).

(2) الأعراف: 54

الرابع: الإيمان بأسمائه الحُسنى وصفاته العُليا، وذلك بأن نؤمن بما أثبته الله عز وجل لنفسه وما أثبته له نبيُّه ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به عز وجل؛ من غير تحريف، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل (1) قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (2) (3)

قولُهُ: " وَمَلائِكَتِه "

بدأ بالملائكة قبل الرسل والكتب لأنهم عالم غيبي ، أما الرسل والكتب فعالم محسوس ، فالملائكة لا يظهرون بالحس إلا بإذن الله تعالى ، وقد خلق الله الملائكة من نورٍ ، كما ثبت عن النبيﷺ وهم لا يحتاجون إلى أكل وشرب ، فنؤمن إن هناك عالماً غيبياً هم الملائكة .

وهم أصناف، ووظائفهم أيضاً حسب حكمة الله تعالى كالبشر أصناف ووظائفهم أصناف.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور لا بد منها:

1- الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله، مربوبون مسخرون و﴿ **عباد مكرمون لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** (4) ﴿**ولا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (5) و﴿**لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ (6)

---

(1) ثلاثة الأصول وأدلتها، للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

(2) التحريف: صرف اللفظ عن المعنى الذي يدل عليه بدون دليل، والتعطيل: نفي صفات الله أو أسمائه، والتكييف: اعتقاد أن صفات الله على كيفية معينة مما تتخيله العقول، والتمثيل: اعتقاد مماثلة أي شيء من صفات الله لصفات المخلوقين.

(3) الشورى: 11

(4) الأنبياء/26:27

2- الإيمان بأسماء من علمنا اسمه منهم: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ورضوان، وغيرهم عليهم السلام.

3-الإيمان بأوصاف من علمنا وصفه: كما علمنا من السنة وصف جبريل عليه السلام، وأن له ستمائة جناح قد سد الأفق (أي: ملأ السماء).

4-الإيمان بأعمال من علمنا عمله منهم: فجبريل عليه السلام موكل بما فيه حياة القلوب وهو الوحي، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكل بالمطر، ومالك موكل بالنار، وهكذا.

ومن أهم ما يجب أن نؤمن به أن كل شخص معه ملكان يكتبان عمله، كما قال الله تعالى: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ (1)أي: رقيب حاضر من هؤلاء الملائكة. فإياك أيها المسلم أن يكتب هذا ن الملكان عنك ما يسوؤك يوم القيامة، فكل شيء تقوله أو تلفظ به فهو مكتوب عليك، فإذا كان يوم القيامة يخرج للعبد كتابه: ﴿**كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ (2)

قولُهُ: " وَكُتُبِهِ "

جمع كتاب بمعنى : مكتوب والمراد بها الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله لأنه ما من رسول إلا أنزل الله عليه كتاباً كما قال تعالى : ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**﴾. (3)

---

(5) التحريم/6

(6) الأنبياء/19:20.

(1) ق/17:18

(2) الإسراء/13:14

(3) البقرة : 213

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور :

أولاً : التصديق الجازم بأن جميع الكتب منزَّل من عند الله

ثانياً : التصديق بما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يُبَدل أو يُحَرف من الكتب السابقة.

ثالثاً : أن نؤمن بما فيها من أحكام إذا لم تخالف شريعتنا على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا – وهو الحق–

رابعاً : أن نؤمن بما علمنا من أسمائها ، وهي الكتب التي سماها الله في القرآن وهي (القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى).

قولُهُ: " وَرُسُلِهِ "

أي أن تؤمن برسل الله تعالى ، والمراد بالرسل من البشر ، وليُعلم بأنه يعبر برسول ويعبّر بنبي ، فهل معناهما واحد ؟

الجواب : أما في القرآن فكل من ذكر من الأنبياء فهو رسول ، فكلما وجدت في القرآن من نبي فهو رسول، لكن معنى النبي والرسول يختلف .

والصواب فيه: أن النبي: هو من أوحي إليه بشرع وأمر بالعمل به ولكن لم يؤمر بتبليغه، فهو نبي بمعنى مُخْبَر، مثاله: أدم عليه السلام أبو البشر نبي مكلف لكنه ليس برسول.

فإذا قال قائل: لماذا لم يرسل ؟

فالجواب: لأن الناس في ذلك الوقت كانوا أمة واحدة، قليلين وليس بينهم اختلاف، لم تتسع الدنيا ولم ينتشر البشر فكانوا متفقين فكفاهم أن يروا أباهم على عبادة ويتبعوه، ثم لما حصل الخلاف وانتشر الناس احتيج إلى الرسل، كما

قال الله تعالى :﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾..(1)

فإذا قال قائل:ما الفائدة من النبي بعد آدم عليه السلام إذا كان لم يؤمر بالتبليغ ؟

– وأول الرسل نوح عليه السلام ، وآخرهم محمدﷺ .

والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أعلى طبقات البشر الذين أنعم الله عليهم، قال الله تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾. (2) هذه أربعة أصناف .

فالنبيون يدخل فيهم الرسل وهو أفضل من الأنبياء ، ثم الرسل أفضلهم خمسة هم أُولوا العزم ، ذكروا في القرآن في موضعين في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى : ففي الأحزاب قال تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾. (3) وفي سورة الشورى قال الله تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾.. (4)

وأفضلهم محمدﷺ كما قال النبيﷺ: " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ " ولما التقى بهم في الإسراء أَمَّهم في الصلاة ، فإبراهيم إمام الحنفاء صلى وراء محمدﷺ ، ومعلوم أنه لا يقدم في الإمامة إلا الأفضل ، فالنبيﷺ هو أفضل أولي العزم .

---

(1) البقرة : 213

(2) النساء : 69

(3) الأحزاب : 7

(4) الشورى : 13

وإبراهيم الخليل عليه السلام يلي مرتبة النبيﷺ الذي قال الله فيه :﴿ وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾. (1)

والخلة : هي أعظم أنواع المحبة .

و لا نعلم من البشر خليلاً لله إلا اثنان : إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام

قال النبيﷺ : " إِنَّ اللهَ اِتَّخَذَنِيْ خَلِيْلاً كَمَا اِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتخِذَاً مِنْ أُمَتِيْ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بكْر خليلاً " (2)

وقوله : " وَالْيَومِ الآَخِر "

هو يوم القيامة ، وسمي آخراً لأنه أخر مراحل بني آدم وغيرهم أيضاً ، فالإنسان له أربع دور ، في بطن أمه ، وفي الدنيا ، وفي البرزخ ، ويوم القيامة وهو آخرها .

الإيمان باليوم الآخر يتضمّن :

أولاً : الإيمان بوقوعه ، وأن الله يبعث من في القبور ، وهو إحياؤهم حين ينفخ في الصور ، ويقوم الناس لرب العالمين ، قال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُون ﴾ (3) وقال النبيﷺ : " يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً " (4) وأنه واقع لا محالة ، لأن الله تعالى أخبر به في كتابه وكذلك في السنة .

ثانياً : الإيمان بكل ما ذكره الله في كتابه وما صح عن النبيﷺ مما يكون في ذلك اليوم الآخر .

---

(1) النساء : 125

(2) أَخْرَجَهُ ابن حبان (6425) واللفظ له، ومُسلِم (532)، والنسائي في ((الكبرى)) (11058)، وأحمد في ((فضائل الصحابة)) (71) باختلاف يسير.

(3) المؤمنون : 16

(4) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (6527)، ومُسلِم (2859).

ثالثاً : الإيمان بما ذكر في اليوم الآخر من الحوض والشفاعة والصراط والجنة والنار فالجنة دار النعيم ، والنار دار العذاب الشديد .

رابعاً : الإيمان بنعيم القبر وعذابه ، لأن ذلك ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف

قولُهُ: " وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "

وهنا أعادﷺ الفعل : (**تؤمن**) لأهمية الإيمان بالقدر وخطورته.

والإيمان بالقدر يتضمّن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بعلم الله السابق: وهو الإيمان بأن الله علم بعلمه القديم كل ما يكون، فعَلِمَ العباد وأعمالهم وأحوالهم وطاعاتهم ومعاصيهم بعلمه القديم الأزلي الذي لم يحدث بعد أن لم يكن؛ فإنه تعالى لم يزل عالما بما سيكون. قال تعالى : **(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** (1).

ثانياً : الإيمان بكتابة المقادير: وهو الإيمان بأن الله قدر مقادير الخلق، وكتب ذلك على وفق ما علم قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض) قال الله تعالى :﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ (2) أي في كتاب .

---

(1) الانعام :59

(2) يس : 12

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ (1) وهو اللحوح المحفوظ ﴿ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (2).

ثالثاً : الإيمان بعموم مشيئة الله: وهو أنه لا خروج لشيء عن مشيئة الله، فكل ما يجري في الوجود فهو بمشيئة الله، فكل حركة وسكون، وكل تغير بوجود أو عدم أو زيادة أو نقص على أي وجه كل ذلك بمشيئة الله، قال تعالى ﴿ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (3) فكل ما حدث في الكون فهو بمشيئة الله .

رابعاً : الخلق والإيجاد، ومعناه: أن الله خالق كل شيء، فكل موجود فهو مخلوق لله،، قال تعالى :﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (4) فكل شيء مخلوق لله : السموات ، والأرضون ، والبحار ، والأنهار ، والكواكب ، والشمس ، والقمر ، والإنسان ، الكل مخلوق لله تعالى وحركات الإنسان مخلوقة لله ، وإذا كان هو مخلوقاً فصفاته وأفعاله مخلوقه ولا شك ، فأفعال العباد مخلوقة لرب العباد تعالى .

وهل صفات الله مخلوقة ؟

الجواب : لا ، لأن صفاته سبحانه وتعالى كذاته كما أن صفات الإنسان كذات الإنسان مخلوقة .

قولُهُ: " **قَالَ : صَدَقْتَ** " القائل جبريل عليه السلام .

---

(1) الأنبياء: 105

(2) التكوير : 29

(3) سورة التكوير: 28-29]

(4) الفرقان : 2

ما الفرق بين الإسلام والايمان ؟ (1)

هذا الحديث يقتضي وجود الفرق بين الإسلام والإيمان؛ لأن جبريل عليه السلام سأل عنهما سؤالين، وأجيب عنهما بجوابين، وفُسرَ له الإسلام بأعمال الجوارح كالصلاة والزكاة والحج، وفُسرَ الإيمان بعمل القلب وهو التصديق، ولو كانا واحدًا لكان السؤال والجواب عن أحدهما كافيا عن السؤال عن الآخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

"اسم "الإيمان" تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإسلام، ولا باسم العمل الصالح، ولا غيرهما، وتارة يذكر مقرونا بالإسلام كقوله في حديث جبرائيل: ما الإسلام... وما الإيمان، وكقوله تعالى: **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**(2) وقوله عز وجل:

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ). (3)، **وقوله تعالى: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.** (4)

---

(1) في مَسْأَلَةِ الإِسْلامِ والإِيمَانِ: هلْ هُمَا واحِدٌ، أوْ هُمَا مُخْتَلِفَانِ؟إنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ والحَدِيثِ مُخْتَلِفُونَ في ذَلِكَ ،مِنْهُم مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ، وابنُ عَبْدِ البَرّ. ومنهم مَنْ يَحْكِي عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّفْرِيقَ بينَهُما: كأَبِي بَكْرِ بْنِ السَّمْعَانِيّ وغَيْرِهِ. وقَدْ نُقِلَ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُما عَنْ كَثِيرٍ مِن السَّلَفِ ، منهم قَتَادَةُ، ودَاودُ بنُ أَبِي هِنْدٍ، وأَبُو جَعْفَرٍ البَاقِرُ، والزُّهْرِيُّ، وحَمَّادُ بنُ زَيْدٍ، وابْنُ مَهْدِيّ، وشَرِيكٌ، وابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وأبو خَيْثَمَةَ، ويَحْيَى بنُ مَعِينٍ، وغَيْرُهم، على اختلافٍ بينَهم في صِفَةِ التَّفْرِيقِ بينَهُما.

(2) الأحزاب/35

(3) الحجرات/14. قال ابنُ كثيرٍ: وقد استُفيدَ من هذه الآيةِ الكريمةِ: أنَّ الإيمانَ أخَصُّ من الإسلامِ، كما هو مذهَبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (389/7).

(4) سورة الذاريات: 35

فلما ذكر الإيمان مع الإسلام: جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج.وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وإذا ذكر اسم الإيمان مجردا دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كقوله في حديث الشعب: الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان "(1)

وقال السعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(اعلَمْ أنَّ الإيمانَ الذي هو تصديقُ القَلبِ التَّامُّ بهذه الأصولِ، وإقرارُه المتضَمِّنُ لأعمالِ القُلوبِ والجوارحِ، وهو بهذا الاعتبارِ يدخُلُ فيه الإسلامُ، وتدخُلُ فيه الأعمالُ الصَّالحةُ كُلُّها، فهي من الإيمانِ، وأثَرٌ من آثارِه، فحيث أُطلق الإيمانُ دخل فيه ما ذُكِر، وكذلك الإسلامُ؛ إذا أُطلق دخل فيه الإيمانُ، فإذا قُرِن بينهما كان الإيمانُ اسمًا لِما في القَلبِ من الإقرارِ والتصديقِ، والإسلامُ اسمًا للأعمال الظَّاهرةِ) (2)

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

"إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان، وعمل الجوارح، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان، وضعيف الإيمان، قال الله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ

(1) باختصار. "مجموع الفتاوى" (7/13-15).

(2) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 67).

الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)، (1) ومن المنافق، لكن يسمى مسلما ظاهرا، ولكنه كافر باطنا.

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله، ولا يصدر إلا من المؤمن حقا كما قال تعالى:(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)** وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى، فكل مؤمن مسلم **ولا عكس**"(2)

وفِي (مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ): عَنْ أنسٍ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((**الإِسْلامُ عَلانِيَةٌ، وَالإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ**) (3) هَذَا لِأَنَّ الأَعْمَالَ تَظْهَرُ عَلانِيَةً، والتَّصْدِيقَ في القَلْبِ لا يَظْهَرُ. انَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ إِذَا صَلَّى عَلَى المَيِّتِ: ((**اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ**) (4) لِأَنَّ العَمَلَ بالجَوَارِحِ إِنَّمَا يُتَمَكَّنُ منهُ في الحَيَاةِ، فأَمَّا عندَ الموتِ فَلا يَبْقَى غَيْرُ التَّصْدِيقِ بالقَلْبِ.

---

(1) الحجرات: 14

(2) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (92/4).

(3) أَخْرَجَهُ أحمد (19| 374) وأبويعلى (5| 301) وابن أبي شيبة (6| 156) وابن بطة في الإبانة الكبرى (2| 796) والعقيلي في الضعفاء (3| 250) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان وأبو داوود الطيالسي وابن معين وأبو حاتم، وضعفه آخرون، ونظراً للخلاف في علي بن مسعدة فقد اختلف أهل العلم في ثبوت الحديث، فقد حسنه حسين أسد في تحقيق مسند أبي يعلى، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، والأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد، وقد احتج بالحديث بعض العلماء الأجلاء منهم شيخ الإسلام في الفتاوى وابن كثير في التفسير وابن رجبٍ في جامع العلوم والحكم وابن أبي العز في شرح الطحاوية وابن القيم في حادي الأرواح.

(4) أَخْرَجَهُ أبو داود (3201)، والترمذي بعد حديث (1024)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10919)، وابن ماجه (1498)، وأحمد (8809) باختلاف يسير

ومِنْ هُنا قَالَ المحَقِّقونَ مِن العُلَماءِ: كُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ؛ فإِنَّ مَنْ حَقَّقَ الإِيمَانَ، ورَسَخَ في قَلْبِهِ، قَامَ بأَعْمَالِ الإِسْلامِ، كَمَا قَالَ ﷺ: (**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلبُ**) (1). فَلا يَتَحَقَّقُ الْقَلْبُ بِالإِيمَانِ إِلا وَتَنْبَعِثُ الْجَوَارِحُ فِي أَعْمَالِ الإِسْلامِ.

ما هي فائدة التفريق بين الايمان والإسلام ؟

للقَولِ بالتَّفريقِ بين الإيمانِ والإسلامِ ثَمراتٌ؛ منها:

1- بيانُ أنَّ الإيمانَ مراتِبُ كما حَدَّدها النَّبيُّ ﷺ.

2- أنَّ الإيمانَ أفضَلُ من الإسلامِ كما أنَّ الإحسانَ أفضَلُ من الإيمانِ.

3- أنَّ دُخولَ الجنَّةِ معَلَّقٌ بالإيمانِ والإسلامِ.

4- أنَّ الإيمانَ أعَمُّ من الإسلامِ من جهةِ الشُّمولِ، فكُلُّ مُؤمِنٍ مُسلِمٌ، وليس العكسَ، إلَّا إذا أتى بالإسلامِ الواجِبِ، فحينئذٍ يُعتبرُ مُسلِمًا مُؤمِنًا، وهذا معنى قَولِ السَّلَفِ: (لا إسلامَ إلَّا بإيمانٍ، ولا إيمانَ إلَّا بإسلامٍ) (2)، والإسلامُ الواجِبُ يدخُلُ فيه أصلُ الإيمانِ على أقَلِّ تقديرٍ، وهو المعبَّرُ عنه بالإسلامِ الحقيقيِّ، وأمَّا من جهةِ الإفرادِ فلا يُطلَقُ إلَّا على من أتى بالإيمانِ الواجِبِ، وبهذا الاعتبارِ يكونُ الإسلامُ أعمَّ وأشمَلَ، فيشمَلُ المسلِمَ الحقيقيَّ والمنافِقَ والفاسِقَ الملِّي بإطلاقٍ.

5- التفريقُ بين الإسلامِ الحُكميِّ الذي يُطلَقُ على كُلِّ من أظهر الإسلامَ صادِقًا أو كاذِبًا بمجَرَّدِ إقرارِه دون أن يُطلَقَ عليهم اسمُ الإيمانِ أو الإسلامِ الحقيقيِّ الذي يوافِقُ الإيمانَ الواجِبَ، فلا يُعطى اسمَ المؤمِنِ إلَّا من جمع بين القَولِ والعَمَلِ.

---

(1) رَوَاهُ البُخاريّ في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه 1/ 28 (52)، ومُسلِم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات 3/ 1219 (1599).

(2) يُنظر: ((تعظيم قدر الصلاة)) للمروزي (528/2).

وكذا اسمُ الإيمانِ يُنزَعُ من مُرتكِبِ الكبيرةِ، ولكِنْ لا يُنزَعُ منه اسمُ الإسلامِ على قَولِ من يرى أنَّ مُرتَكِبَ الكبيرةِ يخرجُ من الإيمانِ إلى الإسلامِ .(1)

قولُهُ: " فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ "

الإحسان: في حق الخالق هو أن تبني عبادتك على الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسول الله.

وأما الإحسان للخلق، فهو بذل الخير لهم من مال أو جاه أو غير ذلك.

قولُهُ: "الإِحْسَانِ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَكَ تَرَاهُ "

العبادةُ: اسمٌ جامعٌ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ويَرْضَاهُ مِن الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ.

ومَعْنَى (تَعْبُدَ اللَّهَ)؛ أيْ: تُتْقِنَ هذا العملَ وتُكْمِلَهُ حتَّى كَأَنَّما ترَى اللَّهَ وأنتَ تَفْعَلُهُ.

ومِمَّا يُعِينُ على المُرَاقَبَةِ: أنْ تَعْلَمَ أنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ قَوْلَكَ، ويرَى فِعْلَكَ، ويَطَّلِعُ على ما في صَدْرِكَ، وتُوقِنَ بلِقَائِهِ وتُوقِنَ بأنَّ عليكَ شُهُوداً، منهم الملائكةُ والجوارحُ والخَلْقُ.

وقال ابن رجبٍ: (2).«الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان **جزاء ذلك النظر إلى الله عيانا في الآخرة، لأن الله عز وجل يقول:** ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ (3). وقَدْ ثَبَتَ فِي (صَحِيحِ مُسْلِمٍ) عَن النَّبِيِّ ﷺتَفْسِيرُ الزِّيَادَةِ بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ فِي الجَنَّةِ، وهَذَا مُنَاسِبٌ لِجَعْلِهِ جَزَاءً لِأَهْلِ الإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ الإِحْسَانَ هوَ أنْ يَعْبُدَ المؤْمِنُ رَبَّهُ فِي الدُّنيا عَلَى وَجْهِ الحُضُورِ والمرَاقَبَةِ، كَأَنَّهُ

(1) يُنظر: ((قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة)) لعادل الشيخاني (ص: 296).

(2) «جامع العلوم والحكم» (ص103 ت الفحل).

(3) يونس: 26

يَرَاهُ بقَلْبِهِ ويَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي حَالِ عِبَادَتِهِ، فَكَانَ جَزَاءُ ذَلِكَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ عِيَانًا فِي الآخِرَةِ.

قولُهُ: " فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ "

أي : اعبده على وجه الخوف ولا تخالفه ، لأنك إن خالفته فإنه يراك ، فتعبده عبادة خائف منه ، هارب من عذابه وعقابه ، وهذه الدرجة عند أهل العبادة أدنى من الدرجة الأولى.

ولا بُدَّ للإنسانِ من التَّخَلِّي والتَّحَلِّي، حتَّى يكونَ أَهْلَ التَّجَلِّي، فالتَّخَلِّي أنْ يُطَهِّرَ ظَاهِرَهُ وباطِنَهُ عنْ قاذُورَاتِ الذنوبِ، والأخلاَقِ الذميمةِ بالتوبةِ الصادقةِ.

فصار للإحسان مرتبتان: مرتبة الطلب، ومرتبة الهرب.

مرتبة الطلب: أن تعبد الله كأنك تراه.

ومرتبة الهرب : أن تعبد الله وهو يراك تعالى فاحذره ، كما قال تعالى :﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾(1).

قولُهُ: " فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ "

فيه حَذْفُ مُضَافَيْنِ، وَالْمَعْنَى: أَخْبِرْنِي عَن زَمَنِ وُجُودِهَا؟ ولم يَكُنِ السُّؤَالُ عَنْهَا نَفْسِهَا؛ لأنَّها مَقْطُوعٌ بِهَا قال تعالى: **(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا)** (2). فَهُوَ مِنْ الْإِيجَازِ بِالْحَذْفِ.

---

(1) آل عمران: 30]

(2) الكهف: 21

والساعة هي : قيام الناس من قبورهم لرب العالمين ، يعني البعث ، وسميت ساعة لأنها داهية عظيمة ، قال الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ (1)

فقال النبيﷺ :"**مَا الْمَسئُولُ عَنْهَا** "

يعني نفسه ﷺ ، يُرِيدُ نَفْسَهُ الكريمةَ، أَوْ كَلَّ مسؤولٍ عَنهَا .

" **بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** "

يعني جبريل عليه السلام أَوْ مِنْ كُلِّ سَائِلٍ، أي: بأَزْيَدَ عِلْمًا مِنْهُ بِهَا،فالكلُّ سَوَاءٌ في عدمِ علمِ زمنِ وقوعِهَا؛ لأنَّ اللهَ تَعَالَى عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعةِ.

والْبَاءُ:

زَائِدَةٌ لِتأكيدِ النَّفْيِ.والمعنى إذا كنت تجهلها فأنا أجهلها ولا أستطيع أن أخبرك بها ، لأن علم الساعة مما اختص الله به تعالى قال الله تعالى ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾(2)

وقال تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (3) ولهذا يجب علينا أن نكذب كل من حدد عمر الدنيا في المستقبل .

---

(1) لحج : 1

(2) الأحزاب: 63

(3) سورة النازعات: 42

(قالَ) جبريلُ:(فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا)

أيْ: علاماتِ قُرْبِ وُقُوعِهَا. لأن الأمارة بمعنى العلامة ، والمراد أمارات قربها وهو ما يعرف بالأشراط ، قال الله تعالى :﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا﴾ (1)

قال ابنُ عُثَيمين: (أشراطُ السَّاعةِ هيَ العَلاماتُ الدَّالَّةُ على قُربها، وقَد قَسَّمَها العُلَماءُ إلَى ثَلاثةِ أقسامٍ:

القِسمُ الأوَّلُ: أشراطٌ مَضَت وانتَهَت.

القِسمُ الثَّاني: أشراطٌ لَم تَزَلْ تَتَجَدَّدُ وهيَ وسَطٌ.

القِسمُ الثَّالِثُ: أشراطٌ كُبرى تَكونُ عِندَ قُربِ قيامِ السَّاعةِ . (2)

والأَشْرَاطُ: هي العَلاماتُ الَّتي تَسبِقُ يَومَ القيامةِ، وتَدُلُّ على قُدومِها.

قال ابنُ حَجَرٍ العَسقَلانيُّ: الحِكْمةُ في تَقَدُّمِ الأشراطِ إيقاظُ الغافِلينَ وحَثُّهم على التَّوبةِ والاستِعدادِ (3)

وقال صالِح آل الشَّيخ: (أشراطُ السَّاعةِ الصُّغرَى والكُبرَى أُلِّفَت فيها مُؤَلَّفاتٌ كَثيرةٌ في جَمعِها وجَمعِ الأحاديثِ الَّتي جاءَت في ذِكرِ أشراطِ السَّاعةِ، وهيَ مِنَ العِلمِ النَّافِعِ الَّذي يَدُلُّ على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺفيما أخبَرَ به؛ لِأنَّه –ولا شَكَّ– أخبَرَ عَن أمرٍ غَيبيٍّ لَم يَحدُثْ، وكانَ خَبرُه صِدقًا ويَقينًا.

---

(1) محمد : 18

(2) يُنظر: ((مجموع فتاوى ابن عثيمين)) (3/ 220).

(3) يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 83).

فهَذِه الأخبارُ الَّتي فيها أنَّه بينَ يَدَيِ السَّاعةِ يَكونُ كَذا، أو لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَكونَ كَذا، أو مِن أشراطِ السَّاعةِ كَذا، أو اعْدُدْ بينَ يَدَيِ السَّاعةِ كَذا، هَذِه كُلُّها تَدُلُّ:

- على صِدْقِه ﷺ.

- ثُمَّ أيضًا تَدُلُّ على أنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها؛ لِأنَّ النَّبيَّ ﷺأخبرَ بحُدوثِ هَذِه الأمورِ، وحُدوثُها حَصَلَ وكانَ حَقًّا كَما أخبرَ به ﷺ.

لِهَذا كانَ التَّحديثُ بأشراطِ السَّاعةِ الصُّغرَى والكُبرى وذِكرُها مِمَّا يُقَوِّي اليَقينَ ويُقَوِّي الإيمانَ، وهو مِن دَلائِلِ نُبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ) (1)

قوله: قَالَ « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا)

أي: سَيِّدَتَهَا؛ واختلَفَ العلماءُ في معنَى ذلكَ فقيلَ: أن تَلِدَ الأمَةُ الرَّقيقةُ الْمَملوكة سَيِّدَها بحيث يَكونُ هذا الوَلَدُ الذي أنجَبَته من الملك او السيد سَيِّدًا لَها؛ إمَّا لأنَّ أباهَ سَيِّدُها، وإمَّا لأنَّه سَوفَ يَخلُفُ أباه فيَكونُ سَيِّدًا لَها. وقيلَ: هو كِنَايَةٌ عن كَثْرةِ عُقوقِ الأولَاد لأمَّهاتِهم، فيُعامِلُ الْوَلَدُ أمَّهُ معامَلَةَ السيِّدِ أَمَتَهُ، مِن حَيْثُ السَّبُّ، والضَّربُ، والاستخدامُ، والاستهانةُ، وَهَذَا مَا يَميلُ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ إِلَيْهِ. (2)

قوله: (وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ».

الحُفاةُ: جَمعُ حافٍ، وهُوَ مَنْ لا نَعْلَ بِرِجْلِهِ.

والعُراةُ: جَمعُ عارٍ، وهو الذي لا يَلبَسُ على جَسدِه ثوبًا.

---

(1) يُنظر: ((شرح الطحاوية)) (2/915)

(2) يُنظر: ((أعلام الحديث)) (1/ 182). (الحجة في بيان المحجة)) (1/ 449). يُنظر: النَّوويّ ((شرح مُسلِم)) (1/ 158). (جامع العلوم والحكم)) (1/ 136-140) ((فتح الباري)) (1/ 122). ابن عثيمين ((شرح الأربعين النَّوويّة)) (ص: 55).

والعالةُ مُخفَّفة اللَّامِ: جَمعُ عائِلٍ، وهو الفَقيرُ، والعَيلةُ: الفَقرُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى). (1)

ورِعاء الشاء: هم رُعاة الغنم.

ويتطاولون: أي يتنافَسون في ارتفاع المباني ، أيُّهم أطول بُنيانًا.

وقال النَّوَويُّ: (مَعناه: أنَّ أهلَ الباديةِ وأشباهَهم من أهلِ الحاجةِ والفاقةِ تُبسَطُ لَهم الدُّنيا حَتَّى يَتَباهون في البُنيانِ). (2)

وقال القرطبيُّ:(الْمَقْصُودُ الإخبارُ عَن تَبَدُّلِ الْحَالِ بِأَنْ يَسْتَوْلِيَ أَهْلُ الباديَةِ عَلَى الأَمْرِ، ويَتَمَلَّكوا البلادَ بالقَهْرِ، فتَكْثُرَ أموالُهم وتَنْصَرِفَ هُمومُهُم إِلَى تَشييدِ البُنيانِ والتَّفاخُرِ بِهِ، وَقَد شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ).

" **ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثتُ مَلِيًّا** "

يعني بقيت ملياً أي: زَمَانًا طَوِيلًا. كما في قوله تعالى:﴿ **وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾ (3) أي مدة طويلة

" **ثُمَّ قَالَ : " يَا عُمَرُ** " والقائل النبيﷺ :" **أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟** " هذَا اسْتِفْهَامٌ خَرَجَ عن مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ، والغَرَضُ منهُ: التَّشْويقُ. ونَظيرُهُ؛ قولُه تعالى: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾

قُلْتُ اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ قَالَ :" فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ " ولعل النبيﷺ وجده فيما بعد وسأله : أتدري من السائل ؟ أي أتعلم من هو ؟ "

---

(1) الضُّحى:8

(2) النَّوويّ ((شرح مُسلِم)) (1/ 159).

(3) مريم : 46

فَقَالَ عُمَرُ: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ " وهذا يدل على أن عمر رضي الله عنهلا علم له من هذا السائل

فقال النبيﷺ :" **فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ** " الإشارة هنا إلى شيء معلوم بالذهن ، أي هذا جبريل؟ " **أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ** " لكنه جاء بهذه الصيغة أي صيغة السؤال والجواب لأنه أمكن في النفس وأقوى في التأثير .

وجِبْرِيْلُ هُو الرُّوحُ الأمينُ، وصفه الله تعالى بصفات منها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾ ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾.

فوَصَفَهُ بالأمانةِ وبِحُسْنِ الخُلُقِ، وبَهاءِ الْمَنظرِ، والقوَّةِ وشدَّةِ البطشِ والفعلِ، وبأنَّ لَه مَكانةً ومَنْزِلةً عِنْدَ اللهِ، فَهُو سيِّدُ الْمَلائِكَةِ، مُطاعٌ أَمْرُهُ فِي السَّماواتِ.

الحديث الثالث

عَنْ أَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:(بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) (1)

تَرْجَمَةُ الصَّحابِيّ رَاوِي الحَديثِ:

هوَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخَطَّابِ، وُلِدَ في السنةِ الثانيَةِ بعدَ البعثةِ النبويَّةِ، وأسلمَ صَغِيراً، وهاجرَ وعُمُرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سنةً، وَرَدَّهُ الرسولُ ﷺيومَ بدرٍ وأُحُدٍ لِصِغَرِهِ، وشاركَ في بَقِيَّةِ الغَزَواتِ.

مِنْ أكثرِ الصحابةِ اقتداءً بالسُّنَّةِ، وهوَ صاحبُ قيامٍ وعِبَادةٍ، ومِن المكْثِرِينَ روايَةَ الحديثِ، رَوَى أَلْفَيْنِ وسِتَّمِائَةٍ وثلاثينَ حديثاً، تُوُفِّيَ في العامِ الثالثِ والسبعينَ مِن الهجرةِ النبويَّةِ.

مَوْضوعُ الحديثِ :

بيانُ أركانِ الإسلامِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هذا الْحَدِيثُ لَه أهميَّةٌ عَظِيمَةٌ؛ لأَنَّهُ تعرَّضَ لِبَيَانِ أُسسِ وقواعدِ الإِسْلامِ الَّتي عَلَيْهَا بُنِيَ، الَّتِي بِهَا يَكُونُ الْعَبْدُ مسلمًا، وبغيرِهَا يَمْرُقُ مِن الدِّينِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ، كتاب الإيمان، باب قول النبي –ﷺ–: ((بني الإسلام على خمس))، برقم (8)، ومُسلِم، كتاب الإيمان، باب قول النبي –ﷺ– بني الإسلام على خمس، برقم (16).

قالَ النَّوويُّ: (إنَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَصْلٌ عظيمٌ فِي معرفةِ الدِّينِ، وَعَلَيْهِ اعتمادُهُ وَقَد جَمَعَ أركانَهُ) أ. هـ.

الشَّرحُ :

قوله : " عَنْ أَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ " هذه كنية، عبد الله بن عمر هذا اسم علم.

قال العلماء: إذا كان الصحابي وأبوه مسلمين فقل: رضي الله عنهما، وإذا كان الصحابي مسلماً وأبوه كافراً فقل: رضي الله عنه .

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ يَقُوْلُ:

قوله : " **بُنِيَ الإِسْلامُ** " أيْ: قامَ الإسلامُ وتَأَسَّسَ على الأركانِ الخمسةِ، فهيَ دَعَائِمُهُ العظامُ ومَبَانِيهِ الجِسَامُ.وهذا يَدُلُّ على أنَّ مَنْ أَرَادَ الدخولَ في الإسلامِ فلا بُدَّ مِنْ هذهِ الخمسِ، ولا يُسَمَّى مُسْلِماً إلاَّ بها جميعاً.

والذي بناه هو الله عزّ وجل، وأبهم الفاعل للعلم به، كما أُبهم الفاعل في قوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً**﴾ (1) فلم يبين من الخالق، لكنه معلوم، فما عُلم شرعاً أو قدراً جاز أن يبنى فعله لما لم يسم فاعله.

" **عَلَى خَمْسٍ** " أي على خمسِ دعائم.

" **شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** "

وقد سبق الكلام عليها في شرح حديث جبريل عليه السلام ، الا اننا نوجه عنايتنا الى قضايا ثلاثة :

(1) النساء: 28

الأولى : تقديم الحج على الصوم في الحديث : وهذا اختيار الإمامين البُخَارِيّ والنسائي مما يدل على أرجحيتها وما عداها مروي بالمعنى، بل بنى الإمام البُخَارِيّ صحيحه على هذا الترتيب ، فقدم كتاب الحج على كتاب الصوم

وأما تقديم الصوم على الحج فإنما أخرجها الإمام مسلم في صحيحه إلى جانب الرواية الأولى.وأما ما يسلكه أكثر العلماء في كتب الفقه والحديث من تقديم الصوم على الحج فلأنه أعم وجوبا من الحج ، فإنه يجب على كثيرين ممن لا حج عليه ، ويجب أيضا على الفور ، ويتكرر.

الثانية : تنوع اركان الإسلام بين البذل للمحبوب، والكف عن المحبوب، وإجهاد البدن.

فالشهادتانِ: نطق باللسان، واعتقاد بالجنان. وبهذا يُعْلَمُ أنَّ الإِيمانَ باللَّهِ ورسُولِهِ داخِلٌ في ضِمْنِ الإِسلامِ.

وإقام الصلاة: والصلوات أَعْمَالٌ بَدَنِيَّةٌ مَحْضَةٌ .

وإيتاء الزكاة: مَالِيَّةٌ مَحْضَةٌ لا بدنية، وكون الغني يجب أن يوصلها للفقير، وربما يمشي وربما يستأجر سيارة، هذا أمر خارج عن العبادة،

وصوم رمضان: بَدَنِيَّةٌ مَحْضَةٌ ، وان كانت الصلاة بدنية لكنها فعل، وان الصيام عبادة بَدَنِيَّةٌ لكنه كف وترك، لأنه قد يسهل على الإنسان أن يفعل،ويصعب عليه أن يكف، وقد يسهل عليه الكف ويصعب عليه الفعل، فنوعت العبادات ليكمل بذلك الامتحان، فسبحان الله العظيم.

والْحَجِّ والعُمْرَةِ أعمالٌ بَدَنِيَّةٌ مَالِيَّةٌ وخاصة للبعيد وهو الغالب لمن حج .

الثالثة : الصلاة ركن دائم لا يسقط عن المؤمن إلا في حالة فقدان العقل ، فهي خمسُ صلوات في اليوم والليلة والزكاة مرتبطة بالمحصول أو بدورة المال

السنوية، والصوم مرتبط بشهر واحد في السنة هو رمضان، والحج مرة واحدة في العمر.

الرابعة : الصلاة ركنٌ يجمع باقي الأركان: ففيها الشهادتان، وفيها صيام عن الطعام والشراب والحركة والكلام وهو ابلغ من صيام رمضان . وفيها استقبال للبيت الحرام . وفي الصلاة زكاة وتضحية وعطاء لاثمن ما يمتلك المرء وهو الوقت.

الحديث الرابع

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُوْدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ : " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ،ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ،ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ،وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ. فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَايَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا " (1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ، الهُذَلِيُّ أَسْلَمَ بِمَكَّةَ قَدِيمًا، وهوَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بالقرآنِ بعدَ الرسولِ ﷺ ، ودَعَا لهُ النبيُّ ﷺبقَوْلِهِ:(**أَنْتَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ**)، وَهَاجَرَ هِجْرَتَيْنِ وَشَهِدَ بَدْرًا وغيرَها، وكانَ صاحبَ الوِسَادَةِ والنَّعْلَيْنِ والسِّوَاكِ، وكَثِيرَ الدُّخُولِ عَليهِ ﷺ، وَكَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ طَرِيقًا بِهِ ﷺ.

مَنَاقِبُهُ كثيرةٌ، ومات بالمدينةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أو ثلاثٍ وثَلاثِينَ، عَنْ بِضْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: ماتَ بالكوفةِ رَضِيَ اللهُ عنْهُ.

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (3208)، ومُسلِم (2643) باختلاف يسير

موضوعُ الحديثِ:

بَيَانُ مَرَاحِلِ خَلْقِ الإنسانِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

الحديثُ لَه أهميَّةٌ عَظِيمَةٌ؛ لأنَّهُ تَعَرَّضَ لكيفيَّةِ خَلْقِ الإِنْسَانِ الَّذي كَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى باقي مخلوقاتِهِ، كَمَا فِيهِ الْكَلامُ حولَ القضاءِ والقَدَرِ، الَّذِي هُو الرُّكنُ السَّادسُ مِن أركانِ الإيمانِ، الَّذي لا يَتِمُّ إيمانُ الْعَبْدِ إلا بِهِ، كَمَا فِيهِ فوائدُ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ، استنْبَطَها العُلماءُ مِنْهُ.

الشَّرحُ :

قوله: (حَدَّثَنَا) حدث وأخبر في اللغة العربية بمعنى واحد، وهي كذلك عند قدماء المحدثين، لكن عند المتأخرين من صاروا يفرقون بين: (حدثنا) و:(أخبرنا)، وعلم ذلك مذكور في مصطلح الحديث.

وقوله: (وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْق) الجملة هذه مؤكدة .

وقوله: وَهُوَ الصَّادِقُ أي الصادق فيما أَخْبَر به المِصْدُوْقُ فيما أُخبِر به، والنبي ﷺوصفه كذلك تماماً، فهو صادق فيما أخبر به، ومصدوق فيما أوحي إليه عليه الصلاة والسلام.

وإنما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه هذه الجملة،لأن التحدث عن هذا المقام من أمور الغيب التي تخفى، وليس في ذلك الوقت تقدم طبٍّ حتى يُعرف ما يحصل.

وهناك ماهو فوق علم الطب وهو كتابة الرزق والأجل والعمل وشقي أو سعيد، فلذلك من فقه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن أتى بهذه الجملة المؤكدة لخبر النبي

قال: (**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ**) الخِطَابُ لجميعِ الناسِ وليسَ لأحدٍ دُونَ أحدٍ؛ لأنَّ هذا الأمرَ يَسْرِي على الجميعِ بقضاءِ اللَّهِ وقَدَرِهِ.

وسماه جمعا لأنَّهُ كانَ مُتَفَرِّقاً في الجسمِ كُلِّهِ مِنْ قِبَلِ الرَّجُلِ ومنْ قِبَلِ المرْأَةِ، ولذلكَ تَجِدُ الولدَ يُشْبِهُ أَبَاهُ أوْ أُمَّهُ في جميعِ أوْ غالبِ الجسدِ.

(**أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً نُطْفَة**) هذهِ المرحلةُ الأُولَى مِنْ مراحلِ خلقِ الإنسانِ وسُمِّيَتْ نُطْفَةً؛ لأنَّها مِنْ ماءٍ يَنْطُفُ؛ أيْ: يَسِيلُ، والذي في هذا الماءِ هوَ المَنِيُّ مِن صُلْبِ الرَّجُلِ، يَلْتَقِي بالبُوَيْضَةِ من التَّرَائِبِ عند المراة ، فيكونُ منها الولدُ. فَتَمْكُثُ النُطْفَة أَرْبَعِينَ يومًا.

(**ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ**) هذا هوَ الطورُ الثاني أو المرحلةُ الثانيَةُ مِنْ خَلْقِ الإنسانِ، وهيَ العلقةُ. قطعةٌ مِن الدَّمِ الجامدةِ، وبها يَتَحَقَّقُ وُجُودُ الجنينِ في الرَّحِمِ. مِثْلَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ أَرْبعونَ يَوْمًا و قدْ أشارَ لذلكَ القرآنُ في قولِ اللَّهِ تعالى: (**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**) (1).

وسُمِّيَتْ عَلَقَةً؛ لأنَّها تَعْلَقُ بالرَّحِمِ، ولذا لا يَسْتَغْنِي الجسمُ عن الدمِ بلْ إذا فَقَدَهُ ماتَ صَاحِبُهُ أوْ ماتَ العضوُ الذي فَقَدَهُ.

(**ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِك**) هذهِ المرحلةُ الثالثةُ مِنْ مراحلِ التكوينِ والخلقِ.

أَيْ: قِطْعَةَ لحمٍ قَدْرَ مَا يُمْضَغُ أَرْبَعِينَ يومًا ، كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**﴾ (2).

فالجميع يكون مائة وعشرين، أي أربعة أشهر.

---

(1) العلق: 2

(2) الحج: 5

(ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ) والمرسِل هو الله رب العالمين عزّ وجل، فيرسل المَلَك المُوَكَّلَ بالرَّحِمِ إلى هذا الجنين،وهو واحد الملائكة،والمراد به الجنس لا ملك معين.

(فَيَنْفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ) فَيَصِيرُ حَيًّا، بعدَ أَنْ كانَ جَمَادًا، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ. ويَنْبَغِي للعاقلِ أَنْ يَتَدَبَّرَ في أَصْلِهِ، وَتَطَوُّرِهِ في أَطْوَارٍ شَتَّى، لِيَنْكَشِفَ لهُ ضَعْفُ حَالِهِ، واحْتِقَارُهُ واحْتِيَاجُهُ إلى بارئِهِ، وَيَظْهَرَ لَهُ جلالُ خَلْقِهِ وَحُسْنُ عِنَايَتِهِ بِهِ، ومَا يَجِبُ عليهِ مِنْ شُكْرِهِ.

والروح سئل النبي ﷺ عنها فأمره الله أن يقول: (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (1).فالروح من أمر الله أي من شأنه، فهو الذي يخلقها عزّ وجل: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (2).وهذا فيه نوع من التوبيخ،كأنه قال:ما بقي عليكم من العلم إلاالروح حتى تسألوا عنها،

(وَيُؤْمَرُ) أي المَلَكُ (بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ) أَيْ: يَكْتُبُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ: (رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ) .

(رِزْقه) مَعَ مَقَادِيرِهِ، وَأَوْقَاتِهِ، وَأَوْصَافِهِ، وَأَسْبَابِهِ، مِنْ مأكُولٍ ومشرُوبٍ وملبُوسٍ وغيرِهَا. والرزق الذي يقوم به البدن: هو الأكل والشرب واللباس والمسكن والمركوب وما أشبه ذلك.

(وَأَجَله) مقدارِ مُدَّةِ حياتِهِ.

(وَعَمَله) بمقدارِهِ وَوَقْتِهِ، وأَوْصَافِهِ وأحوالِهِ وأسبَابِهِ.

(وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ) يَكْتُبُ أَنَّهُ ((شَقِيٌّ)) إِنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الأشقياءِ. و يَكْتُبُ أَنَّهُ ((سَعِيدٌ))، إِنْ كانَ فِي عِلَمِ اللهِ مِنَ السُّعَدَاءِ.

---

(1) الاسراء: 85

(2) الاسراء: 85

قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (1).

فالنهاية إما شقاء وإما سعادة ، فنسأله سبحانه أن يجعلنا من أهل السعادة.

قال:(فَوَاللهِ الَّذِيْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ) أَيْ: أُقسِمُ باللهِ لا إله حق غير الله .

والقسم اختلف المحدثون فيه ، هل هو مدرج من كلام ابن مسعود ام من اصل الحديث ؟ فالأصل أنها من أصل الحديث، فلا يقبل الإدراج إلا بدليل لا يمكن أن يجمع به بين الأصل والإدراج

وعلى هذا فالصواب أنها من كلام النبي ﷺ.

(إِنَّ أَحَدَكم لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ) بامْتِثالِ الأَوَامِرِ واجْتِنَابِ المَنَاهِي فيمَا يَبْدُو للنَّاسِ، (حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ) تَمْثِيلٌ لِشِدَّةِ قُرْبِهِ منهَا، كَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بينَهُ وبينَهَا إلاَّ الموتُ

(فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ) ما كُتِبَ مِنَ الشَّقَاوَةِ

(الكِتَابُ) المسْطُورُ في بَطْنِ أُمِّهِ

(فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار فَيَدْخُلَهَا) في آخِرِ أَمْرِهِ مِنَ المعَاصِي، وَيَمُوتَ على ذلكَ فَيَدْخُل النار بعدَ الموْتِ أَوْ يومَ القيامَةِ.

(وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ) من المعاصِي والمنْكَرَاتِ، فيمَا يَظْهَرُ للنَّاسِ (حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبيْنَها إلاَّ ذِراعٌ فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ)ما كُتِبَ لَهُ مِنَ السَّعادَةِ في

(1) هود:105-108

(الكِتابِ) المكتوبِ في بطنِ أُمِّهِ، (فَيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا)، وَلَعَلَّ هذا يكونُ تَارَةً كمَا وَقَعَ لإبليسَ، وإلاَّ فَكَلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ العَامِلِينَ.

وانقلابُ الحالِ منَ الكُفْرِ إلى الإيمانِ كثيرٌ ، وغَالِبُ النَّاسِ يَمُوتُونَ على مَا يَعِيشُونَ، وهذا الإبهامُ هُوَ الَّذِي قَطَعَ الاعتمادَ على الأعمالِ، وَأَقْلَقَ قلوبَ الأَخيارِ، فلا يَزَالُونَ بينَ الخَوفِ والرَّجاءِ، حتَّى يُجَاوِزُوا عَقَبَةَ الموتِ، وحينئذٍ يَعْلَمُ الإنسانُ بماذَا خَتَمَ اللهُ لَهُ.

أن نهاية بني آدم أحد أمرين:

إما الشقاء وإما السعادة، قال الله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) (1).

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) (2).

(1) هود: الآية105

(2) التغابن: الآية2

الْحَدِيثُ الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ: " مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ "(1). رَوَاهُ البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم " مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ "(2).

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ، أُمُّ المؤْمِنِينَ في التكريمِ، أُمُّ عبدِ اللهِ، كَنَّاهَا النبيُّ ﷺلَمَّا سَأَلَتْهُ أَنْ يُكَنِّيَهَا بِابنِ أُختِهَا أَسْمَاءَ، عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عنه.

أَسْلَمَتْ وهيَ صغيرةٌ، وعَقَدَ عليها الرسولُ ﷺوعُمُرُها سِتٌّ، ودَخَلَ بها وعُمُرُها تِسْعٌ، وكانتْ عَالِمَةً فقيهةً، رَوَتْ ثلاثةَ آلافٍ ومِائتَيْنِ وعَشَرَةَ أحاديثَ وهيَ أحبُّ الناسِ إلى الرسولِ ﷺ.

عائِشَةُ بنتُ الصِّدِّيقِ الأكبرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سَيِّدَةُ الأزواجِ بعدَ خَديجَةَ، حَبِيبَةُ رسولِ اللهِ ﷺالفَقِيهَةُ الكُبْرى،لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْراً غَيْرَها، تُوُفِّيَ عنها وعُمُرُها ثمانيَةَ عَشَرَ عاماً، ومَاتَتْ سَنَةَ سبعٍ أَوْ ثمانٍ وخمسينَ عَنْ ستٍّ وستِّينَ سنةً، ودُفِنَتْ بالبقيعِ مَعَ صُوَيْحِبَاتِهَا رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

الحديثُ قاعدةٌ عَظيمةٌ مِن قَواعدِ الإسلامِ، وهو مِن جَوامعِ كَلِمِه ﷺ ؛ ويُمَثِّلُ الشرطَ الثانيَ مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ العملِ، وهوَ المتَابَعَةُ. وهو صَريحٌ في ردِّ كلِّ البِدَعِ

---

(1) مُتَّفَقٌ عليه: أَخْرَجَهُ . بهذا اللفظ . مُسلِم في «الأقضية» (1718)، و البُخاريّ في «الصلح» باب: إذا اصطلحوا على صُلْحِ جَوْرٍ فالصلحُ مردودٌ (2697) بلفظ: «...مَا لَيْسَ فِيهِ...»، مِنْ حديثِ عائشة رضي الله عنها.

(2) باختلاف يسير أَخْرَجَهُ مُسلِم في «الأقضية» (1718)

والمخترَعاتِ وإبطالِ المنكَراتِ.وفيه الأمرُ باتِّباعِ سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺوالالتزامِ بها، والنَّهيُ عن كُلِّ بِدْعةٍ في دِينِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقالَ الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يَنْبَغِي حِفْظُهُ واستعمالُهُ فِي إبطالِ الْمُنْكَرَاتِ، وإشاعةُ الاسْتِدْلالِ بِهِ).

وقالَ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:(وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عظيمٌ مِن أُصولِ الإِسْلامِ، كَمَا أنَّ حديثَ ((الأعمالُ بالنِّيَّاتِ))مِيزانٌ للأعمالِ فِي باطنِهَا، وَهُو ميزانٌ للأعمالِ فِي ظاهرِهَا).

الشَّرحُ :

قوله : (مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)

(من) شرطية. و: **(أَحْدَثَ)** فعل الشرط، وجواب الشرط: **(فَهُوَ رَدٌّ)** أي مردود ،واقترن الجواب بالفاء لأنه جملة اسمية.

أيْ: مَن ابْتَدَعَ واسْتَحْدَثَ شيئاً في ديننا وشريعتنا ليسَ لهُ أصلٌ، لا في كتابٍ ولا سُنَّةٍ. فإنه مردود عليه حتى وإن صدر عن إخلاص، لقول الله تعالى: **(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)** (1).ولقوله تعالى: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** (2).

وفي روايةٍ لمسلم: **(مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهوَ رَدٌّ)** وهذه الرواية أعم من رواية **(مَنْ أَحْدَثَ)** ومعنى هذه الرواية: أن من عمل أي عمل في دِينِنَا الذي شَرَعَهُ اللَّهُ تعالى، سواء كان عبادة، أو كان معاملة، أو غير ذلك ليس عليه أمر

(1) البينة:5

(2) آل عمران:85

الله ورسوله فإنه مردودٌ عليهِ، وعليهِ إِثْمُهُ وإِثْمُ مَنْ تَبِعَهُ عليهِ؛ لأَنَّهُ لا مَكَانَ لهُ في الدِّينِ، ولوْ كانَ في وُجُودِهِ خَيْرٌ لَشَرَعَهُ اللَّهُ تعالى وَلَجَاءَ بِهِ الرسولُ ﷺ..

والبدعة لغة: هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلك قول الله تعالى: **(بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [1] أي مخترعهما.

وشرعًا: عرفها الامام الشاطبي بقوله : (البدعة طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) [2] .

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وفيه قوله ﷺ: (**وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)**

فالبِدْعَةُ: هيَ ما أُحدث في الدين من غير دليل .وهي ما أُحدث في دين الله ، وليس له أصل عام ولا خاص يدل عليه [3]

وعليه ، فالشيء لا يكون بدعة في الشرع إلا بتوافر امور ثلاثة، وهي :

1- الإحداثُ وهو الإتيان بالأمر الجديد المخترع، لقوله ﷺ**(مَنْ أَحْدَثَ)**.

2- أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين . لقوله ﷺ**(فِيْ أَمْرِنَا هَذَا)**.

3- ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي ؛ بطريق خاص أو عام . لقوله ﷺ**(لَيْسَ عَلِيْهِ أَمْرُنَا)** وقوله **(مَا لَيْسَ مِنْهُ)**.

وبهذا القيد تخرج المحدثات المتعلقة بالدين مما له أصل شرعي ، عام أو خاص .

فمما أُحدث في الدين وكان مستندًا إلى دليل شرعي عام : ما ثبت بالمصالح المرسلة ؛ مثل جمع الصحابة رضي الله عنهم للقرآن .

([1]) البقرة: 117 .

([2]) الاعتصام (1 / 51).

([3]) "قواعد معرفة البدع" (ص/18-23)

ومما أُحدث في هذا الدين وكان مستندًا إلى دليل شرعي خاص : إحداث صلاة التراويح جماعة في عهد عمر رضي الله عنه فإنه قد استند إلى دليل شرعي خاص

ما هي انواع البدعة و الإحداثُ في العبادات ؟

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صيامًا غير مشروع أو أعيادًا غير مشروعية واحتفالاتِ المَوَالِدِ والذَّهابِ لِمَا يُسَمَّى المَزَارَاتِ .

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة، كمَنْ تعمَّدَ زِيَادَةَ ركعةٍ فِي الصَّلاةِ المفروضةِ. والتَّلَفُّظِ بالنِّيَّةِ. والجهر بالصلاة على النبيِّ ﷺ عقِب الأذان على وجه يُوهِمُ أنه من الأذان

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة ، والدُّعَاءِ بعدَ الصلواتِ بطريقةٍ جَمَاعِيَّةٍ.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع، كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل

ومن قَسَّمَ الْبِدْعَة إلى: بِدْعَة حَسَنَة، وبِدْعَة سَيْئَة فهو غالط ومخطئ ومخالف لقوله ﷺ:«**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1]؛ لأن الرسول ﷺحكم على البدع كلها بأنها ضلالة. وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة .

([1]) رَوَاهُ مُسلِم , وفي رواية لابن ماجه: (وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) وفي رواية للنسائي:(وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ)

وقد قال مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ .: «مَنِ ابْتَدَعَ فِي الإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺخَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (1).؛ فَمَا لَمْ يَكُنْ . يَوْمَئِذٍ . دِينًا فَلَا يَكُونُ . اليَوْمَ . دِينًا»(2).

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: (**نعمت البدعة هي**) وقالوا أيضًا: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف، مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الْحَدِيث وتدوينه.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع، فليست محدثة.

وقول عمر: (**نعمت البدعة**) يريد البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل: إنه بدعه فهو بدعة لغة لا شرعًا؛ لأن البدعة شرعًا، ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه، وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي ﷺكان يأمر بكتابة القرآن. لكن كان مكتوبًا متفرقًا فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد – حفظًا له.

والتراويح قد صلاها النبي ﷺبأصحابه ليالي وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعًا متفرقين في حياة النبي ﷺوبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلف إمام واحد، كما كانوا خلف النبي ﷺوليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الْحَدِيث أيضًا لها أصل في الشرع فقد أمر النبي ﷺبكتابة الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك – وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺخشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه – فلما توفي ﷺانتفى هذا

---

(1) المائدة: 3

(2) ذَكَره الشاطبيُّ في «الاعتصام» (1/ 49).

المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ . فدون المسلمون السنة بعد ذلك حفظًا لها من الضياع.

أقوال العلماء في شرح حديث : (فان كل بدعة ضلالة) ؟ .

قال ابن عمر رضي الله عنه:(كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وإن رآها الناس حسنة). [1]

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه:(إياكم وما ابتُدع فإن ما ابتدع ضلال [2]

وقال ابن رجبٍ : (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) من جوامع الكلم لايخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين...و كل من أحدث شيئاُ ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين منه بريء) . [3]

وقال الشاطبي: قول النبيﷺ:(**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**) محمول عند العلماء على عمومه لايُستثنى منه شيء البتة ، وليس فيها ماهو حسن أصلاً , إذ لاحسن إلا ماحسَّنه الشرع ولا قبيح الا ماقبَّحه الشرع، فالعقل لا يحسِّن ولا يقبِّح,وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيحه أهل الضلال) [4].

قول النبي عليه الصلاة والسلام : (**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يوم القيامة**) [5] .

ورد في سبب الْحَدِيث أن النبي ﷺحث على الصدقة للقوم الذين جاؤوا من مضر في حاجة وفاقة، فجاء رجل بصرة من فضة فوضعها بين يدي النبي ﷺ ، فقال

([1]) وسنده صحيح كما قال الألباني في تخريج اصلاح المساجد ص(13).

([2]) رواه أبو داوود برقم(4611).

([3]) انظر جامع العلوم والحكم 266/1

([4]) انظر فتاوى الامام الشاطبي ص(181,180) .

([5]) أَخْرَجَهُ مُسلِم (2059/4، رقم 1017) ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

النبي ﷺ : (**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يوم القيامة**) .

وإذا عرفنا سبب الْحَدِيث وتنزل المعنى عليه تبين أن المراد بسن السنة سن العمل بها، وليس سن التشريع لأن التشريع لا يكون إلا لله ورسوله، وأن معنى الْحَدِيث من سن سنة أي ابتدأ العمل بها واقتدى الناس به فيها، كان له أجرها وأجر من عمل بها، هذا هو معنى الْحَدِيث المتعين.

فالِاستِدْلَالَ بِهِ علىٰ (إثباتِ البدعةِ الحسنةِ) في الإسلامِ؛ أبعدُ ما يكونُ عنِ الصَّوابِ! لأنَّهُ ليسَ في سياقِهِ ذكرٌ لبدعَةٍ وقَعَتْ فيهِ، فكيف يصحُّ تفسيرُ الحديثِ بقولِهِمْ "منِ ابتدعَ في الإسلامِ بدْعَةً حسنةً"! كمَا يقولُ المبتدعةُ؟! وهوَ ﷺ إنَّما قالَهُ بمناسبةِ مجيءِ الأنصاريِّ بصدقَتِهِ قبْلَ غيرِهِ، ثُمَّ تتَابَعَ النَّاسُ بصدقاتِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ؛ فكانَ لَهُ أجْرُ صَدَقَتِهِ، وأجْرُ صدقاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ الذي كانَ (سنَّها وابتدأَهَا في ذٰلكَ المجلسِ)! فالحديثُ في (الصَّدقَةِ المشروعةِ)، وليس في (البدعةِ المذمومةِ) ذمًّا عامًّا!

وبذٰلِكَ يتبيَّنُ لكلِّ ذي عَيْنَينِ!!: أنَّ الحديثَ لا يعارِضُ قولَهُ ﷺ: (**كُلُّ بدْعَةٍ ضَلالَةٌ**)! إذِ الحديثُ في الحثِّ علَىٰ (إحياءِ السُّننِ)، لا في الحضِّ علَىٰ (إحْدَاثِ البدعِ)!

أو يحمل على أن المراد:(**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**) من فعل وسيلة يتوصل بها إلى العبادة واقتدى الناس به فيها، كتأليف الكتب، وتبويب العلم، وبناء المدارس، وما أشبه هذا مما يكون وسيلة لأمر مطلوب شرعاً، فإذا ابتدأ الإنسان هذه الوسيلة المؤدية للمطلوب الشرعي وهي لم ينه عنها بعينها، كان داخلاً في هذا الحديث.ولو كان معنى الْحَدِيث أن الإنسان له أن يشرع ما شاء،

لكان الدين الإسلامي لم يكمل في حياة رسول الله ﷺ، ولكان لكل أمة شرعة ومنهاج، وإذا ظن هذا الذي فعل هذه البدعة أنها حسنة فظنه خاطئ، لأن هذا الظن يكذبه قول الرسول عليه الصلاة والسلام:(**كل بدعة ضلالة**) [1].

(1) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الثاني – باب البدعة.

الْحَدِيث السادس

عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بِشِيْرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: (إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُوْرٌ مُشْتَبِهَات لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِه، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ. أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى . أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ القَلْبُ) [1]

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

هوَ أبو عبدِ اللَّهِ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الأنصاريُّ الخَزْرَجِيُّ، هوَ وأَبُوهُ وأُمُّهُ صَحَابَةٌ، سَكَنَ الشامَ ووَلِيَ إِمْرَةَ الكوفةِ.قُتِلَ في حِمْصَ سنةَ أربعٍ وسِتُّونَ مِن الهجرةِ، ولهُ مائةٌ وأربعةُ أحاديثَ.

موضوعُ الحديثِ:

الورعُ وتركُ الشُّبُهَاتِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

الحديثُ قاعدةٌ عَظِيمَةٌ مِن قَواعِدِ الشَّريعةِ ، قَالَ عَنْه أَبُو داوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الإِسْلامُ يَدورُ عَلَى أربعةِ أحاديثَ، ثمَّ ذَكَرَ مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثَ.

([1]) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (52)، ومُسلِم (1599) واللفظ له

الشَّرحُ :

قوله: (إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ) ظاهرٌ حُكْمُهُ

في هذا الْحَدِيث تقسيم للأحكام إلى ثلاثة أقسام:

1.حلال بيّن كلٌّ يعرفه. كَالْخُبْزِ والفواكهِ والعسلِ، والمشروباتِ الحلالِ كالماءِ واللبنِ، والملابسِ المتَنَوِّعَةِ مِن الأقمشةِ والصوفِ والقُطْنِ والمعَامَلاتِ مِنْ بَيْعٍ وقَرْضٍ وإِجَارَةٍ ومِنْ نِكَاحٍ.

2.حرامٌ بيّن كلٌّ يعرفه. كأكلِ الميتةِ والدمِ ولحمِ الخنزيرِ وشُرْبِ الخَمْرِ، والمَلْبُوساتِ المحَرَّمَةِ كالحريرِ والذهبِ للرَّجُلِ، وكالزِّنا والغِيبَةِ والنميمةِ والحِقْدِ والحسدِ.

3.مشتبه لا يُدْرَى هلْ هيَ حلالٌ فَتُفْعَلَ أمْ حرامٌ فَتُتْرَكَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: (الْمُشتَبِهاتُ معناهُ أنَّها لَيْسَتْ بواضحةِ الحِلِّ والْحُرمةِ، وَلِهَذَا لا يَعْرِفُهَا كثيرٌ مِن النَّاسِ، وأمَّا الْعُلَمَاءُ فيَعرِفونَ حُكْمَهَا بِنَصٍّ أَو قِياسٍ، فَإِذَا تَرَدَّدَ الشَّيءُ بَيْنَ الحِلِّ والْحُرمةِ، وَلَمْ يَكُنْ نصٌّ وَلا إِجْمَاعٌ اجْتَهَدَ فِيهِ الْمُجْتَهِدُ، فأَلْحَقَهُ بأحدِهِما بالدَّليلِ الشَّرْعِيِّ). [1]

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو أن يُوجَد الشيء ولا يُعْرف له أصلٌ متقدِّمٌ في التحريم ولا في التحليل، وقد استوى وجْهُ الإمكان فيه حِلًّا وحُرمةً؛ فإن الورع فيما هذا سبيله: الترك والاجتناب[2]

وقال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الجملة: فما تَرَكَ الله ورسوله حلالًا إلا مُبَيَّنًا، ولا حرامًا إلا مُبَيَّنًا، لكنَّ بعْضَه كان أظْهَر بيانًا من بعض، فما ظَهَرَ بيانُه واشتَهَر

([1]) شرح النَّوويّ على مُسلِم (11/27-28)

([2]) معالم السنن (3/56)

وعُلِمَ من الدِّين بالضرورة من ذلك لم يبقَ فيه شك، ولا يُعذر أحد بجهله في بلد يَظْهَرُ فيه الإسلام، وما كان بيانه دون ذلك فمنه ما اشْتَهَر بين حملة الشريعة خاصة، فأَجْمَعَ العلماء على حِلِّهِ أو حُرمته، وقد يخفى على بعضِ من ليس منهم، ومنه ما لم يشتهر بين حملة الشريعة أيضًا، فاختلفوا في تحليله وتحريمه؛ وذلك لأسباب:

منها: أنه قد يكون النَّص عليه خفيًّا لم ينقله إلا قليل من الناس، فلم يبلغ جميعَ حملة العلم.

ومنها: أنه قد يُنْقَلُ فيه نَصَّان، أحدهما بالتحليل، والآخر بالتحريم، فيبلغُ طائفةً أحدُ النصين دون الآخرين، فيتمسكون بما بَلَغَهم، أو يَبْلُغُ النَّصَّان معًا من لم يبلغه التاريخ فيقف؛ لعدم معرفته بالناسخ.

ومنها: ما ليس فيه نص صريح، وإنما يؤخذ من عمومٍ أو مفهومٍ أو قياسٍ، فتختلف أفهام العلماء في هذا كثيرًا.

ومنها: ما يكون فيه أمر، أو نهي، فيَخْتَلف العلماء في حَمْلِ الأمر على الوجوب أو النَّدْبِ، وفي حمل النهي على التحريم أو التنزيه، وأسباب الاختلاف أكثر مما ذكرنا.

ومع هذا فلا بد في الأُمَّة من عالِمٍ يوافق قولُه الحقَّ، فيكون هو العالِمُ بهذا الحكم، وغيره يكون الأمر مُشْتَبِهًا عليه، ولا يكون عالمًا بهذا، فإن هذه الأُمَّة لا تجتمع على ضلالة، ولا يَظْهَرُ أهلُ باطلها على أهل حقِّها، فلا يكون الحق مهجورًا غير معمول به في جميع الأمصار والأعصار[1]

([1]) جامع العلوم والحكم (1/ 204–205)

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ:من الاشتباه: أن يقع للرَّجُل حادثة يشْتَبِهُ عليه وجْهُ الحكم فيها بين الحِلِّ والحُرمة، فسبيله إن كان عالمًا أن يجتهد، وإن كان عاميًّا أن يسأل أهل العلم، ولا يجوز له سلوك سبيل الاستباحة من غير اجتهاد، أو تقليد مجتهد إن كان عاميًّا. [1]

(**لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ**) يعني هذه المشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ويعلمهن كثير، فكثير لا يعلم وكثير يعلم، والمرَادُ بِهَؤُلاءِ النَّاسِ العَامَّةُ الذينَ لا فِقْهَ عِنْدَهُم ولا عِلْمَ، أوْ مَنْ عِنْدَهُ علمٌ قليلٌ، أوْ مَنْ عِلْمُهُ في فَنٍّ مِن الفُنُونِ الأُخْرَى، ولا عِلْمَ لهُ بالشريعةِ.

(**فَمَن اِتَّقَى الشُّبُهَاتِ**) ابتعدَ عن المشكِلاتِ واحترزَ منها، وجعَلَ بَيْنَهُ وبَيْنَها وِقايَةً مِن الوَرَعِ، وذلكَ بِتَرْكِهَا، فيكونُ المرادُ: فَمَنْ تَرَكَ المشْتَبِهَاتِ وتَوَقَّى المشكلاتِ ولَمْ يَقَعْ فيها تَوَرُّعاً وبُعْداً عن الإثمِ..

(**فَقَدِ اِسْتَبْرَأَ**)أي أخذ البراءة.

(**لِدِيْنِهِ**) فيما بينه وبين الله تعالى.

(**وَعِرْضِهِ**) فيما بينه وبين الناس، لأن الأمور المشتبهة إذا ارتكبها الإنسان صار عرضة للناس يتكلمون في عرضه وكذلك فيما بينه وبين الله تعالى.

(**وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ**) هذه جملة شرطية.

(**وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ**) أيْ: مَنْ تَجَرَّأَ على اللَّهِ وَوَقَعَ في المخْتَلَفِ فيهِ بلا عِلْمٍ أوْ في المشْكُوكِ فيهِ وقعَ في الإثمِ؛ لِعَدَمِ وَرَعِهِ وتَقْوَاهُ ولِعَدَمِ عِلْمِهِ ولاتِّبَاعِهِ لِهَوَاهُ، فالوقوعُ في المخْتَلَفِ فيهِ يُؤَدِّي إلى الوقوعِ في الإثمِ ويَدْعُو إلى التَّسَاهُلِ في الأحكامِ.

([1]) شرح السنة (16/8)

(كَالرَّاعِي) أي راعي الإبل أو البقر أو الغنم. هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ ﷺللمُحَرَّمَاتِ بالمكانِ المِحْمِيِّ مِن الدخولِ إليهِ لوُجُودِ كلأٍ فيهِ ورَعْيٍ وثمارٍ مَنَعَهُ الإمامُ عن الناسِ وجَعَلَهُ لدَوَابِّهِ.

(يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى) أي حول المكان المحمي،لأنه قد يُتخذ مكانٌ يُحمَى فلا يُرعَى فيه إما بحق أو بغير حق،والراعي حول هذه القطعة.

(يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ) أي يقرب أن يقع فيه،لأن البهائم إذا رأت هذه الأرض المحمية مخضرة مملوءة من العشب فسوف تدخل هذه القطعة المحمية،ويصعب منعها، كذلك المشتبهات إذا حام حولها العبد فإنه يصعب عليه أن يمنع نفسه عنها.

وبهذا المثال يقرب أن معنى قوله (مَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ) أي أوشك أن يقع في الحرام، لأن المثال يوضح المعنى.

ثم قال النبي ﷺ :(أَلاَ) أداة استفتاح،فائدتها:التنبيه على ما سيأتي.

(وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى) أيْ: لكلِّ راعٍ وسلطانٍ مكاناً يَحْمِيهِ مِن الدخولِ إليهِ ومِن الرَّعْيِ فيهِ.

(أَلاَ وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ) هذه جملة مؤكدة بـ (إن) وأداة الاستفتاح (ألا) والمعنى:ألا وإن حمى الله محارم الله،فإياك أن تقربها،لأن محارم الله كالأرض المحمية للملك لا يدخلها أحد. فَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَهُ ووقعَ في مَعَاصِيهِ اسْتَحَقَّ العقابَ

(أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ) هذه أيضاً جملة مؤكدة بـ (ألا)و(إنَّ) والمعنى:ألا وإن في جسد الإنسان مضغة،أي قطعة لحم بقدر ما يمضغه الإنسان عند الأكل،وهي بمقدار الشيء الصغير.

(إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ،وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ) رتب النبي ﷺالجزاء على الشرط،فمتى صلح القلب صلح الجسد،وإذا فسدت فسد الجسد كله.

وقد مثل بعض العلماء هذا بالملك،إذا صلح صلُحت رعيته،وإذا فسد فسدت.

لكن نظر فيه العلماء المحققون وقالوا:هذا المثال لا يستقيم، لأن الملك ربما يأمر ولا يُطاع،والقلب إذا أمر الجوارح أطاعته ولابد،فهو أبلغ

الْحَدِيث السابع

عَنْ أَبِيْ رُقَيَّةَ تَمِيْم بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قَالَ:(الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَارَسُولَ اللهِ؟قَالَ: للهِ،ولكتابه،ولِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ،وَعَامَّتِهِمْ) (1)

ترجمةُ الصحَابِيِّ رَاوِي الحديثِ:

عَنْ أَبِيْ رُقَيَّةَ هذه كنية بأنثى، والغالب أن الكنية تكون بذكر، لكن قد تكون بأنثى لا سيما إذا اشتهر، وقد تكون بغير الإنسان كأبي هريرة مثلاً، فأبو هريرة رضي الله عنه اشتهر بهذه الكنية من أجل أنه كان معه هرة ألفها وألفته فكنّي أبا هريرة.

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

أَهَمِّيَّةُ النَّصِيحَةِ، أو وُجُوبُ النَّصِيحَةِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هذا الْحَدِيثُ لَه شَأْنٌ عظيمٌ؛ لأَنَّهُ يَنُصُّ عَلَى أَنَّ عِمادَ الدِّينِ وقِوامَهُ النَّصيحَةُ، فبُوجودِهَا يَبْقَى الدِّينُ قائمًا فِي المسلمينَ، وبِعَدَمِهَا يَدْخُلُ النَّقصُ عَلَى المسلمينَ فِي جَمِيعِ شؤونِ حياتِهِم.

---

(1)رواه مُسلِم رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيحه" (55) عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه .و أَخْرَجَهُ أبو داود (4944)، والنسائي (4197) واللفظ لهما.

الشَّرحُ :

(**الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ**) مثل قوله: ما الدين إلا النصيحة، فإذا كان طرفا الجملة معرفتين كان ذلك من باب الحصر. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: "عماد الدين وقوامه النصحية، كَقَوْلِهِ: الْحَجُّ عَرَفَةُ"(1)

وأَصْلُ النُّصْحِ: الخُلُوصُ، ومِنْهُ: نَصَحْتُ العَسَلَ، أي: صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ وخَلَّصْتَهُ مِنْهُ.

والنَّصِيحَةُ: كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ إِرَادَةِ الخَيْرِ للمَنْصُوحِ لَهُ."(2)

وقوله: (**الدِّيْنُ**) يعني بذلك دين العمل، لأن الدين ينقسم إلى قسمين:دين عمل ودين جزاء. فقوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (3) المراد به: دين الجزاء، وقوله تعالى: (**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً**) (4) المراد به: دين العمل.

وقوله هنا:(**الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ**) المراد به دين العمل، والنصيحة بمعنى إخلاص الشيء.

وأبهم النبي ﷺلمن تكون النصيحة من أجل أن يستفهم الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك، لأن وقوع الشيء مجملاً ثم مفصلاً من أسباب رسوخ العلم،لأنه إذا أتى مجملاً تطلعت النفس إلى بيان هذا المجمل، فيأتي البيان والنفس متطلعة إلى ذلك متشوفة له،فيرسخ في الذهن أكثر مما لوجاء البيان من أول مرة.

---

(1)شرح النَّوويّ على مُسلِم" (2/ 37).

(2)ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "النهاية" (5/ 63):

(3) الفاتحة:4

(4) المائدة: 3

وفي بعض ألفاظه: (**الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ**) ثَلاثاً يعني قالها ثلاثاً الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة

(**قُلْنَا:لِمَنْ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: للهِ،ولكتابه،ولِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ**)

النصيحة لله تتضمن أمرين:

الأول: صحةُ الاعتقادِ في وحدانيته و ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

الثاني: وإخلاصُ النية في عبادته . (1)

وقال النَّوويّ رَحِمَهُ اللَّهُ:" أَمَّا النَّصِيحَةُ لِلَّهِ تَعَالَى: فَمَعْنَاهَا مُنْصَرِفٌ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَنَفْيِ الشَّرِيكِ عَنْهُ، وَتَرْكِ الْإِلْحَادِ فِي صِفَاتِهِ، وَوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ كُلِّهَا، وَتَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَالْحُبِّ فيه، والبغض فيه، وموالاة من أطاعه ومعاداة مَنْ عَصَاهُ، وَجِهَادِ مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالِاعْتِرَافِ بِنِعْمَتِهِ وَشُكْرِهِ عَلَيْهَا، وَالْإِخْلَاصِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَالدُّعَاءِ إِلَى جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، وَالتَّلَطُّفِ فِي جَمعِ النَّاسِ أَوْ مَنْ أَمْكَنَ مِنْهُمْ عَلَيْهَا "(2)

والنصيحة لكتابه تتضمن أموراً منها:

الأول: الذبّ عنه، بأن يذب الإنسان عنه تحريف المبطلين، ويبيّن بطلان تحريف من حرّف.

الثاني: تصديق خبره تصديقاً جازماً لا مرية فيه، فلو كذب خبراً من أخبار الكتاب لم يكن ناصحاً، ومن شك فيه وتردد لم يكن ناصحاً.

---

(1) جامع العلوم والحكم" (1/ 229)

(2) شرح النَّوويّ على مُسلِم" (2/ 38).

الثالث: امتثال أوامره فما ورد في كتاب الله من أمر فامتثله، فإن لم تمتثل لم تكن ناصحاً له.

الرابع: اجتناب ما نهى عنه، فإن لم تفعل لم تكن ناصحاً.

الخامس: أن تؤمن بأن ما تضمنه من الأحكام هو خير الأحكام، وأنه لا حكم أحسن من أحكام القرآن الكريم.

السادس: أن تؤمن بأن هذا القرآن كلام الله عزّ وجل حروفه ومعناه، تكلم به حقيقة، وتلقاه جبريل من الله عزّ وجل ونزل به على قلب النبي ﷺليكون من المنذرين بلسان عربي مبين. (1)

والنصيحة لرسوله تكون بأمور منها:

الأول: تجريد المتابعة له، وأن لا تتبع غيره،لقول الله تعالى: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**) (2)

الثاني: الإيمان بأنه رسول الله حقاً، لم يَكذِب، ولم يُكذَب، فهو رسول صادق مصدوق.

الثالث: أن تؤمن بكل ما أخبر به من الأخبار الماضية والحاضرة والمستقبلة.

الرابع: أن تمتثل أمره.

الخامس: أن تجتنب نهيه.

السادس: أن تذبّ عن شريعته.

السابع: أن تعتقد أن ما جاء عن رسول الله فهو كما جاء عن الله تعالى في لزوم العمل به، لأن ما ثبت في السنة فهو كالذي جاء في القرآن.قال الله تعالى:

---

(1) ابن عثيمين : شرح الأربعين النَّووِيّة" (ص 116).

(2) الأحزاب:21

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (1) وقال تعالى (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (2)

الثامن: نصرة النبي ﷺإن كان حياً فمعه وإلى جانبه، وإن كان ميتاً فنصرة سنته ﷺ. (3)

(وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ) أئمة جمع إمام، والإمام: القدوة كما قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ) (4) أي قدوة، ومنه قول عباد الرحمن: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (5)

وأئمة المسلمين صنفان من الناس:

الأول: العلماء، والمراد بهم العلماء الربانيون الذين ورثوا النبي ﷺعلماً وعبادة وأخلاقاً ودعوة، وهؤلاء هم أولو الأمر حقيقة، لأن هؤلاء يباشرون العامة، ويباشرون الأمراء، ويبينون دين الله ويدعون إليه

الثاني: من أئمة المسلمين: الأمراء المنفذون لشريعة الله،

ولهذا نقول: العلماء مبينون، والأمراء منفذون يجب عليهم أن ينفذوا شريعة الله عزّ وجل في أنفسهم وفي عباد الله.

والنصيحة للعلماء تكون بأمورٍ منها:

الأول: محبتهم، لأنك إذا لم تحب أحداً فإنك لن تتأسّى به.

---

(1) النساء: الآية59

(2) النساء: الآية80

(3) ابن عثيمين : شرح الأربعين النَّووِيّة" (ص 117).

(4) النحل: الآية120

(5) الفرقان: الآية74

الثاني: معونتهم ومساعدتهم في بيان الحق، فتنشر كتبهم بالوسائل الإعلامية المتنوعة التي تختلف في كل زمان ومكان.

الثالث: الذبّ عن أعراضهم، بمعنى أن لا تقرّ أحداً على غيبتهم والوقوع في أعراضهم،وإذا نسب إلى أحدٍ من العلماء الربانيين شيء يُستنكر فعليك أن تتخذ هذه المراحل:

المرحلة الأولى: أن تتثبت من نسبتهِ إليه، فكم من أشياء نسبت إلى عالم وهي كذب، فلابد أن تتأكد، فإذا تأكدت من نسبة الكلام إليه

المرحلة الثانية : أن تتأمل هل هذا محل انتقاد أم لا؟ لأنه قد يبدو للإنسان في أول وهلة أن القول منتقد، وعند التأمل يرى أنه حق، فلابد أن تتأمل حتى تنظر هل هو منتقد أو لا؟

المرحلة الثالثة: إذا تبيّن أنه ليس بمنتقد فالواجب أن تذبّ عنه وتنشر هذا بين الناس، وتبين أن ما قاله هذا العالم فهو حق وإن خالف ما عليه الناس.

المرحلة الرابعة: إذا تبين لك حسب رأيك أن ما نسب إلى العالم وصحت نسبته إليه ليس بحق،فالواجب أن تتصل بهذا العالم بأدب ووقار،وتقول: سمعت عنك كذا وكذا،وأحب أن تبين لي وجه ذلك، لأنك أعلم مني،فإذا بيّن لك هذا فلك حق المناقشة،لكن بأدب واحترام وتعظيم له بحسب مكانته وبحسب ما يليق به.

وإذا رأيت منهم خطأ فلا تسكت وتقول: هذا أعلم مني، بل تناقش بأدب واحترام، لأنه أحياناً يخفى على الإنسان الحكم فينبهه من هو دونه في العلم فيتنبه وهذا من النصيحة للعلماء.

الخامس : أن تدلهم على خير ما يكون في دعوة الناس، فإذا رأيت هذا العالم محباً لنشر العلم ويتكلم في كل مكان وترى الناس يتثاقلونه ويقولون هذا أثقل علينا،

كلما جلسنا قام يحدّث،فمن النصيحة لهذا العالم أن تشير عليه أن لا يتكلم إلا فيما يناسب المقام، لا تقل:إني إذا قلت ذلك منعته من نشر العلم، بل هذا في الواقع من حفظ العلم، لأن الناس إذا ملّوا سئموا من العالم ومن حديثه.

ولهذا كان النبي ﷺيتخول أصحابه بالموعظة، يعني لا يكثر الوعظ عليهم مع أن كلامه ﷺمحبوب إلى النفوس لكن خشية السآمة، والإنسان يجب أن يكون مع الناس كالراعي يختار ما هو أنفع وأجدى.

ومن النصيحة للأمراء:

أولا : قال ابنُ دقيق العيد رحمه الله: «وأمَّا النصيحةُ لأئمَّةِ المسلمين: فمُعاوَنَتُهم على الحقِّ وطاعتُهم وأَمْرُهم به، وتنبيهُهم وتذكيرُهم برِفْقٍ ولُطْفٍ، وإعلامُهم بما غَفَلوا عنه، وتبليغُهم مِنْ حقوق المسلمين، وتركُ الخروجِ عليهم بالسيف، وتأليفُ قلوبِ الناس لطاعتِهم، والصلاةُ خَلْفَهم، والجهادُ معهم، وأَنْ يَدْعُوَ لهم بالصلاح»(1)

ثانيا: امتثال ما أمروا به وما نهوا عنه، إلا إذا كان في معصية الله عزّ وجل لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وامتثال طاعتهم عبادة وليست مجرد سياسة، بدليل أن الله تعالى أمر بها فقال عزّ وجل: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمر منكم**). (2)

ولا يشترط في طاعتهم ألاّ يعصوا الله،فأطعهم فيما أمروا به وإن عصوا الله، لأنك مأمور بطاعتهم وإن عصوا الله في أنفسهم.

---

(1) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (٥٣).

(2) النساء:59

ثالثا: عدم الخروج عليهم، وعدم المنابذة لهم، ولم يرخص النبي ﷺ في منابذتهم إلا كما قال:" **أَنْ تَرَوا** " أي رؤية عين، أو رؤية علم متيقنة."

" **كُفْرَاً بَوَاحَاً** " أي واضحاً بيّناً." **عِنْدَكُمْ فِيْهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ** "أي دليل قاطع.

ثم إذا جاز الخروج عليهم بهذه الشروط فهل يعني ذلك أن يخرج عليهم ؟ لأن هناك فرقاً بين جواز الخروج، وبين وجوب الخروج.

والجواب: لا نخرج حتى ولو رأينا كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان،إلا حيث يكون الخروج مصلحة،وليس من المصلحة أن تقوم فئة قليلة سلاحها قليل في وجه دولة بقوتها وسلاحها، لأن هذا يترتب عليه إراقة الدماء واستحلال الحرام دون ارتفاع المحذور الذي انتقدوا به الأمراء،كما هو مشاهد من عهد خروج الخوارج في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلى يومنا هذا،حيث يحصل من الشر والمفاسد ما لا يعلمه إلا ربُّ العباد.لكن بعض الناس تتوقد نار الغيرة في قلوبهم ثم يحدثون ما لا يحمد عقباه، وهذا غلط عظيم.

قال: (**وَعَامَّتُهُمْ**) أي عوام المسلمين، والنصح لعامة المسلمين بأن تبدي لهم المحبة، وبشاشة الوجه، وإلقاء السلام، والنصيحة، والمساعدة ، وغير ذلك مما هو جالب للمصالح دافعٌ للمفاسد.

واعلم أن خطابك للواحد من العامة ليس كخطابك للواحد من الأمراء، وأن خطابك للمعاند ليس كخطابك للجاهل، فلكل مقام مقال، فانصح لعامة المسلمين ما استطعت.

وبهذا نعرف أن هذا الْحَدِيث على اختصاره جامع لمصالح الدنيا والآخرة.

الْحَدِيث الثامن

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ وَيُقِيْمُوْا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهَمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى) (1)

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

حُرْمَةُ دَمِ المسْلِمِ ومَالِهِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هذا الْحَدِيثُ عظيمٌ؛ لأنَّهُ يَنُصُّ عَلَى قواعدِ الدِّينِ وأُصولِهِ، مِن:

- توحيدِ اللَّهِ.
- وإقامةِ الصَّلاةِ.
- وإيتاءِ الزَّكاةِ.
- والجهادِ فِي سبيلِهِ.
- وإقامةِ باقي وَاجباتِ الإِسْلامِ.
- كَمَا يَنُصُّ عَلَى حُرْمَةِ دمِ المسلمِ ومالِهِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسلِم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، (1/ 53)، برقم: (23).

الشَّرحُ :

(**أُمِرْتُ**) أي أمرني ربي. والمخاطَبُ بالأَمْرِ: هو الرَّسُولُ ﷺ. والآمِرُ لَهُ: هُوَ الرَّبُّ تَعَالَى.

والأمرُ: هُوَ قَوْلٌ يَتَضَمَّنُ طَلَبَ الفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ، أي أن الآمر أو طالب الفعل يرى أنه في منزلة فوق منزلة المأمور، لأنه لو أمر من يساويه سمي عندهم التماساً، ولو طلب ممن فوقه سمي دعاءً وسؤالاً.

وقوله: (**أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ**) هذا المأمور به.و (أَنْ) تَفْسِيرِيَّةٌ تُفَسِّرُ الأَمْرَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ وهو القِتَالُ. ومَعْنَى (أُقَاتِلَ) أي: أُجَاهِدَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الجِهَادَ مِمَّنْ أُهْدِرَ دَمُهُ، ورَخُصَتْ نَفْسُهُ، وضَيَّعَ حَقَّ رَبِّهِ.

والمقاتلة غير القتل. وَقَالَ بنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي شَرْحِ الْعُمْدَةِ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى مَنِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى ذَلِكَ لَا يَلْزَمُ مِنْ إِبَاحَةِ الْمُقَاتَلَةِ إِبَاحَةُ الْقَتْلِ؛ لِأَن الْمُقَاتلَة مُفاعَلة تَسْتَلْزِم وَقع الْقِتَالِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَلَا كَذَلِكَ الْقَتْلُ، وَحَكَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ الْقِتَالُ من الْقَتْل بسبيل، فقد يَحِلُّ قِتَالُ الرَّجُلِ وَلَا يَحِلُّ قَتْلُه(1)

-فالمقاتلة: أن يسعى في جهاد الأعداء حتى تكون كلمة الله هي العليا.

-والقتل: أن يقتل شخصاً بعينه، ولهذا نقول: ليس كل ما جازت المقاتلة جاز القتل، فالقتل أضيق ولا يجوز إلا بشروط معروفة، والمقاتلة أوسع، قال الله تبارك وتعالى:(**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا**

---

(1) أفتح الباري لابن حجر.(1/ 76)

رابط المادة: http://iswy.co/e2eero

عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) (1) فأمر بقتالها وهي مؤمنة لايحل قتلها ولا يباح دمها لكن من أجل الإصلاح.

وقاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة ولكن لايقتلهم، بل قاتلهم حتى يذعنوا للحق .

المقصود بالناس هنا المشركون المحاربون؛ لا أهل الكتاب، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»؛ مُرَادُهُ قِتَالُ الْمُحَارِبِينَ الَّذِينَ أَذِنَ اللَّهُ فِي قِتَالِهِمْ، لَمْ يُرِدْ قِتَالَ الْمُعَاهَدِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِوَفَاءِ عَهْدِهِمْ"(2)

(حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله) وهَذَا هُوَ المانِعُ الأَوَّلُ مِنَ القِتَالِ

(حتى) هل هي للتعليل بمعنى أن أقاتل ليشهدوا، أو هي للغاية بمعنى أقاتلهم إلى أن يشهدوا؟

والجواب: (حتى) تأتي للتعليل يعني أقاتلهم إلى أن يشهدوا وتأتي للغاية، إلى أن يشهدوا.فغَايَةُ ونِهَايَةُ المقَاتَلَةِ وُجُودُ مَا ذُكِرَ مِنَ الشَّهَادَةِ ومَا بَعْدَهَا.

والمعنى : أي: يَقُولُوا وَيَعْتَقِدُوا ويَعْتَرِفُوا اعْتِرَافاً جَازِماً أَنَّ المعْبُودَ بحَقٍّ هو اللَّهُ وَحْدَهُ مَعَ العِلْمِ واليَقِينِ، والإِخْلاصِ والانْقِيادِ، والصِّدْقِ والقَبُولِ، والمحَبَّةِ لِمَا يَعْتَقِدُهُ.

(أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله) أي لا معبود حقّ إلا الله عزّ وجل، فهو الذي عبادته حقّ، وما سواه فعبادته باطلة.

---

(1) الحجرات: الآية9

(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية.(20/19)

(وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ) يَعْتَرِفُون اعْتِرَافاً جَازِماً بظَاهِرِهِمْ وبَاطِنِهِمْ أَنَّ مُحَمَّداً مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.ويُصَدِّقُون بِمَا جَاءَ بِهِ.ويُطِيعُونه فِيمَا أَمَرَ.ويَجْتَنِبُون مَا عنهُ نَهَى وزَجَرَ.

وأَنْ لاَ يُعْبَدَ اللَّهُ إِلاَّ بِمَا شَرَعَ.محمد: هو ابن عبد الله، وأبرز اسمه ولم يقل: وأني رسول الله للتفخيم والتعظيم. ورسول الله: يعني مرسله.

(وَيُقِيْمُوا الصَّلاةَ) هَذَا هو المانِعُ الثَّانِي مِنَ القِتَالِ. أي: يَأْتُوا بِهَا عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ إِذْ يَقُولُ: ((**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**)). فَمَنْ أَقَرَّ بها وَلَمْ يُصَلِّ يُقَاتَلُ. مَنْ صَلَّى بَعْضَهَا وتَرَكَ البَعْضَ الآخَرَ يُقَاتَلُ. ومَنْ أَدَّاها فَقَدْ عَصَمَ دَمَهُ.

(وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) هَذَا هو المانِعُ الثَّالِثُ مِنَ القِتَالِ و(**يُؤْتُوهَا**) أي: يُعْطُوهَا لِمُسْتَحِقِّيها بشُرُوطِهَا ومَقَادِيرِهَا. فَمَنْ جَحَدَهَا قُوتِلَ. ومَنْ جَحَدَ بَعْضَهَا قُوتِلَ. ومَنْ مَنَعَها قُوتِلَ.

(فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ) أي: إِذَا جَاءُوا بالتَّوْحِيدِ والصَّلاةِ والزَّكَاةِ

(عَصَمُوا) مَنَعُوا دِمَاءَهُمْ مِنَ السَّفْكِ ومَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ القَتْلِ.

(مِنِّي دِمَاءهَم وَأَمْوَالَهُم) أي فلا يحل أن أقاتلهم وأستبيح دماءهم، ولا أن أغنم أموالهم، فَلا تُؤْخَذُ جِزْيَةٌ ولا تُسْلَبُ غَنِيمَةٌ، ولا يُعْتَدَى عَلَيْهِم؛ لأَنَّهَا أَصْبَحَتْ مُحْتَرَمَةً بإِسْلامِهِمْ، ومُصَانَةً بإِيمَانِهِم.. وهذا يَدُلُّ عَلَى: أَنَّ دَمَ المسْلِمِ غَالٍ. وأَنَّ الإِسْلامَ يَحْفَظُ أَهْلَهُ. وأَنَّ دَمَ الكَافِرِ رَخِيصٌ مُهْدَر.

(إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ) المرَادُ أَنَّ الدِّمَاءَ والأَمْوالَ تُعْصَمُ بهذِهِ الأُمُورِ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَ الإِنْسَانُ بِمَا يُبِيحُ دَمَهُ:كالزِّنَى مِنَ الثَّيِّبِ.وقَتْلِ النَّفْسِ عَمْداً بغَيْرِ حَقٍّ. والرِّدَّةِ عَنِ الإِسْلامِ...

(**وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى**) أي: يُعَامَلُونَ بالظَّاهِرِ، وأَمَّا البَاطِنُ فهو للَّهِ تعالَى؛ إِذْ يَتولَّى سَرَائِرَهُمْ ويَعْلَمُ بَوَاطِنَهُمْ:ا نْ صَدَقُوا فِي انْتِسَابِهِمْ للإِسْلامِ أَفْلَحُوا. وإِنْ كَذَبُوا خَسِرُوا.

وخَصَّ التَّوْحِيدَ والصَّلاةَ والزَّكَاةَ -مَعَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ غَيْرَهَا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلامِ كَفَرَ- لعِظَمِهَا والاهْتِمَامِ بأَمْرِهَا؛ لأَنَّهَا عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّةٌ وبَدَنِيَّةٌ ومَالِيَّةٌ.

بالإِضافَةِ إلى أَنَّ الشَّهَادَةَ بالرِّسَالَةِ تَتَطَلَّبُ الإِتْيَانَ بجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

بَلْ نَصُّ الحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى دُخُولِ جَمِيعِ الأَرْكَانِ فِي ذَلِكَ لقَوْلِهِ: ((**إِلاَّ بحَقِّ الإِسْلامِ**)) أي: جَمِيعِ المأْمُورَاتِ يَأْتُونَ بِهَا.

الحَدِيث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺيَقُوْلُ: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ) رَوَاهُ البُخَارِيّ ومسلم

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

أَبو هُرَيْرَةَ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ صخرٍ الدَّوْسِيُّ ، أَسْلَمَ عامَ خَيْبَرَ، وَلاَزَمَ النَّبِيَّ ﷺ، وكَانَ مِنْ أَحْفَظِ الصَّحَابةِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهمُ– لحَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺوَأَجَلِّهِمْ، ولَهُ خَمْسَةُ الآفٍ وثَلاثُمِائَةٍ وأَرْبَعَةٌ وسَبْعُونَ حَدِيثاً. وكنّي بأبي هريرة لأنه كان معه هرّة قد ألفها وألفته، فلمصاحبتها إيّاه كُنّي بها. مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ أو تِسْعٍ وخَمْسِينَ عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بالبَقِيعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

النَّهْيُ عَنْ كَثْرَةِ السُّؤالِ والتَّشَدُّدِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هذا الْحَدِيثُ مِن جوامعِ كَلِمِهِ ﷺ، فِيهِ وُجُوبُ اتِّباعِ أَمْرِهِ والتَّسليمِ لِمَا جَاءَ بِه مِنْ غَيْرِ مُعارَضَةٍ، وأنَّ الطَّاعةَ بقَدْرِ الاستطاعةِ، وفيهِ التَّحذيرُ مِن الوُقوعِ بِمَا وَقَعَتْ بِه الأُمَمُ السَّابقةُ، فأدَّى ذَلِك إِلَى هَلاكِهَا.

قَالَ النَّوويُّ: هُو مِن قَوَاعِدِ الإِسْلامِ.

الشَّرحُ :

قوله: (**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**)

الجملة شرطية، ف: (ما) اسْمُ شَرْطٍ جَازِمٌ و: (نهيتكم) فعل الشرط، و: (فَاجْتَنِبُوْهُ) جواب الشرط،أي: أشْتَرِطُ فِي النَّهْيِ الاجْتِنَابَ.

والنَّهْيُ: هو قَوْلٌ يَتَضَمَّنُ طَلَبَ الكَفِّ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ، يعني أن يطلب منك من هو فوقك – ولو باعتقاده – أن تكفّ، فهذا نهي.ومعلوم أن النبي ﷺأعلى منّا حقيقة.

(**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوْهُ**) الجملة شرطية، ف: (ما) اسم شرط، و: (نهيتكم) فعل الشرط، و: (**فَاجْتَنِبُوْهُ**) جواب الشرط،

والمعنى أي ابتعدوا عنه، فكونوا في جانب وهو في جانب.

والنَّهيُ ضَرْبانِ:

1– نَهْيُ التَّحريمِ: وَهُو مَا يُثابُ تارِكُهُ امتثالاً، ويُعاقَبُ فاعلُهُ، وَهُو مَا جَاءَ عَلَى سَبيلِ الْحَتْمِ والإلزامِ، مِثْلَ: شُربِ الخمرِ، والزِّنَى، وأَكْلِ الرِّبَا، والتَّبرُّجِ، والغِشِّ، والغِيبَةِ، والنَّميمَةِ، وغيرِهَا مِن الْمَنْهِيَّاتِ.

2– نَهْيُ الكراهةِ أَو التَّنزيهِ: وَهُو مَا يُثابُ تارِكُهُ امتثالاً، وَلا يُعاقَبُ فاعلُهُ، وَهُو مَا لَم يأتِ عَلَى سَبيلِ الْحَتْمِ والإلزامِ، مِثْلَ: الْكَلامِ بَعْدَ العشاءِ، وأَكْلِ الثُّومِ والبَصَلِ.

والمكروهُ يَجُوزُ للعَبْدِ أَنْ يَفْعَلَهُ، سَوَاءٌ دَعَت الضَّرورَةُ إِلَى ذَلِك أَمْ لا، ولكنَّ الأَلْيَقَ والأَكْمَلَ للمُسلمِ التَّقِيِّ أَنْ يَجتنبَ المكروهاتِ حتَّى يَرْتَقِيَ فِي مَوازِينِ ربِّ السَّماواتِ والأَرَضينَ.

(وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)

هذه الجملة أيضاً شرطية، فعل الشرط فيها: (أمرتكم به) وجوابه: (فأتوا منه ما استطعتم) يعني افعلوا منه ما استطعتم، أي ما قدرتم عليه.

والفرق بين المنهيات والمأمورات: أن المنهيّات قال فيها: فَاجْتَنِبُوهُ ولم يقل ما استطعتم، ووجهه: أن النهي كف وكل إنسان يستطيعه، وأما المأمورات فإنها إيجاد قد يستطاع وقد لا يستطاع، ولهذا قال في الأمر: فأتُوا مِنْهُ مَا استَطَعتُمْ

مَا طَلَبَ اللَّهُ مِنَّا فِعْلَهُ أَو قولَهُ ضَربانِ فمنهُ:

أ- أَمْرُ إيجابٍ وإلزامٍ: وَهُو مَا يُثابُ فاعلُهُ امتثالاً، ويُعاقَبُ تاركُهُ.

كإقامِ الصَّلاةِ وباقي أركانِ الدِّينِ وطاعةِ الوالدَيْنِ، والعدلِ بالحُكْمِ وإقامةِ الْحُدُودِ، والنَّفقةِ عَلَى مَن تَجِبُ عَلَيْهِم النَّفقةُ، وغيرِها مِن الوَاجباتِ الَّتِي أُمِرْنَا بِهَا.

ب- أَمْرُ استحبابٍ: وَهُو مَا يُثابُ فاعلُهُ امتثالاً، وَلا يعاقَبُ تاركُهُ.

مِثْلَ: السُّننِ الرَّواتبِ، والسِّواكِ، والغُسلِ للإحرامِ، وغيرِهِ مِن المستحبَّاتِ.

قولُهُ ﷺ:(**فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) اسْتَنْبَطَ الْعُلَمَاءُ مِن قولِهِ هَذِه القاعدةَ: (الْمَيسورُ لا يَسقُطُ بالْمَعسورِ).

ومعناهَا: أنَّ الْمُكَلَّفَ فِي بَعْضِ الأحيانِ يَشُقُّ عَلَيْهِ فِعْلُ واجبٍ مِن الواجباتِ، وَلَكِنْ يَتيسَّرُ لَه فِعْلُ بعضِهِ، ففي هَذِه الْحَالَةِ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُ الْمُتَيَسِّرِ لَه مِنْه.

-كمَن وَجَدَ مَاءً لا يَكْفِي لرَفْعِ الْحَدَثِ، فعليهِ فِي هَذِه الْحَالَةِ استعمالُهُ فِي بَعْضِ أعضائِهِ ويَتَيَمَّمُ للباقي.

-وَكَذَلِك مَن قَدَرَ عَلَى تغييرِ جُزءٍ مِن مُنْكَرٍ أَو تخفيفِهِ ففي هَذِه الْحَالَةِ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا تَيَسَّرَ لَه.

-وَكَذَلِك مَن عَجَزَ عَن بَعْضِ أركانِ وشروطِ الصَّلاةِ فعليهِ أَنْ يَأتيَ بِمَا يَستطيعُ مِنْهَا، وَلا تَسْقُطُ عَنْه الصَّلاةُ بِسَبَبِ عَجْزِهِ عَن بعضِهَا.

ولكنَّ هَذِه القاعدةَ ليستْ عَلَى إطلاقِهَا، فَلا بدَّ مِن مُراعاةِ ضوابِطِهَا، فمَثلاً: مَن زالَ عَنْه مَرَضٌ مَنَعَهُ عَن الصِّيامِ فِي نَهارِ رمضانَ لا يَجِبُ عَلَيْهِ الإمساكُ لباقي الْيَوْمِ؛ لأنَّ صيامَ بَعْضِ الْيَوْمِ لَيْس بقُرْبَةٍ فِي نفسِهِ، كَمَا بَيَّنَ العُلماءُ.

ومِمَّا يَشْهَدُ لِهَذَا الْحَدِيثِ مِن الْقُرْآنِ قولُهُ جلَّ وَعَلا:(**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) (1)

(فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ).

(فَإِنَّمَا)

(إن) للتوكيد، و(ما) اسم موصول بدليل قوله: (كثرة) على أنها خبر (إن) أي فإن الذي أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم. ويجوز أن تجعل (إنما) أداة حصر، ويكون المعنى: ما أهلك الذين من قبلكم إلا كثرة مسائلهم.

وقوله: (الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ) يشمل اليهود والنصارى وغيرهم، والمتبادر أنهم اليهود والنصارى، ، فإن نظرنا إلى العموم قلنا المراد بقوله: مِنْ قَبْلِكُمْ جميع الأمم، وإن نظرنا إلى قرينة الحال قلنا المراد بهم: اليهود والنصارى .

واليهود أشدّ في كثرة المساءلة التي يهلكون بها،

وقوله: (كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)

النَّهيُ عن الاختلافِ بالمعارضة والمخالفة للانبياء، وكثرةِ الأسئلةِ مِن غير ضَرورة؛ لأنَّه تُوُعِّدَ عليه بالهلاك، والوعيدُ على الشَّيءِ دليلٌ على كَونِه كبيرةً، والاختلافُ المذموم ما يُؤدِّي إلى كفرٍ أو بِدعة.

والمسائل جمع مسألة وهي: ما يُسأل عنه.

---

(1) التغابن : 16

وقد قسَّم العلماء رحمهم الله السؤال إلى قسمين:

القسم الأول: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين، فهذا مأمور به؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُون ﴾(1) وعلى هذا النوع تتنزل أسئلة الصحابة رضي الله عنهم عن الأنفال والكلالة وغيرها.

القسم الثاني: ما كان على وجه التعنت والتكلف وقت نزول الوحي الذي يمكن أن تتجدد الأحكام فيه أو تتغير،ومما لا يترتب عليها عمل ومما لا ينفع في أمر الدين ومما سكت الشرع عن ذكرها، رحمة بالناس، غير نسيان.او ما أسئلة إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله ﷺعن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار وهذا هو المنهي عنه.

وفيه ورد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا: مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ.**

ومن ذلك ما وقع للنبي عليه الصلاة والسلام في قضية الأقرع بن حابس. من بني تميم، قال النبي ﷺ: **قد فُرِضَ عليكم الحجُّ فحُجُّوا ، فقال رجلٌ : أكُلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ ؟ فسكتَ حتى قالها ثلاثًا . فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لو قلتُ : نعَم ، لوجبَتْ ولما استطعتُم ، ثم قال : ذَروني ما تركتُكم ، فإنما هلك من كان قبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم ، فإذا أمرْتُكم بشيءٍ فأْتُوا منه ما استطعتُم ، وإذا نَهيتُكم عن شيءٍ فدَعُوه** (2)

---

(1) النحل: 43

(2) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (7288) مختصراً، ومُسلِم (1337) باختلاف يسير

أما بعد أن توفي رسول الله ﷺ فالواجب أن يسأل الإنسان عن كل ما يحتاجه في أمور دينه دون جدال وفسفة .

فالسؤال يحمد اذا كان للتفقه والزيادة في العلم ويذم اذا كان تعنتاً وتنطعاً(العلة).

يحمد اذا كان الجواب عنه يترتب عنه عمل فيه مصلحة شرعية للفرد والمجتمع ويذم اذا كان بقصد الترف الفكري فقط(الهدف).

يذم ان سأل عن الحكم الذي هو من قبيل التعبدات التي لا يعقل لها معنى ك : لماذا أمرت الحائض بقضاء الصوم دون الصلاة في رمضان؟!

يذم السؤال عن المتشابهات و سؤال التعنت والافحام وطلب الغلبة في الخصام، و معارضة الكتاب والسنة بالرأي

عنْ أَنَسٍ قالَ: (**نُهِينَا أَنْ نسأَلَ رسولَ اللهِ ﷺعَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ العَاقِلُ، فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ**). (1)

عنْ أبي أُمَامَةَ قالَ: (**كانَ اللهُ قدْ أَنْزَلَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)** (2).**قالَ: فَكُنَّا قَدْ كَرِهْنا كَثِيرًا مِنْ مَسْأَلَتِهِ، واتَّقَيْنا ذَلِكَ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ**.

وفي (مُسْنَدِ البَزَّارِ) عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: (**مَا رَأَيْتُ قَوْمًا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ مَا سَأَلُوهُ إِلاَّ عَن اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً، كُلُّها فِي القُرْآنِ:**

كقوله تعالى:(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**)(3) و:(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ**) (4) و:(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى**) (5) يعني هذا وأشباهه.

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسلِم (12) واللفظ له، و البُخاريّ (63) باختلاف يسير، وأبو داود (486) بنحوه مختصرا.

(2) المائدة: 101

(3) البقرة:219

(4) البقرة:217

وَيُرْوَى مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ، عَن النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (**سَيَكُونُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يُغَلِّطُونَ فُقَهَاءَهُمْ بِعُضَلِ الْمَسَائِلِ، أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي**). (1)

وروى أحمد: أنه ﷺ(**نهى عن الأغلوطات**) (2) وهي صعاب المسائل

وَقَالَ الحَسَنُ:(شِرَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ شِرَارَ المِسَائِلِ، يَغُمُّونَ بِهَا عِبَادَ اللهِ). (3)

وقال الأوزاعي: (إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم. ألقى على لسانه المغاليط؛ فلقد رأيتهم أقل الناس علمًا) (4)

---

(5) البقرة:220

(1) أخرج نحوه الطبراني في "الكبير" (2/ 98)، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (637) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه.

(2) مسند الإمام أحمد (5/ 435).

(3)أَخْرَجَهُ الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (638).

(4) أنظر "فتح الباري" (13/ 263)، و"فيض القدير" (6/ 301).

الحَدِيث العاشر

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ : (إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِيْنَ فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً)(1)، وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)(2) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ،وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ،وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك)(3)

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

أَسْبَابُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ ومَوَانِعُهُ.

مَنْزِلَةُ الحَدِيثِ:

الحديثُ لَه شَأْنٌ عظيمٌ، فَهُو مِن قَواعدِ الدِّينِ، ونصٌّ عَلَى أهميَّةِ الطِّيبةِ فِي عمومِ الأعمالِ الَّتي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّها شَرْطٌ فِي قَبولِ الأعمالِ الصَّالحةِ.

- كما فِيهِ الحَثُّ عَلَى الأَكْلِ والشُّربِ واللُّبْسِ مِن الحلالِ الطَّيِّبِ، والبعدِ عَن الحرامِ الخبيثِ؛ لأنَّهُ سَبَبٌ فِي عَدَمِ استجابةِ الدُّعاءِ الَّذي هُو مِن أَعْظَمِ العباداتِ الَّتي يُتقرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ تبارك وَتَعَالَى.

- تنزيهُ اللهِ تَعَالَى عَن النَّقائصِ.

---

(1) المؤمنون: 51

(2) البقرة: 172

(3) أَخْرَجَهُ الترمذي (2989) واللفظ له، وأَخْرَجَهُ مُسلِم (1015) باختلاف يسير

الشَّرحُ :

(**إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ**) الطَّيِّبُ: هُوَ الطَّاهِرُ فِي اللُّغَةِ، والمعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ والعُيُوبِ كُلِّهَا. ولَيْسَ الطَّيِّبُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ هُوَ خَبَرٌ عَنْهُ؛ لأَنَّ بَابَ الإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الأسماءِ، ومِثْلُه الوِتْرُ، ومِثْلُهُ القَدِيمُ

(**لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبَاً**) لا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ والأَقْوَالِ والتَّعَامُلِ إِلاالطَّيِّبَ، وأَمَّا غَيْرُ الطَّيِّبِ فيَرُدُّهُ عَلَى أَهْلِهِ، فالقَوْلُ المحَرَّمُ يَرُدُّهُ عَلَى أَهْلِهِ، والفِعْلُ البَاطِلُ كالصَّلاةِ بلا وُضُوءٍ يَرُدُّهُ، والصَّدَقَةُ مِنَ المحَرَّمِ يَرُدُّهَا عَلَى صَاحِبِهَا. فيُشْتَرَطُ فِي القَبُولِ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ طَيِّباً.

فالطّيب من الأعمال: ما كان خالصاً لله، موافقاً للشريعة.

والطيب من الأموال: ما اكتسب عن طريق حلال، وأما ما اكتسب عن طريق محرّم فإنه خبيث.

(**وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِيْنَ**) تَعْلَيَةً لشأن المؤمنين، وأنهم أهلٌ أن يوجّه إليهم ما أمر به الرسل، فقال عزّ وجل في أمر المرسلين: (**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً**) [1]فأمر الرسل أن يأكلوا من الطيبات وهي التي أحلها الله عزّ وجل، واكتسبت عن طريق شرعي.

(**وَاعْمَلُوْا صَالِحَاً**) أي اعملوا عملاً صالحاً.

فأمرهم بالأكل الذي به قوام البدن، ثم أمرهم بالعمل الذي يكون نتيجة للأكل، لكنه قال: (**وَاعْمَلُوا صَالِحاً**) وصالح العمل هو ما جمع بين: الإخلاص والمتابعة.

---

(1) المؤمنون: الآية51

وقال تعالى في أمر المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)(1) كما قال للرسل: (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) فأمر المؤمنين بما أمر به المرسلين.

إذاً نقول: المؤمنون مأمورون بالأكل من الطيبات، والمرسلون كذلك مأمورون بالأكل من الطيبات.

(ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ)

يعني ضرب النبي ﷺمثلاً لهذا الرجل: "يُطِيْلُ السَّفَرَ" والسفر من أسباب إجابة الدعاء، ولاسيما إذا أطاله.

((أَشْعَثَ)) وهو انْتِشَارُ الشَّعَرِ في الرَّأْسِ مَعَ كَثْرَةِ تَلَبُّدِهِ بالغُبَارِ.

((أَغْبَرَ)) أي: مُصَاباً بالغَبْرَةِ مِنْ كَثْرَةِ الأَتْرِبَةِ التي عَلِقَتْ بِهِ في سَفَرِهِ لعَدَمِ غَسْلِهِ ودَهْنِهِ ومَشْطِهِ

(يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ) يَرْفَعُ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو رَبَّهُ تَعَالَى لِأَنَّهَا قِبْلَةُ الدُّعَاءِ

ومن أسباب إجابة الدعاء،كما جاء في الحديث: " إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيْمٌ يَسْتَحِيْ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرَاً ".

(يَا رَبِّ يَا رَبِّ) نداء بوصف الربوبية،لأن ذلك وسيلة لإجابة الدعاء، إذ إن إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية.

(وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ) يعني طعامه الذي يأكله حرام، أي حرام لذاته أو لكسبه.

(وَمَشرَبُهُ حَرَامٌ) يعني شربه الذي يشربه حرام، إما لذاته أو لكسبه.

---

(1) البقرة: الآية172

(**وغُذِيَ بالحَرَامِ**) يعني أنه تغذّى بالحرام الحاصل من فعل غيره.

(**فَأَنَّى**) اسم استفهام، والمراد به الاستبعاد، يعني يبعد أن يستجاب لهذا، مع أن أسباب الإجابة موجودة.

وهذا للتحذير من أكل الحرام، وشربه، ولبسه، والتغذّي به.

الْحَدِيث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَلِيّ بنِ أَبِي طالبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ﷺوَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتَ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: (دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيْبُكَ)

(1) رَوَاهُ الترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

هُو أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وَهُوَ سِبْطٌ(2): ابنُ بِنْتِ رسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَيْحَانَتُهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وُلِدَ في رمضَانَ سنَةَ ثلاثٍ منَ الهِجْرَةِ عَلى الصَّحيحِ في المدينَةِ، ونَشَأَ في بَيْتِ النُّبُوَّةِ، سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ، كَانَ عَاقِلاً حَلِيماً مُحِبًّا للخَيْرِ، بَايَعَهُ أَهْلُ العِرَاقِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ أبيهِ، وَوَلِيَ الخِلاَفَةَ بعدَ أَبِيهِ، ثُمَّ تَرَكَهَا زَاهِدًا فيهَا وحِفْظًا لِدِمَاءِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ من خلال تَنَازله لمعَاوِيَةَ فِي العَامِ الوَاحِدِ والأَرْبَعِينَ مِن الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فسُمِّيَ عَامَ الجَمَاعَةِ لاجْتِمَاعِ كَلِمَةِ المسْلِمِينَ، وقد وصفه النبي ﷺبأنه سيد فقال: (إِنَّ ابْنِي هذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ) (3)

تُوُفِّيَ لِخَمْسِ ليالٍ مَضَيْنَ مِنْ رَبيعٍ الأَوَّلِ فِي العَامِ الوَاحِدِ والخَمْسِينَ مِنَ الهِجْرَةِ بالمدِينَةِ مَسْمُومًا وَقِيلَ: إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَدُفِنَ بالبَقيعِ.

---

(1)

(2) السِّبْطُ هو وَلَدُ الوَلَدِ سَوَاءٌ كان ذَكَراً أو أُنْثَى، ويَغْلِبُ عَلَى وَلَدِ البِنْتِ مُقَابِلِ الحَفِيدِ وَلَدِ الابْنِ، مَأْخُوذٌ مِنَ السَّبَطِ وهو الشَّجَرَةُ لَهَا أَغْصَانٌ كَثِيرَةٌ وأَصْلُها وَاحِدٌ، والسِّبْطُ عِنْدَ اليَهُودِ، أي: القَبِيلَةُ.

(3)

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

تَرْكُ المشْكُوكِ فِيهِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

أصلُ هَذَا الْحَدِيثِ قاعدةٌ مِن قَواعدِ الدِّينِ، وَهِي: (الأَخْذُ باليقينِ فِي الأُمُورِ وتَرْكُ الْمُشْتَبِهاتِ).

- قَالَ ابنُ حَجَرٍ الْهَيتميُّ: (هَذَا الْحَدِيثُ قاعدةٌ عَظِيمَةٌ مِن قَواعدِ الدِّينِ، وَأَصْلٌ فِي الوَرَعِ الَّذي عَلَيْهِ مَدَارُ الْمُتَّقِينَ، ومُنْجٍ مِن ظُلَمِ الشُّكوكِ والأَوْهَامِ الْمَانِعَةِ مِن نُورِ الْيَقِينِ).

الشَّرحُ :

وقوله: " وَرَيحَانَتهُ " الرَّيْحَان هو كُلُّ نَبْتٍ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ، والمرَادُ أَنَّهُ نَبْتٌ طَيِّبٌ مِنْ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ مِنْ قِبَلِ أبيهِ؛ إِذْ هو أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيانِ، وأُمُّه فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِينَ، فهو طَيِّبٌ فِي مَنْبِتٍ طَيِّبٍ؛ أو لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَشُمُّهُ ويُقَبِّلُهُ ويَقُولُ: (رَيْحَانَتِي) لحُبِّهِ لَهُ كَمَا يَشُمُّ الرَّيْحَانَ لطِيبِهِ وطِيبِ رَائِحَتِهِ، وفِي الحَدِيثِ: (هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا) (1) أي: الحَسَنُ والحُسَيْنُ.

وقوله: "دَعْ" بمَعْنَى: اتْرُكْ وهو فِعْلُ أَمْرٍ وَلَيْسَ الأَمْرُ للوُجُوبِ، وإِنَّمَا هو للنَّدْبِ للتَّحَلِّي بمَكَارِمِ الأَخْلاقِ. والَّذِي صَرَفَهُ عَنِ الوُجُوبِ أَنَّه أَرَادَ إِرْشَادَهُ إلى طُمَأْنِينَةِ القَلْبِ ومَنْعِ الرَّيْبِ والشَّكِّ، فهو نُصْحٌ وتَوْجِيهٌ وإِرْشَادٌ.

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (3753)

وهَذَا مِنَ البَلاغَةِ أَنْ يَخْرُجَ الأَمْرُ عَنْ مَعْنَاهُ الحَقِيقِيِّ إِلَى مَعْنًى آخَرَ لا يُقْصَدُ بِهِ الوُجُوبُ، ومنه :-الدُّعَاءُ ،مِثْلَ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي). (1) ومِنْهُ: التَّهْدِيدُ، مِثْلَ: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) (2). ومنه: الاسْتِحْبَابُ، مِثْلَ: (وأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) (3)

وقوله: "دَعْ مَا يرِيْبُكَ" أي اتْرُكْ أي: مَا يُصِيبُكَ بِهِ الرَّيْبُ والشَّكُّ، وعَدَمُ الطُّمأنينَةِ، والاضْطِرَابُ، والقَلَقُ. **"مَا لاَ يَرِيْبُكَ"** أي: إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لا تَشُكُّ فِيهِ.

وهَذَا يَدُلُّ عَلَى: الوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبُهاتِ.

ويَدُلُّ على: اتِّقَاءِ الشُّبُهاتِ، وقَدْ مَرَّ مَعَنَا المشْتَبِهَاتُ وتَوْجيهُ الإِسلامِ فيها، وهذا تَوْجيهٌ آخَرُ يُؤَكِّدُ التَّوْجِيهَ الأَوَّلَ.

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَتْرُكُونَ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الحَلالِ خَشْيَةَ الوُقُوعِ فِي الحَرَامِ، بَلْ وَرَدَ عَنِ ابنِ سِيرِينَ أَنَّه غَرِمَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً فِي بَيْعَةٍ شَرَاهَا وَلَمْ يَرُدَّهَا عَلَى صَاحِبِهَا خَشْيَةَ أَنْ يَغِشَّ بِهَا غَيْرَهُ.

والعَمَلُ عَلَى هَذَا إِذَا كَانَ الإِنْسَانُ سَوِيًّا وسَلِمَ مِنَ الوَسْوَسَةِ، أَمَّا إِذَا ابْتُلِيَ بالوَسْوَسَةِ فَلْيَطْرَحْهَا ولا يَتْرُكْ للشَّيْطَانِ مَجَالاً؛ لأَنَّه بالوَسْوَسَةِ سَيُعِيدُ الوُضُوءَ والصَّلاةَ ويَخْلَعُ ثِيابَهُ ويَشُكُّ فِي أَهْلِهِ ويَعِيشُ فِي وَسْوَسَةٍ شَدِيدَةٍ.

---

(1) نوح: 28

(2) فصلت: 40

(3) البقرة : 282

وَرَعُ السَّلفِ وتَرْكُهُم للشُّبُهاتِ:

كانَ سلَفُ الأمَّةِ يَتَخَلَّقونَ بأخلاقِ الإِسْلاَمِ الْوَاجِبِ مِنْهَا والمندوبِ، وَهَذِه بَعْضُ الْمَواقفِ أذكرُهَا لبَيانِ كَيْفَ كَانَ لنصوصِ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ أَثَرٌ فِي حياتِهِم وسُلوكِهِم:

1- عن عائشةَ رَضِي اللهُ عَنْهُا قالَتْ: (**كَان لأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِي اللهُ عَنْهُ غلامٌ يُخْرِجُ لَه الْخَرَاجَ، وَكَان أَبُو بكرٍ يَأكلُ مِن خَرَاجِهِ، فجاءَ يَومًا بِشَيْءٍ فأَكَلَ مِنْه أَبُو بكرٍ، فقالَ لَه الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟**

فقالَ أَبُو بكرٍ: وَمَا هُو؟

فقالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنسانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فلَقِيَنِي فأَعطانِي لِذَلِك هَذَا الَّذي أَكَلْتَ منْهُ، فأَدْخَلَ أَبُو بكرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ).

2- عن نافعٍ، أنَّ عمرَ بْنَ الخطَّابِ رَضِي اللهُ عَنْهُ كَانَ فَرَضَ للمهاجِرِينَ الأَوَّلينَ أربعةَ آلافٍ، وفَرَضَ لابنِهِ ثلاثةَ آلافٍ وخَمْسَمائَةٍ.

فقيلَ لَه: هُو مِن المهاجِرِينَ فلِمَ نَقَصْتَهُ؟

فقالَ: (إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ – يَقولُ: لَيْسَ هُو كَمَنْ هاجَرَ بنفسِهِ)).

3- قالَ ابنُ الْمُبَارَكِ: (كَتَبَ غلامٌ لحسَّانَ بْنِ أَبِي سِنانٍ إِلَيْهِ مِن الأهوازِ: (إِنَّ قَصَبَ السُّكَّرِ أَصابتْهُ آفَةٌ، فاشْتَرِ السُّكَّرَ فِيمَا قِبَلَكَ، فاشتراهُ مِن رجلٍ فلم يأتِ عَلَيْهِ إِلاَّ قَلِيلٌ فِيمَا اشتراهُ حَتَّى رَبِحَ ثلاثين أَلْفًا. قَالَ: فأَتَى صَاحِبُ السُّكَّرِ فقالَ: يَا هَذَا، إِنَّ غلامي كَانَ قَد كَتَبَ إِليَّ فلمْ أُعْلِمْكَ، فأَقِلْنِي فِيمَا اشتريْتُ منك.

فقالَ لَه الآخَرُ: (قَد أَعْلَمْتَني الآنَ وَقَد طَيَّبْتُهُ؟

فقالَ: فرَجَعَ فلم يَحْتَمِلْ قَلْبُهُ، فأتاهُ فقالَ: يَا هَذَا، إِنِّي لَمْ آتِ هَذَا الأَمْرَ مِن قِبَلِ وَجْهِهِ فأُحِبَّ أَنْ تَسْتَرِدَّ هَذَا الْبَيْعَ))

قَالَ: (فما زالَ بِهِ حتَّى ردَّهُ عَلَيْهِ).

4 – تَنَزَّهَ يزيدُ بْنُ زُرَيعٍ عَن خَمْسِمائَةِ أَلْفٍ مِن ميراثِ أَبِيهِ فلم يَأْخُذْهُ، وَكَانَ أبوهُ يَلِي الأعمالَ للسَّلاطينِ، وَكَانَ يَزيدُ يَعملُ الْخُوصَ، ويَتَقَوَّتُ مِنْه إِلَى أَنْ ماتَ.

تَرْكُ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ لَيْسَ مِن الوَرَعِ عَلَى الإِطْلاَقِ:

الخروجُ مِن المسائلِ الَّتي اخْتَلَفَ فِيهَا العُلَماءُ لَيْسَ تَرْكُها مِن الوَرَعِ عَلَى الإِطْلاَقِ، فمَثلاً: المسائلُ الَّتِي فِيهَا رُخصةٌ، لَيْس لَهَا مُعارِضٌ، فاتِّباعُهَا أَوْلَى مِن اجتنابِهَا بِحُجَّةِ الوَرَعِ، كمَنْ تَيَقَّنَ الطَّهارةَ وشَكَّ فِي الحدثِ، وَذَلِك لقولِهِ ﷺ: ((**فَلاَ يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا**))

أقولُ هَذَا؛ لأنَّ البعضَ يَترُكُ الكثيرَ مِن السُّننِ، وأُمورِ الدِّينِ الثَّابتةِ والرُّخَصِ بِحُجَّةِ أنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ أَفْتَى بخِلافِهَا.

فتَرْكُ الْخِلافِ يَكُونُ مِن الوَرَعِ فِي المسائلِ الْمُعْضِلَةِ الكبيرةِ الَّتي يَعْجِزُ الْمَرْءُ عَن الْوُصُولِ للحَقِّ فِيهَا.

يقول: "**رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيّ، وقَالَ التِّرْمِذِيّ:حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ**" أي: حَسَنٌ مِنْ طَرِيقٍ، وصَحِيحٌ مِن طَرِيقٍ آخَرَ، أو أَنَّهُ شَكٌّ مِن الرَّاوِي هَلْ حَسَنٌ أَمْ صَحِيحٌ.

والصَّحِيحُ: مَا رَوَاهُ عَدْلٌ تَامُّ الضَّبْطِ مُتَّصِلُ السَّنَدِ, وسَلِمَ مِنَ الشُّذُوذِ والعِلَّةِ القَادِحَةِ.والحَسَنُ: مِثْلُهُ إِلاَّ أَنَّهُ خَفِيفُ الضَّبْطِ.

الْحَدِيث الثاني عشر

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ) (1) حديثٌ حسنٌ، رَوَاهُ الترمذي وغيره هكذا.

مَوضُوعُ الحَدِيثِ:

الاشْتِغَالُ بِمَا يَنْفَعُ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

- قالَ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عظيمٌ مِن أُصولِ الأَدَبِ).
- وَقَالَ محمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ إمامُ المالكيَّةِ فِي زمانِهِ: (جُمَّاعُ أَدَبِ الْخَيْرِ وأَزِمَّتُهُ تَتَفَرَّعُ مِن أربعةِ أحاديثَ:

قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

وَقَوْلِهِ ﷺ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ)

وقولِهِ للَّذي اخْتَصَرَ لَه فِي الْوَصيَّةِ: (لاَ تَغْضَبْ).

الشَّرحُ :

قالَ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عظيمٌ مِن أُصولِ الأَدَبِ)

قَالَ محمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ إمامُ المالكيَّةِ فِي زمانِهِ: (جُمَّاعُ أَدَبِ الْخَيْرِ وأَزِمَّتُهُ تَتَفَرَّعُ مِن أربعةِ أحاديثَ:

---

(1) أَخْرَجَهُ الترمذي (2317)، وابن ماجه (3976)

قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**). (1)

وَقَوْلِهِ ﷺ: (**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**) (2)

وقولِهِ لِلَّذي اخْتَصَرَ لَه فِي الْوَصيَّةِ: (**لاَ تَغْضَبْ**). (3)

وقولِهِ ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لأِخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**) (4)

والمعنى الإجمالي : إِنَّ مِن جَمَالِ اسْتِسْلامِ العَبْدِ أَنْ يَتْرُكَ مَا لا يُهِمُّهُ ولا يَعْنِيهِ بِحُكْمِ الشَّرْعِ والإِسلامِ، لا بِحُكْمِ الهَوَى وطَلَبِ النَّفْسِ.

"**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ**" خبر مقدم و: "**تَرْكُ**" مبتدأ مؤخّر.

وقوله: "**مَا لاَ يَعْنِيْهِ**" أي ما لا تتعلق به عنايته ويهتم به، وهذا مثل قوله ﷺ: "**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرَاً أَو لِيَصْمُتْ**"(5) فإنه يشابهه من بعض الوجوه.

إِنَّ مِن عَلاَمَةِ كَمَالِ إسلامِ الْعَبْدِ واستقامتِهِ تَرْكَهُ مَا لَيْس لَه بِهِ غَرَضٌ مِن الأقوالِ والأفعالِ،واقتصارَهُ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنْهَا، ومعنَى يَعْنِيهِ، أَيْ: مَا تَتَعَلَّقُ بِهِ عِنَايَتُهُ، وَيَكُونُ مِن مَقْصِدِهِ ومَطلوبِهِ، والعنايَةُ شدَّةُ الاهتمامِ بالشَّيءِ، يُقالُ: عَنَاهُ يَعْنِيهِ: اهتمَّ بِهِ وطَلَبَهُ.

وأكثرُ مَا يُرادُ بتَرْكِ مَا لاَ يَعْنِي: حفظُ اللسانِ مِن لغوِ الْكَلاَمِ، قَالَ تَعَالَى: (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) (6) فكثيرٌ مِن النَّاسِ لاَ يَعُدُّ كَلامَهُ مِن

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (6018)، ومُسلِم (47).

(2) أَخْرَجَهُ الترمذي (2317)، وابن ماجه (3976)

(3) أَخْرَجَهُ أحمد (15964)، وابن أبي شيبة (25380)، وهناد بن السري في ((الزهد)) (2/ 607) واللفظ لهم جميعا.

(4) أَخْرَجَهُ النسائي (5017) واللفظ له، وأَخْرَجَهُ البُخاريّ (13)، ومُسلِم (45) مختصراً بلفظ مقارب

(5) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (6018)، ومُسلِم (47).

(6) ق: 18

عملِهِ، فيُجازِفُ فِيهِ وَلاَ يَتَحَرَّى، وَقَد خَفِيَ هذَا عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، حتَّى سألَ النَّبيَّ ﷺ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِه؟ **فقالَ:(ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ –أو قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)** (1)

– **قالَ النَّوويُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابِهِ (رياضِ الصَّالحينَ): (وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لكلِّ مُكلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لسانَهُ عَن جَمِيعِ الْكَلاَمِ إِلاَّ كَلامًا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، ومتَى استوَى الْكَلاَمُ وتَرْكُهُ فِي الْمَصْلَحةِ فالسُّنَّةُ الإمساكُ عَنْه؛ لأَنَّهُ قَد يَنْجَرُّ الْكَلاَمُ الْمُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ ومَكروهٍ، وَذَلِك كثيرٌ فِي العَادَةِ، والسَّلامةُ لاَ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ). (2)

وممَّا هُو مُلاحَظٌ ومعروفٌ أنَّ الْمَقُولةَ الطَّيِّبةَ الْخَيِّرةَ الموزونةَ أَو الصمتَ يُعْطِي هَيْبَةً ووَقَارًا لشخصيَّةِ المسلمِ، وكثرةَ الْكَلاَمِ والثَّرْثَرةَ والتَّدخُّلَ فِيمَا لاَ يَعْنِي يَخْدِشُ شَخصيَّةَ الْمُسْلِمِ، ويقلِّلُ مِن قدرِهِ وهَيبتِهِ فِي نفوسِ الآخَرِينَ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الترمذي (2616)، والنسائي في ((الكبرى)) (11330)، واللفظ لهما، وابن ماجة (3973) باختلاف يسير.

(2) الأذكار للإمام النَّوويّ، ص 284

الْحَدِيث الثالث عشر

عَنْ أَبِيْ حَمْزَة أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺعَن النبي ﷺقَالَ: (لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [1]

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الْحَدِيث:

أَنَسُ بنُ مَالِكٍ الأَشْعَرِيُّ الخَزْرَجِيُّ خَادِمُ رسُولِ اللهِ ﷺ، خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ وكُنْيَتُهُ أبو حَمْزَةَ، وَدَعَا لهُ رَسُولُ اللهِ ﷺبِكَثْرَةِ المالِ والوَلَدِ، تُوُفِّيَ في قَصْرِهِ عَلى نَحْوِ فَرْسَخٍ ونِصْفٍ مِنَ البَصْرَةِ سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعِينَ للهِجْرَةِ، ولَهُ أَلْفَانِ ومئتانِ وسِتَّةٌ وثمانون حَدِيثاً.

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

حُبُّ الخَيْرِ للغَيْرِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هذا الْحَدِيثُ مِن ضِمْنِ الأَحَادِيثِ العظيمةِ الَّتي عَظَّمَهَا العُلَمَاءُ؛ لأَنَّهُ يَنُصُّ عَلَى جُمَّاعِ آدابِ الْخَيْرِ، كَمَا أَنَّهُ يَنُصُّ عَلَى الضَّابطِ لِمُعَامَلَةِ الآخَرِينَ، فَمَا يُحِبَّهُ الإِنسانُ لنفسِهِ مِن: قَوْلٍ، أَو فِعْلٍ، أَو شَيْءٍ، فعليهِ أَنْ يُحِبَّ ذَلِك للآخرينَ، وَمَا يَكْرَهُهُ ويَبْغَضْهُ لنفسِهِ مِن: قَوْلٍ، أَو فِعْلٍ، أَو مُعامَلَةٍ، أَو شَيْءٍ، فعَلَيْهِ أَنْ يَكْرَهَهُ ويَبْغَضَهُ للآخرينَ، وَأَنْ يُعامِلَ النَّاسَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعامِلُوهُ.

---

(1) الفتح: 4

الشَّرحُ :

قوله: "**لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ**" (لا) نَافِيَةٌ؛ إِذْ تَنْفِي كَمَالَ الإِيمَانِ إِلاَّ بالإِثْبَاتِ بِمَا بَعْدَها، وَلا تَنْفِي كُلَّ الإِيمَانِ.

قالَ الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (الفتحِ): (وَالْمُرَادُ بالنَّفي كَمَالُ الإيمانِ، ونفيُ اسْمِ الشَّيءِ عَلَى مَعْنَى نفيِ الكمالِ مُستفيضٌ فِي كَلاَمِ العربِ كقولِهِمْ: فلانٌ لَيْسَ بإنسانٍ) ويُقصَدُ نفيُ صِفَةٍ مِن صفاتِهِ). (1)

وقالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ العُلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ: معناهُ: لاَ يؤمنُ الإيمانَ التَّامَّ، وإلا فأصلُ الإيمانِ يَحْصُلُ لِمَن لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ). (2)

وقالَ عمرُو بْنُ الصَّلاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (معناهُ: لاَ يَكْمُلُ إيمانُ أَحَدٍ حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ فِي الإِسْلاَمِ مِثلَ مَا يُحِبُّ لنفسِهِ). (3)

وهَذَا الْحَدِيث إِخْبَارٌ عَنْ زِيادَةِ الإيمانِ بما يَكُونُ وعن نَقْصِهِ بِمَا يَكُونُ.

وَقَدْ عَرَّفْنَا الإيمانَ: بأنَّه اعْتِقَادٌ بالقَلْبِ، وقَوْلٌ باللِّسَانِ، وعَمَلٌ بالجَوَارِحِ، يَزِيدُ بالطَّاعَةِ ويَنْقُصُ بالمَعْصِيَةِ.وهَذَا الرَّأْيُ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ (4)

ومِن أَدِلَّتِهِمْ:

– قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: **(لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ)** (5)

---

(1) "فتح الباري" (57/1) .

(2) "شرح مُسلِم" (16/2).

(3) صيانة صحيح مُسلِم (ص:203)

(4) وخَالَفَ في ذلك المُرْجِئَةُ الذين يقولون: (لا يَضُرُّ معَ الإيمانِ مَعْصِيَةٌ) بمَعْنَى أَنَّه لا يَزِيدُ بَلْ يَسْتَوِي الفَاسِقُ، والعَدْلُ عِنْدَهُمْ في الإيمانِ. وخَالَفَ كَذَلِكَ الوَعِيدِيَّةُ مِن الخَوَارِجِ والمُعْتَزِلَةِ فقالوا: (إِنَّ الإِيمَانَ لا يَنْقُصُ، ويَخْرُجُ مُرْتَكِبُ الكَبِيرَةِ مِن الإِسْلامِ). أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَقَالُوا: (إِنَّ الإِيمانَ يَزِيدُ بالطَّاعَةِ ويَنْقُصُ بالمَعْصِيَةِ)

(5) أَخْرَجَهُ النسائي (5017) واللفظ له، وأَخْرَجَهُ البُخاريّ (13)، ومُسلِم (45) مختصراً بلفظ مقارب

- وقولُه ﷺ: (مَا رَأَيْتُ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ ودِينٍ...) [1]

ومحل الإيمان: القلب واللسان والجوارح، فالإيمان يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح، أي أن قول اللسان يسمى إيماناً، وعمل الجوارح يسمى إيماناً، والدليل: قول الله عزّ وجل: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)[2]

قال المفسّرون: إيمانكم: أي صلاتكم إلى بيت المقدس، وقال النبي ﷺ: "الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَعْلاهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وأدنْاهَا إِمَاطَةُ الأذى عَنِ الطَّرِيْقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ"[3]

أعلاها قول: لا إله إلا الله، هذا قول اللسان.

وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق وهذا فعل الجوارح، والحياء عمل القلب. وأما

وقوله: "حَتَّى يُحَبَّ"

(**حتى**) هذه للغاية، يعني: إلى أن "يُحَبَّ لأَخِيْه" والمحَبَّةُ هِيَ: المَيْلُ إلى مَا يُوافِقُ المحِبَّ.فهي المحبة ولا تفسَّر بأبين من لفظها.

وقوله: "لأَخِيْهِ" أي المؤمن "مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" من خير ودفع شر ودفاع عن العرض وغير ذلك.

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسلِم (79) باختلاف يسير

(2) البقرة: الآية143

(3) أَخْرَجَهُ مُسلِم (35) باختلاف يسير.

الْحَدِيث الرابع عشر

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ : (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِيْ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِيْنِهِ الْمُفَارِقُ للجمَاعَةِ) (1)

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

النَّفْسُ الرَّخِيصَةُ أو الدِّمَاءُ المهْدَرَةُ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قالَ ابنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي مَنْزِلَةِ الْحَدِيثِ: (وَهُو مِن القَواعدِ الخطيرةِ لتَعَلُّقِهِ بأَخْطَرِ الأَشْيَاءِ وَهُو الدِّماءُ، وَبَيَانُ مَا يَحِلُّ مِنْهَا وَمَا لاَ يَحِلُّ، وأنَّ الأَصْلَ فِيهَا العِصمةُ، وَهُو كَذَلِك عَقلاً؛ لأنَّهُ مَجبولٌ عَلَى مَحَبَّةِ بَقاءِ الصُّوَرِ الإِنْسَانيَّةِ المخلوقةِ فِي أَحْسَنِ تقويمٍ).

الشَّرحُ :

هَذَا الحَدِيثُ يُخْبِرُ فيه مَنْ يَجُوزُ قَتْلُه ومَنْ يُهْدَرُ دَمُهُ.وبيَّنَ أَنَّ قَتْلَ المسْلِمِ لا يُسْتَباحُ إلا بتَرْكِ الدِّينِ، وإِرَاقَةِ الدَّمِ المحَرَّمِ، وانْتِهَاكِ الفَرْجِ المحَرَّمِ، فَهُوَ تَخْصِيصٌ بعدَ قولِه: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ...) (2)

---

(1) أَخْرَجَهُ مطولاً البُخاريّ (6878) بلفظ: "والمارق من الدين"، ومُسلِم (1676) باختلاف يسير

(2) أَخْرَجَهُ مُسلِم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، (1/ 53)، برقم: (23).

"**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**" أي لا يحل قتله، والمرَادُ: لا يُؤْذَنُ في سَفْكِ دَمٍ وإزْهَاقِ رُوحٍ،

وقوله: "**امرِئٍ مُسْلِمٍ**" ومَعْنَى (امْرِئٍ) المرَادُ بِهِ الإنْسَانُ، وَجَاءَ بصِيغَةِ التَّنْكِيرِ؛ لأنَّه لَيْسَ بإنْسَانٍ مُعَيَّنٍ وإنَّمَا أيُّ امْرِئٍ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ فهو للعُمُومِ، ويَشْمَلُ الذَّكَرَ والأُنْثَى والشَّرِيفَ والوَضِيعَ والجَمِيلَ والذَّمِيمَ.

وقوله: "**مُسْلِمٍ**" من الإسْلامُ وهو: الاسْتِسْلامُ للَّهِ بالتَّوْحِيدِ، والانْقِيادُ لَهُ بالطَّاعَةِ، والخُلُوصُ لَهُ مِنَ الشِّرْكِ والبَرَاءةُ مِنْهُ."

لحديثُ يَدُلُّ عَلَى أنَّ دَمَ الْمُسْلِمِ الَّذي يَقومُ بحقوقِ الإسْلاَمِ مَعصومٌ، ووَرَدَتْ نصوصٌ كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عَلَيْهِ

وَقَالَ ﷺ: (**لَزَوَالُ الدُّنيا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**) [1] فالمسلمُ مَعصومُ الدَّمِ، والعِصمةُ مُلازِمَةٌ لَه، لاَ تُرْفَعُ عَنْه إلاَّ إذَا وَقَعَ بِمَا يَرفعُ عَنْه العِصمةَ.

إلاَّ بإحْدَى ثَلاثٍ" (إلاَّ) أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، وهَذَا خُصُوصٌ بَعْدَ عُمُومٍ، أي: أَنَّ الثَّلاثَ الخِصَالِ يَحِلُّ سَفْكُ دَمِ أَصْحَابِهَا، فالأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ دَمَ المسْلِمِ حَرَامٌ فِي العُمُومِ ولَكِنَّهُ اسْتَثْنَى مِنْهُ ثَلاثَ حَالاتٍ. أي: بوَاحِدَةٍ مِن الثَّلاثِ

"**الثَّيِّبُ الزَّانِي**" الثَّيِّبُ: هو المحْصَنُ الَّذِي جَامَعَ وهو حُرٌّ مُكَلَّفٌ فِي نِكَاحٍ صَحِيحٍ، سَوَاءٌ كَانَ رَجُلاً أَوِ امْرَأَةً

و الزِّنَا: هو فِعْلُ الفَاحِشَةِ فِي قُبُلِ امْرَأَةٍ لا تَحِلُّ لَهُ. واللِّواطُ: هو فِعْلُ الفَاحِشَةِ فِي دُبُرٍ. فعُقُوبَتُه الرَّجْمُ بالحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ. بتَوَفُّرِ ثَلاثَةِ شُرُوطٍ:

أَوَّلاً: أَنْ يَحْصُلَ مِنْهُ الوَطْءُ فِي القُبُلِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الترمذي (1395)، والنسائي (3987)

ثانياً: انْتِفَاءُ الشُّبْهَةِ فَلَوْ وَطِئَ امْرَأَةً يَحْسَبُها زَوْجَتَهُ شُبْهَةً فلا قَتْلَ.

ثالثاً: ثُبُوتُ الزِّنَا بأَرْبَعَةِ شُهُودٍ أو بأَرْبَعِ شَهَادَاتٍ يُقِرُّ بِهَا إقراراً كإقْرارِ مَاعِزٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

"**وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ**" وهي النَّفْسُ الَّتِي تَعَمَّدَتْ قَتْلَ نَفْسٍ مَعْصُومَةٍ بغَيْرِ حَقٍّ فتُقْتَلُ قِصَاصاً

هذه النَّفْسُ الثانيةُ التي تُقْتَلُ وهي النَّفْسُ الَّتِي تَعَمَّدَتْ قَتْلَ نَفْسٍ مَعْصُومَةٍ بغَيْرِ حَقٍّ فتُقْتَلُ قِصَاصاً، قَالَ تَعالَى: **(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ)** (1)،ويُسْتَثْنَى مِن ذَلِكَ صُوَراً:

أَوَّلاً: قَتْلُ الوَالِدِ لوَلَدِهِ فلا يُقْتَلُ بهِ عِنْدَ الجُمْهُورِ؛ لقَوْلِه ﷺ: **(لا يُقْتَلُ الوَالِدُ بالوَلَدِ)**. (2)

ثانياً: قَتْلُ السَّيِّدِ لعَبْدِهِ أو لعَبْدِ غَيْرِه لقولِه تعالَى: **(الْحُرُّ بالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ)** (3).

ثَالِثاً: قَتْلُ المسْلِمِ للكَافِرِ؛ لقَوْلِه ﷺ: **(لا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بكَافِرٍ)** (4).

"**وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجَمَاعَةِ** " هَذِهِ النَّفْسُ الثالِثَةُ التي تَسْتَحِقُّ القَتْلَ، وَهِيَ النَّفْسُ التي بَدَّلَتْ دِينَهَا، وارْتَدَّتْ عَنِ الإسْلامِ إلى الكُفْرِ، وفَرَّقَتْ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ. وَفِي روايَةِ البُخاريّ وأصحابِ السُّنَنِ:**(مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)** (5).

---

(1) المائدة: 45

(2) أَخْرَجَهُ الترمذي (1401) مطولاً، وابن ماجه (2661) واللفظ له

(3) البقرة: 178

(4) أَخْرَجَهُ أبو داود (2751) مطولاً، وابن ماجه (2685)، وأحمد (6797) بنحوه.

(5) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (3017)

الْحَدِيث الخامس عشر

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَو لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) (1)

موضوعُ الحديثِ:

علاماتُ الإيمانِ أوْ حقوقُ النفسِ وحقوقُ الخَلْقِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ الحافظُ: "وهذا مِنْ جَوَامعِ الْكَلِمِ، اشتملَ الحديثُ على أُمُورٍ ثلاثةٍ تَجْمَعُ مَكَارِمَ الأخلاقِ الفِعْلِيَّةَ والقَوليَّةَ : فأما الأولان فمن الفعلية ، وأولهما يرجع إلى الأمر بالتخلي عن الرذيلة ، والثاني إلى التحلي بالفضيلة وحاصله من كان يحمل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير وسكوتاً عن الشر ، وفعلاً لما ينفع أو تركاً لما يضر ".(2)

فالحديثُ يَدْعو إلى حُسْنِ مُعاشَرَةِ الآخَرِينَ، وحُسْنُ الْمُعاشَرةِ تُؤَدِّي إلى نَشْرِ الْمَحَبَّةِ بينَ النَّاسِ، والْمَحَبَّةُ تُؤَدِّي إلى التَّآلُفِ والتَّرابُطِ.

الشَّرحُ :

"مَنْ كَانَ يُؤمِنُ" (مَنْ) شَرْطِيَّةٌ، جوابها: "فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَو لِيَصْمُتْ" ، والمقصود بهذه الصيغة الحث والإغراء على قول الخير أو السكوت كأنه قال: إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقل الخير أو اسكت.

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (6018)، ومُسلِم (47).

(2) فتح الباري (10 / 461) .

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "ظاهره (يعني: الْحَدِيث) توقُّف الإيمان على هذه الأشياء المذكورة، إكرام الضيف والجار، وقول الخير أو الصمت، وليس كذلك، وإنما هو على المبالغة في الاستجلاب إلى هذه الأفعال، كما يقول القائل لولده: إن كنتَ ابني فأطعني ونحوه؛ تحريضًا وتهييجًا له على الطاعة، لا على أنه بانتفاء طاعته ينتفي أنه ابنه.أو على أن المعنى: من كان كامل الإيمان بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو ليصمت، وليكرم، فيكون متوقفًا على هذه الأفعال كمال الإيمان لا حقيقته، وكلا التأويلين جيد"(1).

"فَلَيَقُلْ خَيراً أو لِيَصْمُتْ " اللامُ لامُ الأمرِ، والقولُ:هوَ الكلامُ، وهوَ ثلاثةُ أنواعٍ: خيرٌ، وشَرٌّ، ولَغْوٌ.والصمت هو ان يَسْكُتَ عن الكلامِ لِيَسْلَمَ من العُهْدَةِ، والكلمةُ يَمْلِكُها العبدُ حتَّى يَتَكَلَّمَ بها ثمَّ تَمْلِكُهُ، فأَمَرَ بالكلامِ بالخيرِ، والسُّكوتِ عمَّا ليسَ بخيرٍ. "وكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْخُذُ بِلِسَانِهِ ويَقُولُ: (هَذَا أَوْرَدَنِيَ المَوَارِدَ" (2). وسُئِلَ ابنُ المبَارَكِ عَنْ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: (إِنْ كَانَ الكَلَامُ مِن فِضَّةٍ، فَإِنَّ الصَّمْتَ مِن ذَهَبٍ).فَقَالَ: مَعْنَاهُ: (لو كَانَ الكَلَامُ بطَاعَةِ اللهِ مِن فِضَّةٍ، فَإِنَّ الصَّمْتَ عن مَعْصِيَةِ اللهِ مِن ذَهَبٍ). (3).

"وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"

الإكرامُ: هوَ أداءُ حقٍّ لهُ منْ سلامٍ ومنعِ أَذًى وغَضِّ بصَرٍ وعيادةِ مريضٍ وتشييعِ جنازةٍ ونَصْرِهِ...

---

(1) التعيين في شرح الأربعين (135/1)

(2) أَخْرَجَهُ مالك (988/2)، والبزار (84)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (4947). صحَّحه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (2873).

(3) أَخْرَجَهُ ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (736).

يقولُ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ:" وَاخْتُلِفَ فِي حَدِّ الجِوارِ، فجاءَ عَنْ عَلِيٍّ :مَنْ سَمِعَ النِّداءَ فَهُوَ جَارٌ، وقِيلَ: مَنْ صَلَّى مَعَك صَلاةَ الصُّبْحِ فِي المسْجِدِ فهوَ جارٌ، وعَنْ عائشةَ:"حَدُّ الجارِ أربعونَ داراً مِنْ كُلِّ جانِبٍ". ويقولُ الحافِظُ بنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:" وَاسْمُ الجارِ يَشْمَلُ المسْلِمَ وَالكافِرَ، والعابِدَ والفاسِقَ، وَالصَّديقَ وَالعَدُوَّ، وَالغَرِيبَ وَالبَلَدِيَّ، والنَّافِعَ وَالضَّارَّ، وَالقَرِيبَ وَالأجْنَبِيَّ ".

والجارُ: ثلاثةُ أقسامٍ:

أَوَّلاً: جارٌ قريبٌ مجاورٌ مسلمٌ، ولهُ ثلاثةُ حقوقٍ لجواره وإسلامه وقرابته.

ثانياً: جارٌ مسلمٌ مجاورٌ، لهُ حَقَّانِ لجواره وإسلامه.

ثالثاً: جارٌ مجاورٌ، لهُ حقٌّ واحدٌ. لجواره

قالَ ﷺ: ((**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**)).وقالَ: (**وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**). (1)

ومن تلك الحقوق :

أ. أن تحسن إليه وتكرمه قولاً وفعلاً .لحديث: (فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) .

ومما يدخل في ذلك :

1. تقديم الطعام لهم .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ) (2).

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ معلقاً بصيغة الجزم بعد حديث (6016) باختلاف يسير، وأَخْرَجَهُ موصولاً مُسلِم (46) مختصراً بنحوه . والبوائقُ: جمعُ بائقةٍ، وهي الدَّاهيةُ والبَلِيَّةُ، والفَتْكُ والشُّرُور، والظُّلمُ والجَورُ والتَّعدِّي

(2) أَخْرَجَهُ مُسلِم (2625)

وعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ " **أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)** " (1)

2. إهداؤه ولو كان شيئاً يسيراً .عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ :(**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**) (2) وهو ظِلْفُ الشَّاةِ كالحافرِ مِن الفرَسِ، وقيل: هو عَظْمٌ قَليلُ اللَّحْمِ، والمقصودُ: المبالَغةُ في الحثِّ على الإهداءِ ولو كان شَيئًا يَسيرًا، ومعْناه: لا تَمتنِعْ جارةٌ مِن الصَّدَقةِ والهَدَيَّةِ لِجارتِها؛ لاستقلالِها واحتقارِها الموجودَ عندها، بلْ يَنْبغي أنْ تَجودَ بما تَيسَّرَ ولو كان قليلًا.

3-زيارته وأن يبدأه السلام ويعوده إذا مرض ويعزيه في المصيبة ويهنئه في الفرح قال عليه الصلاة والسلام : (**خيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خيركم لصاحبِه ، و خيرُ الجيرانِ عندَ اللهِ خيركم لجارِه)** (3) فعَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : أَسْلِمْ !! فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ . فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ وَهُوَ يَقُولُ : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ**) (4).

ب. أن يكف الأذى والعدوان عنه قولاً وفعلاً .**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ)** (5). حفظ الجار في

---

(1) أَخْرَجَهُ أبو داود (5152)، والترمذي (1943) بنحوه، وأَخْرَجَهُ الخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (220) باختلاف يسير من حديث عبدالله بن عمرو؛ ولفظ الخرائطي: "كنت عند عبدالله بن عمرو ..."

(2) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (2566)، ومُسلِم (1030)

(3) أَخْرَجَهُ الترمذي (1944)، وأحمد (6566) باختلاف يسير.

(4) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (1356)، وأبو داود (3095)، وأحمد (13375) باختلاف يسير.

(5) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (6018)، ومُسلِم (47)

عرضه ، في الاطلاع على مسكنه في الجدار الذي بينهما ، أو النوافذ التي تُطِلُّ على الجار أو في اعتداء الأطفال .

وأذية الجار، موجبة للنار، وعند الله تجتمع الخصوم.روى عقبة بن عامر أن النبي قال: **(أولُ خصمينِ يومَ القيامَةِ جارانِ)** (1)

روى أبو هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله! قال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ! إنَّ فلانةً تذكر من كثرةِ صلاتها وصيامها وصدقتها ؛ غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ؟ **قال : هي في النارِ**، قال : يا رسولَ اللهِ ! فإنَّ فلانةً تذكر قلةَ صيامِها وصدقتها وصلاتها، وإنها تصَّدقُ تدقُّ بالأثوارِ من الأقطِ، ولا تؤذي بلسانها جيرانها ؟ **قال : هي في الجنةِ** . (2)

ومن أجلِّ الظواهر الاجتماعية السيئة التي تؤذي الجيران :

أولا : ظاهرة كش الحمام :

وقد وردت عدة أحاديث في ذم اقتناء الحمام وتربيته ، لم يصح منها إلا حديث واحد ، وهو : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَأَى رَجُلًا يَتْبَعُ حَمَامَةً فَقَالَ : (**شَيْطَانٌ يَتْبَعُ شَيْطَانَةً**) (3) قال في عون المعبود : "(**فَقَالَ شَيْطَان يَتْبَع شَيْطَانَة**) : إِنَّمَا سَمَّاهُ شَيْطَانًا لِمُبَاعَدَتِهِ عَنْ الْحَقّ ، وَاشْتِغَاله بِمَا لَا يَعْنِيه ، وَسَمَّاهَا شَيْطَانَة لِأَنَّهَا أَوْرَثَتْهُ الْغَفْلَة عَنْ ذِكْر اللَّه"

وقد بين العلماء أن الحالة التي يحرم بها اقتناء الحمام وتربيته ، وهي :

---

(1) أَخْرَجَهُ أحمد (17372)، وابن أبي عاصم في ((الأوائل)) (45)، والطبراني (303/17) (836)

(2) أَخْرَجَهُ أحمد (9675)، والبزار (9713)، وابن حبان (5764) باختلاف يسير

(3) أَخْرَجَهُ أبو داود (4940)، وابن ماجه (3765)، وأحمد (8543)، والبزار (7994)، وابن حبان (2406) واللفظ لهم.

1- من يتخذ الحمام سبيلا للوقوف على أسطح المنازل ، واتباع عورات الناس وكشف بيوتهم.

2- من يؤذي بحمامه الجيران ، فتأكل زروعهم ، أو تسقط الحجارة على بيوتهم إذا رماها صاحب الحمام لزجر حمامه .

3- من يسرق بحمامه حمام الناس بإغرائها وإطعامها .

4- من يشتغل بالحمام عن الواجبات والطاعات .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :" اللعب بالحمام منهي عنه ، ... ومَن لعب بالحمام فأشرف على حريم الناس أو رماهم بالحجارة فوقعت على الجيران فإنه يعزر على ذلك تعزيرا يردعه عن ذلك ، ويمنع من ذلك ، فإن هذا فيه ظلم وعدوان على الجيران ؛ مع ما فيه من اللعب المنهي عنه " (1)

وقال ابن قدامة :"اللاعب بالحمام يطيرها , لا شهادة له ، وكان شريح لا يجيز شهادة صاحب حمَام (2) وذلك لأنه سفه ودناءة وقلة مروءة , ويتضمن أذى الجيران بطيره , وإشرافه على دورهم , ورميه إياها بالحجارة

ثانيا : ظاهرة احياء الافراح من خلال مكبرات الصوت :

لا بأس من إظهار الفرح والسرور في ليلة العرس , لكن ، الإنشادَ بالكلام الشريف لا بالكلام الماجن الوضيع . اما الكلمات الماجنة ، والعبارات ساقطة، والدعوة للرذيلة، والإخلال بالفضيلة على رؤوس الأشهاد ، وبمكبرات الصوت ، صوت يخرق الجدران ، ويدوّي في الآذان ، بكلمات الهوى والشيطان .

---

(1) "مجموع الفتاوى" (246/32) .

(2) " المغني " (10 / 172 ، 173) .

وقال تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (1).قال أبو الصهباءِ : سألت ابنَ مسعودٍ عن قولِه تعالَى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ فقال: واللهِ الذي لا إلهَ غيرُه هو الغناءُ ، يُرِدِّدُها ثلاثَ مراتٍ(2)

وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه (الغناءُ ينبتُ النفاقَ في القلبِ كما ينبتُ الماءُ البقلَ) (3) أي: إنَّه يُغذِّي النِّفاقَ في القَلْبِ ويُنمِّيهِ كالماءِ يَشرَبُهُ الزَّرْعُ فيَنبُتُ ويَنْمو، وعلى العَكْسِ من ذلك، فإنَّ الذِّكْرَ يُنبِتُ الإيمانَ في القَلبِ.

ثالثا : ظاهرة المفرقعات والالعاب النارية :

فقد نهى الرسول عن ترويع المسلم ونهى عن الخذف وهي حصاة صغيرة ترمى بالإصبع ،وقال: إنَّها لا تَصيدُ صيدًا ، ولا تُنكي عدوًّا ، وإنَّها تَكْسِرُ السِّنَّ ، وتفقَأُ العين) (4) وكم هي مفاسد المفرقعات وما صلتها بالإسراف وترويع الآمنين والنساء والأطفال وإثارة الخصومات بين الجيران

إن نظرة سريعة لما يباع من ألعاب نارية ومفرقعات خطيرة عند بعض الباعة, ممن هدفهم الربح المادي ولو على حياة الآخرين وفق معادلة الكسب غير المشروع, بدون رادع من ضمير أو واعز من أخلاق, يجعل الجهات المعنية في قلب المسؤولية

---

(1)لقمان: 6

(2) أَخْرَجَهُ ابن أبي شيبة (21130)، وابن أبي الدنيا في ((ذم الملاهي)) (26)، والطبري (20/ 127)، والحاكم (3542) واللفظ لهم جميعا.

(3) قَالَ النَّوَوِيّ: لَا يَصِحُّ، وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِي: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وجاء في موسوعة الألباني في العقيدة: وقد روي مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، لكن في إسناده كذاب؛ ولذلك خرجته في الضعيفة رقم: 6515.

(4) أَخْرَجَهُ البُخاريّ (5479)، وابن ماجه (17)، وأبو عوانة (8178)، والبيهقي في ((الآداب)) (368) واللفظ لهم جميعا.

وتراخي تلك الجهات عن مكافحة هذه الظاهرة الخطيرة, وترك الباعة يسرحون ويمرحون بسلامة أطفالنا .. أمر يندى له الجبين.

لقد افتى الشيخ ابن عثيمين فقال الذي أرى أن بيعها وشراءها حرام ، وذلك لوجهين :

الوجه الأول : أنها إضاعة للمال ، وإضاعة المال محرمة ، لنهي النبي ﷺعن ذلك

والثاني : أن فيها أذية للناس بأصواتها المزعجة ، وربما يحدث منها حرائق إذا وقعت على شيء قابل للاحتراق ، وهي حية لم تطفأ .فمن أجل هذين الوجهين نرى أنها حرام ، وأنه لا يجوز بيعها ولا شراؤها(1)

حتى من قال بجوازها فقد اشترط شروطا ولكنها لا تتوافر عند الممارس لها .

أولاً : الحذر الشديد من أذية المسلمين عن طريق هذه الأصوات .

الأمر الثاني : الحذر من أذية الإنسان لنفسه ، فيكون الطفل إذا لعب بمثل هذه الألعاب أن يكون بمحضر ولي أمره وقربه حتى لا يؤذي الآخرين .

الأمر الثالث هو : ألا تتسبب مثل هذه الألعاب إلى شيء من الحرائق ، وأن يكون هذا في الأماكن المكشوفة – في البر مثلاً – أو في أماكن مكشوفة ، لا يكون فيها تأثير على الناس في ممتلكاتهم ، ولا في إزعاجهم في منامهم . (2)

" وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَليُكرِمْ ضَيْفَهُ" الضيف هو النازل بك، كرجل مسافر نزل بك، فهذا ضيف يجب إكرامه بما يعد إكراماً.

---

(1) مجموع الفتاوى لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين " الصادرة من " مركز الدعوة والإرشاد بعنيزة " (3 / 3) ، وتاريخ الفتوى : 5 / 10 / 1413 هـ .

(2) " الشيخ سليمان الماجد "صحيفة " الجزيرة " العدد (10317) في 1 / 10 / 1421هـ ،

الْحَدِيث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوصِنِيْ، قَال : لاَ تَغْضَبْ. (1)

موضوعُ الحديثِ:

النَّهْيُ عن الغضبِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ الجردانيُّ: (إنَّ هذا الحديثَ عظيمٌ، وهوَ مِنْ جَوامعِ الكَلِمِ؛ لأنَّهُ جَمَعَ بينَ خَيْرَي الدُّنيا والآخِرةِ، وذلكَ أنَّهُ أَمَرَ بالابتعادِ عنْ أسبابِ الغَضَبِ الَّذي جُمَّاعُ الشَّرِّ فيهِ، وجُمَّاعُ الخيرِ بالتَّخلُّصِ منهُ).

الشَّرحُ :

قوله: "أَنَّ رَجُلاً"،جاءَ مُنَكَّراً مِمَّا يَدُلُّ على أنَّهُ مجهولٌ، وهذا يَكْفِي في عدمِ مَعْرِفَتِهِ؛ لأنَّهُ ليسَ في مَعْرِفَتِهِ فائدةٌ.

" قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوصِنِي" أي: اعْهَدْ إِلَيَّ بنَصِيحَةٍ جامعةٍ، وأَرْشِدْنِي إلى ما فيهِ خَيْرَا الدُّنيا والآخرةِ. وفي روايَةٍ: (دُلَّني على عملٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ) (2) وهذا يَدُلُّ على حرصِ الصحابةِ رضوانُ اللَّهِ عليهم على العِلْمِ، وحِرْصِهِم على الخيرِ، واغْتِنَامِهِم لمجالسِ الرسولِ ﷺ، وفَضْلِ مجالسِ الذكرِ، وأنَّ أعظمَ الوَصِيَّةِ ما ينفعُ في الآخرةِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ البُخاريّ، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (5/ 2267)، رقم: (5765).

(2) أَخْرَجَهُ الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (2353) واللفظ له، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (168/6)، والخطيب في ((الموضح)) (412/2) باختلاف يسير

" **قَالَ: لاَ تَغْضَبْ**" (لا) نَاهِيَةٌ، فالجملةُ طَلَبِيَّةٌ، وليْسَتْ خَبَرِيَّةً، فالنبيُّ ﷺ نَهَاهُ عن الغضبِ. والغضبُ: هوَ ثَوَرَانُ النفسِ وغَلَيَانُهَا وسرعةُ جَرَيَانِ الدَّمِ فيها.

والغضبُ ينقسمُ إلى قِسْمَيْنِ، وهُما:

القِسْمُ الأَوَّلُ: جِبِلِّيٌّ، وهذا لا يستطيعُ الإنسانُ التَّحَرُّزَ منهُ ولا السلامةَ منهُ؛ لأنَّهُ فِطْرِيٌّ في الإنسانِ.

القسمُ الثاني: مُكْتَسَبٌ، وهوَ قِسْمَانِ:

الأوَّل: مَحْمُودٌ، وهوَ الغضبُ للَّهِ عندَ انتهاكِ محارمِهِ، كَمَا كانَ يَفْعَلُهُ ﷺ؛ لأنَّهُ غَيْرَةٌ على دِينِ اللَّهِ، وقَهْرٌ لأعدائِهِ تعالى، ودِفَاعٌ عن الدِّينِ، وحُبٌّ للَّهِ تعالى، وبُغْضٌ لغيرِ اللَّهِ، وبَذْلُ النفسِ للَّهِ تعالى.

ثانياً: مَذْمُومٌ، وهوَ الذي يكونُ للنفسِ وللدُّنْيَا وللإضرارِ بالغيرِ؛ لأنَّهُ يَتَوَلَّدُ منهُ مفاسدُ؛ منها: الانتصارُ للنفسِ، عدمُ كَظْمِ الغيظِ، عدمُ العفوِ، الإضرارُ بالبدَنِ، تَسَلُّطُ الشيطانِ، كثرةُ الشرورِ، قِلَّةُ الخيرِ، الإضرارُ بالغيرِ بالسَّبِّ والشتمِ والضربِ، التَّكَبُّرُ، إفسادُ الأنفسِ والأموالِ، زوالُ العقلِ، التقاطُعُ، تَغَيُّرُ الخِلْقَةِ، الحقدُ والحسدُ وغيرُ ذلكَ.

والمرادُ من النهيِ: النهيُ عن الأسبابِ الجَالِبَةِ لهُ. فَرَدَّدَ الرَّجُلُ مِرَارَاً ، أَيْ قَالَ: أَوْصِنِي قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ"وهذا يَدُلُّ على أنَّ الغضبَ جُمَّاعُ الشَّرِّ، والتَّحرُّزَ منهُ جُمَّاعُ الخيرِ

وعلاجُ الغضبِ بأُمُورٍ؛ منها:

1- التَّعَوُّذُ باللَّهِ من الشيطانِ الرجيمِ.

2- مُجَاهَدَةُ النفسِ عندَ الغضبِ بأنْ يَمْلِكَهَا.

3- كَظْمُ الغيظِ.

4- والعفوُ.

5- الجلوسُ إنْ كانَ قائماً.

6- الاضْطِجَاعُ إنْ كانَ جالساً.

7- تَجَنُّبُ أسبابِ الغضبِ.

8- تَذَكُّرُ عواقبِ الغضبِ الجَسَدِيَّةِ منْ تَغَيُّرِ الصورةِ، وَالقوْلِيَّةِ منْ سَبٍّ وغَيْرِهِ، والفِعْلِيَّةِ منْ ضَرْبٍ وقَتْلٍ ونَحْوِهما.

9-اسْتِحْضَارُ التوحيدِ الحقيقيِّ منْ أنَّ الفاعلَ هوَ اللَّهُ تعالى.

الْحَدِيث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ) (1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الْحَدِيث:

أَبُو يَعْلَى شَدَّادُ بنُ أَوْسِ بنِ ثابتٍ الأَنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ النَّجَّارِيُّ، صَحَابِيٌّ جليلٌ من الأُمَرَاءِ، وَلاَّهُ عمرُ إمارةَ حِمْصَ، ولَمَّا قُتِلَ عثمانُ اعتزلَ الإمارةَ وعَكَفَ على العبادةِ. نَزَلَ بيتَ المقْدِسِ، تُوُفِّيَ عَنْ خمسٍ وسبعِينَ سنةً ،في العامِ الثامنِ والخمسينَ من الهجرةِ في القُدْسِ ، وَقَبْرُهُ بِظَاهِرِ بابِ الرَّحْمَةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولهُ خمسونَ حديثاً.

موضوعُ الْحَدِيث:

الأمرُ بالإحسانِ في كلِّ شيءٍ أو الرِّفْقُ بالحيوانِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيث:

قالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا الحديثُ من الأحاديثِ الجامعةِ لقواعدِ الإسلامِ؛ وذلكَ لأنَّ هذا الحديثَ يَدلُّ على عمومِ الإحسانِ في كلِّ شيءٍ، ولعلَّهُ أَمَرَ بإحسانِ القِتْلَةِ وإحسانِ الذِّبحةِ على سبيلِ المثالِ، أوْ لِحَاجَةِ البيانِ لذلكَ).

---

(1) أَخْرَجَهُ أبو داود (2815)، ومُسلِم (1955)، والترمذي (1409) بلفظه.

وبهذا يكونُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُصيبًا ومُوَفَّقًا في اختيارِهِ هذا الحديث ضِمْنَ أَرْبَعِينِهِ الَّتي جَمَعَهَا؛ وذلكَ لأنَّ الحديثَ يَدْعو لقاعدةٍ عامَّةٍ تَشْمَلُ كلَّ قولٍ وفعلٍ، وهذا مِنْ مَقاصدِ جَمْعِهِ للأربعينَ حديثًا.

الشَّرحُ :

قوله : " إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانُ عَلَى كُلِّ شَيء"

(**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ**)) أيْ: فرضَ وأَوْجَبَ وأَلْزَمَ.

لفظُ الكتابةِ يَدُلُّ على الوُجوبِ عندَ أَكثرِ الفُقهاءِ والأُصوليّينَ، كما أنَّ لفظَ الكتابةِ استُعْمِلَ في القرآنِ فيما هوَ واجبٌ، قالَ تَبارَكَ وتعالى: (**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**). (1)

(**الإحسانَ**) أيْ: إِتْقَانَ العملِ أو التَّفَضُّلَ والإنعامَ.وإِتْقَان العملِ كالإِتْيَانِ بالواجبات المفروضة كالصلاة وبِمُستحبَّاتِ الواجباتِ وهي السنن ،و إِيصَالِ النَّفعِ إلى الآخرينَ كالإحسانِ للوالدَيْنِ وجوبا ، وصَدَقةِ التَّطوُّعِ ندبا.ومنه عَدَمُ الْمُثْلَةِ بالمقتولِ ابتداءً واراحة الذبيحة . وقدْ أَمَرَ اللَّهُ بالإحسانِ فقالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ). (2)

ثم ضرب أمثلة فقال: "**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ**" والقتلُ المباحُ على وجْهَيْنِ:

الأوَّلُ : أنْ يكونَ قِصَاصاً، فَيُقْتَلُ كما قَتَلَ، أيْ: بالآلةِ التي قَتَلَ بها أوْ بِمِثْلِهَا؛ لِقِصَّةِ الجاريَةِ التي رُمِيَتْ بحجرٍ، وقُتِلَ الذي قَتَلَهَا بحجرٍ كذلكَ.

وقيلَ: يُقْتَلُ بالسَّيْفِ فقطْ.

---

(1) النساء: 103

(2) النحل: 90

والأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) (1)

الثاني: أنْ يكونَ القتلُ للكُفْرِ، فيُقْتَلُ بالسيفِ أوْ بالرَّمْيِ بلا مُثْلَةٍ.

"وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ"

أيْ: إذا ذَكَّيْتُم الذبيحةَ الذَّكَاةَ الشرعِيَّةَ فَأَحْسِنُوا هيئةَ الذَّبْحِ.

قولُهُ ﷺ: (وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ). أَيْ: لِيَجْعَلْ سِكِّينَهُ الَّتِي يَذْبَحُ بِهَا الذَّبِيحَةَ حَادَّةً بحيث لا يتألم المذبوح حين الذَّبح وهذا يدلُّ على استخدام الآلات الجيدة في إزهاق الروح في الحيوان.

وآدابُ الذبحِ، هيَ: الرِّفْقُ بها، الذبحُ بآلةٍ حَادَّةٍ، سَوْقُها إلى الذبحِ برِفْقٍ، أنْ لا تُذْبَحَ بِحَضْرَةِ أُخْرَى، تَرْكُهَا قبلَ السَّلْخِ حتَّى تَبْرَدَ، عدمُ ذَبْحِهَا من الخَلْفِ.ولهذا قال أي السكين، وحدُّها يعني حكها حتى تكون قوية القطع، أي يحكها بالمبرد أو بالحجر أو بغيرهما حتى تكون حادة يحصل بها الذبح بسرعة.

" **وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**" اللام للأمر، أي وليرح ذبيحته عند الذبح بحيث يمر السكين بقوة وسرعة .

(1) النحل: 126

الحَدِيث الثامن عشر

عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ: (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " (1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

الرَّاوِي الأَوَّلُ: جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ الغِفَارِيُّ، كَانَ من المُلْهَمِينَ بالخَيرِ في الجاهليَّةِ، والزَّاهِدِينَ في الدُّنْيَا، أَسْلَمَ قَدِيمًا و مَاتَ بالرَّبَذَةِ سَنَةَ إِحْدَى أو اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ وَتَأَخَّرَتْ هِجْرَتُهُ، فلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرةٌ جِدًّا، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ.

والرَّاوِي الآخَرُ: مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ الأَنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، شَهِدَ العَقَبَةَ والمشَاهِدَ كُلَّهَا، وكانَ إليهِ المُنْتَهَى في العِلمِ بالأحكَامِ والقُرْآنِ، وهُوَ مِنْ فُقَهاءِ الصَّحَابَةِ وَأَجِلاَّئِهِمْ، مَاتَ بِنَاحِيَةِ الأُرْدُنِّ بالطَّاعُونِ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، عَنْ بِضْعٍ وثلاثِينَ سنةً، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

الموضوعُ:

حقوقُ اللَّهِ وحقوقُ المخلوقينَ.

مَنْزِلَةُ الحَدِيث:

تَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ هذا الحَدِيث بدَعْوَتِهِ إلى:

---

(1) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: 1987] وَقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

1- تقوى اللهِ هيَ غايَةُ الدِّينِ، وأصلُ كلِّ خيرٍ وفضيلةٍ، كما هيَ وصيَّةُ اللهِ تعالى القديمةُ للأوَّلينَ والآخِرينَ.

2- حُسْنُ الخُلُقِ غايَةٌ منْ غاياتِ الدِّينِ الْحَنيفِ، وحُسْنُ الخُلُقِ سببٌ لترابُطِ الأمَّةِ، وانتشارِ المحبَّةِ، كما هوَ سببُ القُرْبِ مِن اللهِ تعالى ورفعُ الدَّرجاتِ يومَ الدِّينِ.

الشَّرحُ :

قوله: "اتَّقِ اللهَ"

قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ:(هِيَ أنْ تجعلَ بَيْنَكَ وبينَ عذابِ اللَّهِ وقايَةً بفِعْلِ الأوامرِ وتركِ النَّوَاهِي). هيَ: قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ: (التَّقْوَى هِيَ الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ، والرِّضَا من الدُّنيا بالقليلِ).

وقالَ ابنُ مسعودٍ:(هِيَ أنْ يُطَاعَ اللَّهُ فلا يُعْصَى، ويُذْكَرَ فلا يُنْسَى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ). وقالَ أبو الدَّرْدَاءِ:(هِيَ أنْ يكونَ لِسَانُكَ رَطْباً بذِكْرِ اللَّهِ تعالى). وقالَ طَلْقُ بنُ حَبِيبٍ: (هِيَ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ على نورٍ من اللَّهِ، تَرْجُو ثوابَ اللَّهِ، وأنْ تتركَ معصيَةَ اللَّهِ على نُورٍ من اللَّهِ، تَخْشَى عقابَ اللَّهِ).

"حَيْثُمَا كُنْتَ" أيْ: في أيِّ مكانٍ كُنْتَ في الخَلْوَةِ والجَلْوَةِ، في المنزلِ والطريقِ والمسجدِ والمدرسةِ ومعَ الناسِ، وفي المزرعةِ والمتْجَرِ والمصنعِ والسيَّارةِ. وعلى أيِّ حالٍ منْ أَحْوَالِكَ: في اليقظةِ والنومِ، والقيامِ والقعودِ، والسرِّ والعَلَنِ، والليلِ والنهارِ، والصحَّةِ والسَّقَمِ، والشبابِ والْهَرَمِ، والغنى والفقرِ، والرخاءِ والشدَّةِ، واليُسْرِ والعُسْرِ، وعلى جميعِ الأحوالِ؛ لأن اللَّهَ لا تَخْفَى عليهِ خافيَةٌ، كلُّ شيءٍ مكشوفٌ لهُ؛ ولأنَّ الحياةَ كُلَّهَا عبادةٌ.

" وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا" (أتبع) فعل أمر، و (السيئة) مفعول أول، و(الحسنة) مفعول ثان.

" تَمْحُهَا" جواب الأمر، ولهذا جزمت،

والمعنى: إذا فعلت سيئة فأتبعها بحسنة،فهذه الحسنة تمحو السيئة.

واختلف العلماء – رحمهم الله – هل المراد بالحسنة التي تتبع السيئة هي التوبة، فكأنه قال: إذا أسأت فتب، أو المراد العموم؟

الصواب: الثاني، أن الحسنة تمحو السيئة وإن لم تكن توبة، دليل هذا قوله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (1)

" وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا" فبين النتيجة هي أنها تمحوها.

" وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" أي عامل الناس بخلق حسن.والخلق بذل النَّدَى وكف الأذى؛ يعني: أن تبذل الخير للناس، وأن تكف أذاك عنهم.

والخُلُق: هو الصفة الباطنة في الإنسان، والخَلْقُ: هو الصفة الظاهرة،والمعنى: عامل الناس بالأخلاق الحسنة بالقول وبالفعل.

فما هو الخلق الحسن؟

قال بعضهم: الخلق الحسن: كف الأذى، وبذل الندى، والصبر على الأذى – أي على أذى الغير – والوجه الطلق.

وضابط ذلك ما ذكره الله عزّ وجل في قوله: (خُذِ الْعَفْوَ) (2)أي خذ ما عفا وسهل من الناس، ولاترد من الناس أن يأتوك على ما تحب لأن هذا أمر

(1) هود: الآية114

(2) الأعراف:199

مستحيل، لكن خذ ما تيسر(وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (1) وهل الخلق الحسن جِبْلِيٌّ أو يحصل بالكسب؟ الجواب: بعضه جبلي، وبعضه يحصل بالكسب .

فإن قيل: معاملة الناس بالحزم والقوة والجفاء أحياناً هل ينافي هذا الْحَدِيث أو لا؟ فالجواب: لا ينافيه، لأنه لكل مقام مقال، فإذا كانت المصلحة في الغلظة والشدة فعليك بها، وإذا كان الأمر بالعكس فعليك باللين والرفق، وإذا دار الأمر بين اللين والرفق أو الشدة والعنف فعليك باللين والرفق، لأن النبي ﷺقال: "إِنَّ اللهَ رَفِيْقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ"

ولقد جرت أشياء كثيرة تدل على فائدة الرفق ومن ذلك: مرّ يهودي بالنبي ﷺفقال: السام عليك يامحمد – والسام يعني الموت – فقالت عائشة رضي الله عنها : عليك السام واللعنة – جزاءً وفاقاً وزيادة أيضاً – فنهاها النبي ﷺوقال: **"إِنَّ اللهَ رَفِيْقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكَتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ"** (2)

---

(1) الأعراف:199

(2) أَخْرَجَهُ البُخاريّ كتاب: الادب، باب: الرفق في الأمر كله، (6024). ومُسلِم– كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، (2165)، (10)

الْحَدِيث التاسع عشر

عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي ﷺيوماً فَقَالَ: (يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ) (1)رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح – وفي رواية – غير الترمذي: (اِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْكَ في الشّدةِ، وَاعْلَم أن مَا أَخطأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخطِئكَ، وَاعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً) (2)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الْحَدِيث:

أَبو العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺبالتَّفَقُّهِ في الدِّينِ، فَكَانَ بَحْرًا في العُلُومِ، وهُوَ أَحَدُ المكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابةِ، وأَحَدُ العَبَادِلَةِ مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحابَةِ مَاتَ بالطَّائِفِ سَنَةَ ثمانٍ وستِّينَ، عَنْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً.

---

(1) أَخْرَجَهُ الترمذي كتاب: صفة القيامة، باب، (2516) والإمام أحمد– عن عبدالله بن عباس، ج1/ص293، (2669).

(2) الحاكم في المستدرك على الصحيحين – ج3/ ص624، كتاب معرفة الصحابة، (6304) وقال عنه الذهبي في التلخيص: ليس بمعتمد.

مَوْضُوعُ الْحَدِيث:

غَرْسُ العَقَائِدِ في نُفُوسِ الصِّغَارِ، أو الوَصِيَّةُ الجَامِعَةُ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيث:

قالَ ابنُ رجبٍ: (هذا الحديثُ يَتضمَّنُ وَصايا عظيمَةً، وقواعدَ كُلِّيَّةً مِنْ أهمِّ أمورِ الدِّينِ، حتَّى قالَ بعضُ العلماءِ: تَدَبَّرْتُ هذا الحديثَ فأَدْهَشَنِي وَكِدْتُ أَطِيشُ، فَوَاأَسَفًا مِن الجهلِ بهذا الحديثِ وقِلَّةِ التَّفهُّمِ لمِعْنَاهُ).

الشَّرحُ :

قوله "**كُنْتُ خَلْفَ النبي**" أي: كُنْتُ رَدِيفَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ ورَاكِباً مَعَه.

" **يَا غُلامُ**" نَادَاهُ لِيُصْغِيَ إليهِ، وَيَأْخُذَ مَا يُلْقِي إليهِ بِاهْتِمَامٍ

قال: "**إني أُعَلمُكَ كَلِمَاتٍ**" مُشْتَمِلَةً عَلى عُلُومٍ كَثيرةٍ، فَخُذْهَا مِنِّي وَاعْمَلْ بِهَا ولا تَنْسَهَا

"**اِحْفَظِ اللهَ يَحفَظكَ**"

فقولُهُ ﷺ: (**احْفَظِ اللَّهَ**) يَعْنِي: احْفَظْ حُدُودَهُ وحُقُوقَهُ، وأوامِرَهُ ونواهِيَهُ.

فالله سبحانه وضع أسبابا عندها تتحقق النتائج، فمن أراد الزرع وضع بذرة في الأرض ومن أراد المال سعى في التجارة، ومن أراد ان يحفظه الله فليحفظ الله ، ولكن،

كيف يحفظ الانسان ربه ؟

1- إحفظ الله في إيمانك : واعلم أن الله لم يخلقك عبثا ولن يتركك سدى

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)(1) فالله خلقك لغاية عظيمة ، ومهمَّة جسيمة ؛ ألا وهي عبادته التي هو في غاية الغنى عنها ، وأنت في أمسِّ الحاجة إليها . قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). (2)

واعلم أن الإيمان يزيد وينقص ، قال الله تعالى: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (3). وقال أبو الدرداء:(إِنَّ مِنْ فِقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَتَعَاهَدَ إِيمَانَهُ وَمَا نَقَصَ مِنْهُ ، وَمِنْ فِقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَمُزْدَادٌ هُوَ أَمْ مُنْتَقِصٌ؟).(4)

2-**إحفظ الله في صلاتك:** وقدْ أمَرَ اللَّهُ بالمحَافَظَةِ عليها فقالَ: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى). (5) ومَدَحَ المحَافِظِينَ عليها بقولِهِ: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ). (6) وقالَ النبيُّ ﷺ: (مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ). (7) وقالَ: (مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (8)

3-**أحفظ الله في طهارتك** : فإنَّها مِفْتَاحُ الصلاةِ، وقالَ النبيُّ ﷺ: (لا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلا مُؤْمِنٌ). (9)

---

(1) المؤمنون: 115

(2) الذاريات: 56

(3) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (92/4).

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة للالكائي بَابُ جُمَّاعِ الْكَلَامِ فِي الْإِيمَانِ رقم 1371

(5) البقرة: 238

(6) المَعَارِج: 34

(7) أَخْرَجَهُ أبو داود (425)، والنسائي (461)، وابن ماجه (1401)، وأحمد (22756) بنحوه.

(8) أَخْرَجَهُ أحمد (6576)، وابن حبان (1467)، والطبراني (127/14) (14746) باختلاف يسير

(9) أَخْرَجَهُ ابن ماجه (279) واللفظ له، والطبراني (352/8) (8124)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (2804)

4- إحفظ الله في جارحة النظر وفي الحديث : "**يا عليُّ ! لا تُتبعِ النَّظرةَ النَّظرَةَ، فإنَّ لَكَ الأولى، ولَيستْ لَكَ الآخرَةُ**"(1).

وقال تعالى:(**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**) (2)

5- إحفظ الله في سمعك: نزه سمعك عن كل ساقط من القول وقبيح من الْحَدِيث فإنه عارية مستردة ونعمة مستوفاه وأنت مسؤل عنها يوم القيامة (**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**) (3) وأحذر كلَّ الحذر أن تُصغي بسمعك للمعازف والغناء ، فإنها تصدُّ عن ذكر الله تعالى ، وتزين المحرمات ، وتُغري بارتكاب الموبقات ، وتُفقد الإنسان مروءته وعدالته ورجولته ، وتطمس على قلبه وتُنبتُ النفاق فيه .

6-إحفظ الله في فرجك: فلا تقضي وطرك في فرج لا يحل لك (**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً**) (4) **وكن من الحافظين لفروجهم:(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**) (5). وقال ﷺ:" **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** " (6).

وفي حديثِ أبي هُرَيْرَةَ، عن النبيِّ ﷺقالَ: (**مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أضمنُ له الجنةَ**) (7)

---

(1) أَخْرَجَهُ أبو داود (2149)، والترمذي (2777)، وأحمد (22991)

(2) النور: 30

(3) الإسْرَاء: 36

(4) الإسراء: 32

(5) المؤمنونَ: 1-6

(6) أَخْرَجَهُ البُخاريّ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم (7352)، ومُسلِم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب، أو أخطأ، برقم (1716).

(7) أَخْرَجَهُ أحمد (19559)، وأبو يعلى (7275) بنحوه، وتمام في ((الفوائد)) (490) باختلاف يسير

7-أحفظ الله في عقلك :فلا تغطه بالمسكرات ولا تحجبه بالمخدارت ولا تتلفه بالخمور قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) (1) قال رسول الله ﷺ:" **لا تشربِ الخمر فإنَّها مفتاح كلِّ شرٍّ** "(2) .

8-إحفظ الله عند نومك :وجاء في حديث عمر كان يدعُو : اللهمَّ احْفَظْنِي بِالإسلامِ قائِمًا، واحْفَظْنِي بِالإسلامِ قاعِدًا، و احْفَظْنِي بِالإسلامِ رَاقِدًا، ولا تُشْمِتْ بي عَدُوًّا حاسِدًا) (3)

9- إحفظ الله في زوجتك وبناتك :فأنت راع ومسؤول عن رعيتك فالزمهن بالستر والعفة والطهارة وعلمهم آداب الإسلام وسنة رسوله ﷺ

جنبهم بؤر الفساد ومسببات الإنحراف وأحطهم بسياج الرفقة الصالحة وحفظهم القرآن الكريم وعلمهم السنة وأطعمهم الحلال فإنهم يصبرون على جوع الدنيا ولا يصبرون على نار جهنم .وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه .

10-إحفظ الله في بطنك: لقول النبي :" وليحفظِ البطنَ وما حوى" (4) فلا تأكل أموال الناس بالباطل ولاتغذيه إلا بطريق الحلال والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وأمرنا أن نأكل من الطيبات .

11-إحفظ الله في لسانك: فإنه صغير الحجم عظيم الجرم وقد أوكل الله بك من يسجل كل كلمة .قال تعالى (**مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) (5)

---

(1) المائدة: 90

(2) أَخْرَجَهُ ابن ماجه (3371) واللفظ له، والبزار (4148) مطولاً باختلاف يسير، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (5200) مطولاً

(3) أَخْرَجَهُ الطبراني في ((الدعاء)) (1445)، والحاكم في ((المستدرك على الصحيحين)) (1945)، واللفظ لهما.

(4) أَخْرَجَهُ الترمذي (2458)، وأحمد (3671) باختلاف يسير.

فيكثرون القيل و القال بين الناس ، وينغمسون في الغيبة و النميمة فاكهة مجالس الناس ، ويخوضون في بعضهم ، ويتناقلون الدسيسة و الوشاية و الطعن على أنه حقيقة ثابته ، ويصدرون الأحكام، ويتّخذون المواقف ، كل ذلك بناء على كلمة سمعوها ، أو على قصة اختلقوها، فينتج عن ذلك الفتنة التي هي أشد من القتل

12-إحفظ الله في أيمانك: فإنَّ الأَيْمَانَ يَقَعُ الناسُ فيها كثيرًا، من الحلف كاذبًا أو الحلف بغير الله أو أن يكثر من الحلف وإن كان صادقًا, وخاصةً في أمر التجارة, أو أن يحلف بالطلاق. قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: **(وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)** (1) .

قوله: " يحفظك " يَعني: أنَّ مَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ، ورَاعَى حُقُوقَهُ، حَفِظَهُ اللَّهُ؛ فإنَّ الجزاءَ مِنْ جنسِ العَمَلِ، كما قالَ تعالَى: **(وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)** (2) وقوله تعالى: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)** (3). وقوله تعالى: **(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ)** (4)

كيف يحفظني الله؟

1- يحفظه الله أثناء حياته في دينه، وإيمانه من الشبهات المردية والبدع المضلة،ومن الشهوات المحرَّمة، كما حفظ يوسف عليه السلام:(**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)** (5)

---

(5) ق: 18

(1) المائِدة: 89

(2) البقرة: 40

(3) البقرة: 152

(4) مُحَمَّد: 7

(5) يوسف: 24

ومن حفظ الله للعبد في دينه عندَ موته، أن يتوفَّاه على الإيمان عند ساعة الاحتضار، عند فراق هذه الدنيا، في تلك اللحظة الحرجة التي يحرص الشيطان على اصطياد المرء فيها، ولكن المؤمن الصادق يثبته الله بقوله الثابت، ويحفظه ويسدده، ويوفقَّه لقول كلمة التوحيد.

قال تعالى:(**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)** (1) **قالَ : نزلَت في عذابِ القبرِ ، يُقالُ لَهُ : مَن ربُّكَ ؟ فيقولُ : ربِّيَ اللَّهُ ، ونبيِّي محمَّدٌ ، فذلِكَ قَولُهُ : يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** (2)

2- يحفظه الله في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وعقله وولده وأهله وماله من الآفات والمكروهات، فكم من شرٍّ ومُصيبةٍ دفَعَها الله عنك وأنت لا تعلمُها!

- قال الله: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) (3)

قالَ ابنُ عبَّاسٍ:(**هم الملائِكَةُ يَحْفَظُونَهُ بأمْرِ اللَّهِ، فإذا جاءَ القَدَرُ خَلَّوْا عنهُ**). (4)

وقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**إنَّ معَ كُلِّ رَجُلٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ مِمَّا لَمْ يُقَدَّرْ، فإذا جاءَ القَدَرُ خَلَّيَا بينَهُ وبينَهُ، وإنَّ الأجلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ**).. (5)

كانَ بعضُ العلماءِ (6) قدْ جَاوَزَ المِائَةَ سَنَةٍ وهوَ مُتَمَتِّعٌ بقُوَّتِهِ وعَقْلِهِ، فوَثَبَ يَوْمًا وَثْبَةً شَدِيدَةً، فَعُوتِبَ في ذلكَ، فقالَ: (هذهِ جوارِحُ حَفِظْنَاهَا عَنِ المَعَاصِي في الصِّغَرِ،

---

(1) إبراهيم: 27

(2) أَخْرَجَهُ ابن ماجه (4269) واللفظ له، وأَخْرَجَهُ البُخاريّ (1369)، ومُسلِم (2871) باختلاف يسير

(3) الرَّعْد: 11

(4) رَوَاهُ الطبري في "جامع البيان" (20216) و (20217) من طريقين عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، وأورده السُّيوطِيّ في "الدر المنثور" 4/ 614، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(5) رَوَاهُ الطبري (20247) ورجاله ثقات.

فحَفِظَها اللَّهُ عَلَيْنَا في الكِبَرِ) وعَكْسُ هذا أنَّ بعضَ السلَفِ رأى شَيْخًا يَسْأَلُ الناسَ، فقالَ: (إنَّ هذا ضَيَّعَ اللَّهَ في صِغَرِهِ، فضَيَّعَهُ اللَّهُ في كِبَرِهِ). (1).

و أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها زوج عبدالله بن الزبير، وهي ممن أسلم قديماً بمكه، وكانت حافظة لله فحفظها الله تعالى , يقول عروة بن الزبير: بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سنٌّ ولم ينكر لها عقل(2).

وقد يحفظُ الله ذرية العبد الصالح بعد موته بسبب صلاحه :

قَالَ سَعِيدُ بنُ المسَيّبِ لابْنِهِ: (3). (لأَزِيدَنَّ فِي صَلاتِي مِنْ أَجْلِكَ؛ رَجَاءَ أَنْ أُحْفَظَ فِيكَ. ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: (كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)(4)

وقَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ: (ما مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ إلا حَفِظَهُ اللَّهُ في عَقِبِهِ وعَقِبِ عَقِبِهِ). (5).

وقَالَ ابنُ المنْكَدِرِ:(إِنَّ اللَّهَ لَيَحْفَظُ بالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ والدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِن اللَّهِ وسَتْرٍ). (6)

– **يحفظه الله في دينه ونياه معا** كما قال تعالى: (**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً**) (7)

---

(6) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ عن عمر يزيد على المائة، مترجم في "السير" 17/ 668 – 671. وخبره هذا في "البداية" 12/ 85 لابن كثير.

(1) كتاب جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط. ص (446).

(2) كتاب جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط. ص (446).

(3) كتاب جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط. ص (446).

(4) الكهف: 82

(5) كتاب جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط. ص (446).

(6) رَوَاهُ ابن المبارك في "الزهد" (٣٣٠)، والحميدي (٣٧٣)، وأبو نعيم في "الحلية" ٣/ ١٤٨.

(7) الطلاق: 3

– **وحفظ الله وجده إبراهيم عليه السلام** وهو يلقى في النار كان في قمة الثبات والانتصار والاصرار ،وضع ابراهيم الخليل في المنجنيق ورمي به الى الحريق فنادى حسبنا الله ونعم الوكيل فقال تعالى كوني بردا وسلاما فنجا الله ابراهيم وصار للناس اماما.وقالها محمد ﷺحين قالوا:(**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**(1)

وقَوْلُهُ ﷺ: (احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) وفي رِوَايَةٍ: (**أَمَامَكَ**) مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ، ورَاعَى حُقُوقَهُ، وجَدَ اللَّهَ معَهُ في كُلِّ أَحْوَالِهِ، حَيْثُ تَوَجَّهُ يَحُوطُهُ ويَنْصُرُهُ ويَحْفَظُهُ ويُوَفِّقُهُ ويُسَدِّدُهُ، فَ(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)(2)

قولُهُ ﷺ: (تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ) يَعْنِي أَنَّ العَبْدَ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ، وحَفِظَ حُدُودَهُ، ورَاعَى حُقُوقَهُ في حالِ رَخَائِهِ، فَقَدْ تَعَرَّفَ بذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، وصَارَ بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ، فعَرَفَهُ ربُّهُ في الشِّدَّةِ، ورَعَى لَهُ تَعَرُّفَهُ إِلَيْهِ في الرَّخَاءِ، فنَجَّاهُ مِن الشَّدَائِدِ بِهَذِهِ المَعْرِفَةِ.

فمَنْ عَامَلَ اللَّهَ بالتَّقْوَى والطَّاعَةِ في حَالِ رَخَائِهِ عَامَلَهُ اللَّهُ باللُّطْفِ والإِعَانَةِ في حَالِ شِدَّتِهِ.

وخرَّجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَن النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ في الرَّخَاءِ**). (3)

وخرَّجَ ابنُ أَبِي حاتِمٍ وغَيْرُهُ مِنْ رِوَايَةِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: (**أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا دَعَا فِي بَطْنِ الْحُوتِ، قَالَتِ الْمَلائِكَةُ: يَا رَبِّ، هَذَا صَوْتٌ**

(1) آل عمران: 173

(2) النحل: 128

(3) أَخْرَجَهُ الترمذي (3382)، وأبو يعلى (6396)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (2004) باختلاف يسير.

مَعْرُوفٌ مِنْ بِلادٍ غَرِيبَةٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟

قَالَ: عَبْدِي يُونُسُ.قَالُوا: عَبْدُكَ يُونُسُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ وَدَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ.قَالُوا: يَا رَبِّ، أَفَلا تَرْحَمُ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ فَتُنْجِيَهُ مِنَ الْبَلاءِ؟ قَالَ: بَلَى.قَالَ: فَأَمَرَ اللَّهُ الْحُوتَ فَطَرَحَهُ بِالْعَرَاءِ). (1)

وقَالَ الضَّحَّاكُ بنُ قَيْسٍ: (اذْكُرُوا اللَّهَ في الرَّخَاءِ يَذْكُرْكُم فِي الشِّدَّةِ، وإِنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، فلَمَّا وَقَعَ في بَطْنِ الحُوتِ **قَالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** (2) وإِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ طَاغِيًا نَاسِيًا لذِكْرِ اللَّهِ، فلَمَّا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ: آمَنْتُ، فَقَالَ تَعَالَى: **(آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)** (3).

وقالَ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ: (إِذَا كَانَ الرَّجُلُ دَعَّاءً فِي السَّرَّاءِ، فنَزَلَتْ بِهِ ضَرَّاءُ، فدَعَا اللَّهَ تَعَالَى، قَالَت المَلائِكَةُ: صَوْتٌ مَعْرُوفٌ، فَشَفَعُوا لَهُ، وإِذَا كَانَ لَيْسَ بدَعَّاءٍ فِي السَّرَّاءِ، فنَزَلَتْ بِهِ ضَرَّاءُ، فَدَعا اللَّهَ تعَالَى، قالَت المَلائِكَةُ: صَوْتٌ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ، فَلا يَشْفَعُونَ لَهُ). (4).

وقَالَ رَجُلٌ لأَبِي الدَّرْدَاءِ:(أَوْصِنِي، فقَالَ: اذْكُر اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ يَذْكُرْكَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فِي الضرَّاءِ). (5).

---

(1) كتاب نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺلابن عباس . ص 117 . وانظر تفسير ابن جرير في تفسيره (24/ 64) وفي إسناده يزيد الرقاشي وهو متروك.

(2) الصَّافَّات: 143، 144 . وانظر تفسير الطبري في الاية : (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) من سورة الصافات.

(3) كتاب جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط. ص: 476

(4) كتاب جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط. ص: 476

(5) كتاب جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط. ص: 476

وعنهُ أَنَّهُ قَالَ: (ادْعُ اللَّهَ فِي يَوْمِ سَرَّائِكَ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكَ فِي يَوْمِ ضَرَّائِكَ) (1).

(**وَإِذَا سَأَلْتَ**) أَيْ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ شَيْئًا، (فَاسْأَلِ اللهَ) الذي بِيَدِهِ الأُمورُ كُلُّهَا، ولَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ مِنْهُ، ويَكْرَهُ السُؤالَ مِنْ غَيْرِهِ، وَ لَوْ كَانَ لإنسانٍ بَصِيرَةٌ لَعَلِمَ أَنَّ السؤالَ مِنْ غَيرِ الغَنِيِّ قِلَّةُ حَيَاءٍ وجَهْلٌ وَسُوءُ أَدَبٍ.

(**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ**) فِي شَيءٍ (فَاسْتَعِنْ بِاللهِ)فَإِنَّهُ القَادِرُ عَلى كُلِّ شَيءٍ؛ لاَ بِغَيْرِهِ، إِذْ هُوَ أَيْ: هَذَا الغَيْرُ عاجِزٌ عَنْ أُمورِ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يُعِينُكَ على أُمُورِكَ.

قولُهُ ﷺ: (**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ**)، وذلكَ حاصِلٌ لَكَ، اجْتَمَعُوا عَلى نَفْعِكَ بِهِ أَمْ لاَ، ولاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِمَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ، فَاقْطَعْ طَمَعَكَ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُم لاَ يَقْدِرُونَ على شيءٍ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، والرجوعِ إليهِ.

(**وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**)، وذلِكَ واصلٌ إليكَ، اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ أَمْ لاَ، ولا يَقْدِرُونَ عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِمَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ. فَاقْطَعْ خَوْفَكَ مِنْهُم، إِذْ لاَ يَقْدِرُونَ عَلى شيءٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ، وَارْجِعْ إليهِ – وَإِنِ اجْتَمَعُوا – وَخَفْ مِنْهُ.

(**رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ**) التي يُكْتَبُ بِهَا المقَادِيرُ (**وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**) التي كُتِبَ فيهَا، هذِهِ كِنَايَةٌ أَنَّ الأمرَ قَدْ قُدِّرَ وَكُتِبَ وفُرِغَ مِنهُ، فَلاَ يُزَادُ فيهِ، ولا يُنْقَصُ مِنْهُ.

قولُهُ ﷺ: (**جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ**) وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى: (**رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**) هوَ كِنايَةٌ عنْ تَقَدُّمِ كتابَةِ المقَادِيرِ كُلِّها، والفَرَاغِ مِنها مِنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ؛

(1) الحلية (تهذيبه) 1/ 178

فَإِنَّ الكِتَابَ إذا فُرِغَ مِنْ كِتَابَتِهِ، ورُفِعَت الأقْلامُ عنهُ، وطالَ عَهْدُهُ، فَقَدْ رُفِعَتْ عنهُ الأَقْلامُ، وجَفَّت الأَقْلامُ الَّتِي كُتِبَ بِهَا مِنْ مِدَادِهَا، وجَفَّت الصَّحِيفَةُ التِي كُتِبَ فيها بالمِدَادِ المكْتُوبِ بهِ فيها.

الْحَدِيث العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقبةَ بنِ عَمْرٍو الأنصاريّ الْبَدْرِيّ –رَضِي اللهُ عَنْهُ– قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)). (1).

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الْحَدِيث:

هوأبو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ بنُ عمرِو بنِ ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ النَّجَّارِيُّ البَدْرِيُّ ؛ نِسْبَةً إلى بَدْرٍ سَكَنًا لاَ شُهُودًا مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ ، عَلى الأَصَحِّ، شَهِدَ العَقَبَةَ الثَّانِيَةَ وكَانَ أَصْغَرَهُمْ، وَشَهِدَ أُحُدًا والمَوَاقِعَ كُلَّهَا بَعْدَهَا وَمَاتَ بالمدينةِ سنةَ 42 هـ وَقِيلَ: بالكوفةِ رَضِيَ اللهُ عنْهُ.

مَوْضُوعُ الْحَدِيث:

اتِّفَاقُ النُّبُوَّةِ عَلَى فَضْلِ الحَيَاءِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيث:

تَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ الحديثِ بدعوتِهِ إلى خُلُقِ الحياءِ، الَّذي هوَ من الإيمانِ. والحياءُ لا يأتي منهُ إلاَّ الخيرُ، والحياءُ يدعو صاحبَهُ للتَّحَلِّي بالفضائلِ، والبعدِ عن الرَّذائلِ. والحياءُ خُلُقُ أنبياءِ اللهِ وإمامِهِم محمَّدٍ ﷺ ؛ حيثُ كانَ أشدَّ حياءً مِن العَذْراءِ في خِدْرِهَا.

---

(1) رَوَاهُ البخاريُّ.

الحياءُ خُلُقُ ملائكةِ اللهِ، قالَ ﷺ: (**أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ**). وخُلُقُ الحياءِ الدَّعوةُ إليهِ قديمةٌ.

وقوله: "**إِنَّ مِما أَدرَكَ الناسُ**" (**من**) هنا للتبعيض، أي: مِمَّا أُثِرَ عَنِ الأَنْبِياءِ السَّابِقِينَ وتَدَاوَلَهُ النَّاسُ وتَوَارَثُوهُ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ.

وقوله: **النبوَةِ الأُولَى** أي: الشَّرَائِعُ السَّابِقَةُ الَّتِي جَاءَتْ بالفَضِيلَةِ ونَهَتْ عَن الرَّذِيلَةِ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى الحَيَاءِ.

للعلماءِ في مفهومِ أمْرِهِ ﷺأقوالٌ؛ منها:

1- الأمرُ للتَّهديدِ والوعيدِ، فيكونُ المعنى: إذا لَمْ يكُنْ عندَكَ حياءٌ فاعملْ ما شِئْتَ؛ فإنَّكَ مُعَاقَبٌ مُجازًى على صَنيعِكَ، وقدْ يكونُ في الدُّنيا أو الآخرةِ أوْ في كِلاهُما.

وقدْ وَرَدَ في الذِّكْرِ الحكيمِ مثلُ هذا السِّياقِ، قالَ تعالى: (**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**).

2- الأمرُ للإباحةِ، فيكونُ المعنى: إذا أَقْدَمْتَ على أمْرٍ فلمْ تَستحِ مِنْ صَنيعِهِ من اللهِ ولا رسولِهِ ولا النَّاسِ فافْعَلْهُ؛ فإنَّهُ يُباحُ لكَ ذلكَ.

قالَ النَّوويُّ: (الأَمرُ فيهِ للإباحَةِ؛ أيْ: إذا أَرَدْتَ فعلَ شيءٍ فإنْ كانَ ممَّا لا تَسْتَحِي إذا فَعَلْتَهُ مِن اللهِ ولا من النَّاسِ فَافْعَلْهُ، وإلاَّ فلا).

3- الأمرُ للإخبارِ، فيكونُ المعنى: أنَّ المانعَ مِنْ فعلِ ما يَشِينُ العبدَ هوَ الحياءُ، فمَنْ فَقَدَهُ انْهَمَكَ في معاصي اللهِ عزَّ وجلَّ.

ومثلُ ذلكَ قولُهُ: ((**فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**)) فالأمرُ هنا؛ أيْ: تَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ نارِ جهنَّمَ. وهنا كلامٌ جميلٌ للخَطَّابِيِّ، ونصُّهُ: (الحكمةُ في التَّعبيرِ بلفظِ الأمْرِ دونَ الخبرِ في الحَدِيث أَنَّ الَّذي يَكُفُّ الإنسانَ عنْ موافقةِ الشَّرِّ هوَ الحياءُ، فإذا تَرَكَهُ صارَ كالمأمورِ طبعًا بارْتِكَابِ كلِّ شرٍّ).

والحَيَاءُ نَوْعَانِ:

أَوَّلاً: ما كان جِبِلَّةً، وهوَ ما كانَ فِطرةً يَمُنُّ اللهُ بهِ على مَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ وهي مِن أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى العَبْدِ إِذْ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ ويَدْعُوهُ لكُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ. قالَ ﷺ: ((**الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**)) فنرى كثيرًا من النَّاسِ يَكُفُّ عن القبائحِ والمعاصي، وقدْ لا يكونُ ذلكَ تَدَيُّنًا، قالَ بعضُهُم: (رَأَيْتُ المعاصِيَ نَذَالَةً فَتَرَكْتُهَا مُروءةً، فاسْتَحَالَتْ دِيانةً).

ثانياً: ما كان مُكْتَسَباً مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تعالَى ومَعْرِفَةِ عَظَمَتِهِ وعِلْمِهِ بخَائِنَةِ الأَعْيُنِ ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وهَذَا هو المطْلُوبُ في الحَدِيث؛ لأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى فِعْلِ الوَاجِبَاتِ وتَرْكِ المحَرَّمَاتِ، وكَانَ عُتْبَةُ الغُلامُ يَعْرَقُ حَيَاءً مِن رَبِّهِ في اليَوْمِ البَارِدِ مِن ذَنْبٍ فَعَلَهُ. قالَ تعالى:(**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**). رأى موسى عليهِ السَّلامُ هاتَيْنِ البنتَيْنِ وهما على مُسْتَوًى سَامٍ مِن الخُلُقِ القويمِ، فَهُنَّ لا يُزَاحِمْنَ الرِّجالَ، ويُكَفْكِفْنَ غنمَهُمَا أنْ تَرِدَ معَ غنمِ الرِّعاءِ؛ لِئَلاَّ يُؤْذَيَا.

كما فيهِ دَلالةٌ على أنَّ هاتَيْنِ الفتاتَيْنِ خَرَجَتَا مِنْ بيتٍ ربَّاهما فأَحْسَنَ تربيتَهُمَا، بيتٍ عظيمٍ يُعظِّمُ العِفَّةَ والحياءَ.

وعندَما استفسرَ موسى عنْ وضعِهِمَا بيَّنَتَا لهُ سببَ خروجِهِمَا، وهوَ كِبَرُ سنِّ والدِهِمَا، وهذا هوَ سببُ الخروجِ مِن الْخِدْرِ.

فقامَ موسى عليهِ السَّلامُ بالواجبِ وسقَى لهُمَا.

ثمَّ تابعَ القرآنُ القصَّةَ: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) بَيَّن لنا القرآنُ ما يَنْبَغِي أنْ تكونَ عليهِ المرأةُ مِنْ خُلُقٍ وحياءٍ، فوَصَفَ لنا مِشْيَةَ هذهِ الْحُرَّةِ الشَّريفةِ؛ مِشيَةً عُنْوَانُهَا الحياءُ والنَّقاءُ والطُّهرُ.

قالَ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ: (كَانَتْ مُتَسَتِّرَةً بِكُمِّ دِرْعِهَا).

كما بيَّنَ لنا كيفَ تُخاطِبُ المرأةُ الرِّجالَ الأجانبَ، فلا خُضوعَ بالقولِ ولا رِقَّةَ ولا وَقَاحَةَ؛ لذلكَ اختارَ اللهُ لنبيِّهِ موسى إحداهُمَا زوجةً لهُ، قالَ تعالى: (**الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**)

وهكذا يَجِبُ على وَلِيِّ الأمرِ، أنْ يُرَبِّيَ بناتِهِ على الحياءِ؛ لأنَّ الحياءَ حُلِيُّ المرأةِ، فإذا خلَعَتْهُ خلَعَتْ معَهُ كلَّ فضيلةٍ.

لقدْ كانَت الصَّحابيَّاتُ القدوةَ في هذا الميدانِ، فيَنْبَغِي أنْ يُقتدَى بهنَّ.

عنْ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: (تَزَوَّجَنِي الزُّبيرُ وما لَهُ في الأرضِ مِنْ مالٍ ولا مملوكٍ ولا شيءٍ غيرَ ناضحٍ وغيرَ فرسِهِ، فكنْتُ أَعْلِفُ فرسَهُ، وأَسْتَقِي الماءَ، وأَخْرِزُ غَرْبَهُ، وأَعْجِنُ، ولمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، فكانَ يَخْبِزُ جاراتٌ لي مِن الأنصارِ، وكُنَّ نِسوةَ صِدْقٍ، وكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أرضِ الزُّبيرِ الَّتي أقطَعَهُ رسولُ اللهِ ﷺ على رأسِي، وهيَ مِنِّي على ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فجئْتُ يومًا والنَّوَى على رأسِي، فلقِيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، ومعَهُ نفرٌ من الأنصارِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قالَ: ((إِخْ إِخْ)) لِيَحْمِلَنِي خلفَهُ، فاستحيَيْتُ أنْ أَسِيرَ معَ الرِّجالِ وَذَكَرْتُ الزُّبيرَ وغَيْرَتَهُ، وكانَ أَغْيَرَ النَّاسِ؛ فعَرَفَ رسولُ اللهِ ﷺأنِّي قد استحيَيْتُ، فَمَضَى).

والشَّاهدُ في هذا قولُ أسماءَ: (اسْتَحْيَيْتُ أنْ أَسيرَ معَ الرِّجالِ). اسْتَحَتْ أنْ تَسيرَ معَ هؤلاءِ الرِّجالِ الأطهارِ، وعندَما رأى رسولُ اللهِ ﷺهذا منها أقرَّهَا عليهِ

وشجَّعَها عليهِ، فيَجبُ على بناتِ المسلمينَ أنْ يَقتدِينَ بهؤلاءِ الصَّحابيَّاتِ؛ فهنَّ القدوةُ المنْجِيَةُ منْ مَهَاوِي الرَّدَى.

الْحَدِيث الحادي والعشرون

عَنِ أَبِيْ عَمْرٍو، وَقِيْلَ،أَبِيْ عمْرَةَ سُفْيَانَ بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدَاً غَيْرَكَ؟ قَالَ: "قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ استَقِمْ"(1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الْحَدِيث:

سُفْيَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ ربيعِ بنِ الحارثِ الثَّقَفِيُّ الطَّائِفِيُّ صَحَابِيٌّ، وكَانَ عامِلَ عُمَرَ عَلى الطَّائِفِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-. أَسْلَمَ مَعَ وَفْدِ ثَقِيفٍ.

مَوْضُوعُ الْحَدِيث:

الحَثُّ عَلَى الاسْتِقَامَةِ.

مَنْزِلَةُ الْحَدِيث:

مِن جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ ؛ إِذْ جَمَعَ قَوَاعِدَ الدِّينِ بِهَاتَيْنِ الكَلِمَتَيْنِ، وهُمَا الإِيمانُ والاسْتِقَامَةُ.

الشَّرحُ :

قوله: "**قل لي في الإسلام** " طَلَبَ الدَّلالَةَ عَلَى مَا فِيهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا ونَجَاةُ الآخِرَةِ، والإسلامُ: هو الانْقِيادُ للَّهِ ظَاهِراً وبَاطناً بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وتَرْكِ نَوَاهِيهِ.

قوله: " **قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك** يعني قولاً يكون حداً فاصلاً جامعاً مانعاً.

---

(1)

فقال له: "قُل آمَنْتُ بِاللهِ" أي: الإيمانَ الكَامِلَ الَّذِي يَشْمَلُ اعْتِقَادَ القَلْبِ وقَوْلَ اللِّسَانِ وعَمَلَ الجَوَارِحِ، فهو انْقِيادٌ بالظَّاهِرِ وانْقِيادٌ بالبَاطِنِ. وبالإِيمَانِ الكَامِلِ يَأْمَنُ النَّاسُ ويَأْمَنُ المجْتَمَعُ كُلُّه، وبذَلِكَ يَكْثُرُ الخَيْرُ ويَقِلُّ الشَّرُّ.

فأعطاه النبي ﷺ كلمتين: **"آمَنْتُ بِاللهِ"** محل الإيمان القلب **"ثُمَّ استَقِم"** وهذا في عمل الجوارح.

ثم بعد الإيمان **"اِستَقِم"** قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الاسْتِقَامَةُ أَنْ تَقُومَ علَى الأَمْرِ والنَّهْيِ، ولا تَرُوغَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ). وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: (الاسْتِقَامَةُ هي الدَّوَامُ عَلَى أَدَاءِ الفَرَائِضِ).

وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ أَهْلَ الاسْتِقَامَةِ فَقَالَ تَعَالَى: **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (1) فالآيَةُ تَدُلُّ على نُزُولِ الملائكةِ على المستقيمينَ عندَ الموتِ وفي القبرِ وعندَ البعثِ، تُؤَمِّنُهُم مِن الخوفِ عندَ الموتِ، وتُزيلُ عنهم الحزنَ على فِراقِ الأولادِ؛ فإنَّ اللهَ خَليفَتُهُم في ذلِكَ، وتُبشِّرُ بمغفرةِ الذُّنوبِ والخطايا، وقَبولِ الأعمالِ، والبُشرَى بالجنَّةِ الَّتي فيها ما لا عَيْنٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ.

(1) الأحقاف: 13

الْحَدِيث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبي ﷺفَقَالَ: "أَرَأَيتَ إذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضانَ، وَأَحلَلتُ الحَلاَلَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلى ذَلِكَ شَيئاً أَدخُلُ الجَنَّة ؟ قَالَ: نَعَمْ"(1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الْحَدِيث:

جابرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ حَرَامٍ الخَزْرَجِيُّ السَّلَمِيُّ ، صَحَابِيٌّ ابنُ صَحَابِيٍّ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً أَحَدُ القُدَمَاءِ إلى الإسلامِ والفُقَهَاءِ والمكْثِرِينَ مِنَ الْحَدِيث، مَاتَ بالمدِينَةِ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ، وَقِيلَ غَيرُ ذَلِكَ عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

((أَنَّ رَجُلاً))

المَوْضُوعُ:

مُوجِبَاتُ الجَنَّةِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ الجردانيُّ: (وهذا حديثٌ عظيمُ الْمَوقِعِ، وعليهِ مَدارُ الإسلامِ لِجَمْعِهِ لهُ؛ وذلكَ لأنَّ الأفعالَ إمَّا قلبيَّةٌ أوْ بَدَنيَّةٌ، وكلٌّ منهما إمَّا مأذونٌ فيهِ وهوَ الحلالُ، أوْ ممنوعٌ منهُ وهوَ الحرامُ، فإذا أَحَلَّ الشَّخصُ الحلالَ وحرَّمَ الحرامَ فقدْ أتَى بجميعِ وَظائفِ الدِّينِ، ودَخَلَ الجنَّةَ آمِنًا).

---

(1) رواه مسلم

الشَّرحُ :

السَّائلُ هوَ الصَّحابيُّ الجليلُ النُّعمانُ بنُ قَوْقَلٍ الخُزَاعيُّ، وهوَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ يومَ أُحُدٍ، دَفَعَهُ إيمانُهُ بالجنَّةِ وما أعدَّ اللهُ بها مِنْ نعيمٍ مُقيمٍ إلى أنْ يَسألَ رسولَ اللهِ ﷺ: هل الاقتصارُ على فِعْلِ الواجباتِ وتَرْكِ الْمُحَرَّماتِ يُدْخِلُ الجنَّةَ؟ فأجابَهُ ﷺ بنَعَمْ.

وقوله "أَرَأَيتَ" أي: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا العَمَلِ إِذَا عَمِلْتُه ما الذي يَكونُ لِي، وفي هذا طَلَبُ العَمَلِ وتَحْصِيلٌ لَهُ ورَفْعٌ للجَهْلِ وإِبْلاغٌ للنَّاسِ؛ إِذْ نُقِلَ للأُمَّةِ بسَبَبِهِ.

إذا "صَليتُ المكتوبَات"

والصَّلاةُ لُغَةً: الدُّعَاءُ.

واصْطِلاحاً: أَقْوالٌ وأَفْعَالٌ بَنِيَّةٍ، مُفْتَتَحَةٌ بالتَّكْبِيرِ ومُخْتَتَمَةٌ بالتَّسْلِيمِ.وهن خمس صلوات في اليوم والليلة كما قال عزّ وجل: (إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً) (1)

وهي أَقْسامٌ: فَرَائِضُ، ورَوَاتِبُ، ونَوَافِلُ.

فالفَرَائِضُ خَمْسٌ، والرَّوَاتِبُ ثِنْتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً، والنَّوَافِلُ مُقَيَّدَةٌ ومُطْلَقَةٌ، والمقَيَّدَةُ مُؤَكَّدَةٌ وغَيْرُ مُؤَكَّدَةٍ، فمِن المؤَكَّدَةِ الوِتْرُ، ومِن غَيْرِ المؤَكَّدَةِ صَلاةُ الضُّحَى.

" وَصمتُ رَمَضَان"

الصَّوْمُ لُغَةً: الإِمْسَاكُ.

واصْطِلاحاً: الإِمْساكُ عَنِ المفْطِرَاتِ بنِيَّةٍ مِن طُلُوعِ الفَجْرِ الثَّانِي حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

والصَّوْمُ فَرْضٌ وتَطَوُّعٌ، والفَرْضُ أَدَاءٌ أو كَفَّارَةٌ، والتَّطَوُّعُ مُقَيَّدٌ ومُطْلَقٌ.

---

(1) النساء: الآية103

" وَأَحلَلتُ الحَلالَ" **الحَلالُ**: هو ما ليس بحرامٍ، فيَدْخُلُ فيهِ الوَاجِبُ والمسْتَحَبُّ والمبَاحُ، والمرَادُ: فَعَلْتُ الحَلالَ الَّذِي أَحَلَّه اللَّهُ تعالَى وأَذِنَ فِيهِ وأَبَاحَه، واعْتَقَدْتُ حِلَّه سَواءٌ كانَ الحَلالُ المأْذُونُ فيهِ وَاجِباً قَوْلِيًّا كَالْوَاجِبَاتِ القَوْلِيَّةِ كالذِّكْرِ والتَّوْحِيدِ والدَّعْوَةِ والأَمْرِ بالمعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المنْكَرِ، أو وَاجِباً فِعْلِيًّا كالصَّلاةِ والصَّوْمِ والزَّكَاةِ والحَجِّ.

أو مِن المبَاحَاتِ كاللِّبَاسِ والطَّعَامِ والشَّرَابِ والنَّوْمِ وغَيْرِهَا.

"وَحَرَّمتُ الحَرَامَ" **الحَرَامُ**: هو ما ليس بحلالٍ، والمرادُ بهِ: المَمْنُوعُ، فيَدْخُلُ فيهِ المحَرَّمُ والمكْروهُ كَرَاهِيَةَ تَحْرِيمٍ، والمعْنَى: اجْتِنَابُ الحَرَامِ والابْتِعَادُ عنهُ سواءٌ كَانَ فِي القَوْلِ كالسَّبِّ والغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ والكَذِبِ والاسْتِهْزَاءِ والسُّخْرِيَةِ وغَيْرِهَا، أو فِي الفِعْلِ مِن النَّظَرِ إِلَى المحَرَّمِ والاعْتِدَاءِ والظُّلْمِ وشُرْبِ الخَمْرِ والزِّنَا وغَيْرِها، أو فِي التَّعامُلِ كالرِّبَا والغِشِّ والخِيَانَةِ وما أَشْبَهَ ذَلِكَ.

"أَدخُل الجَنة" يعني أأدخل الجنة، والجنة هي دار النعيم التي أعدها الله عزّ وجل للمتقين، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر،والجنة فيها فاكهة ونخيل ورمان وفيها لحم وماء وفيها لبن وعسل.

الاسم مطابق لأسماء ما في الدنيا ولكن الحقيقة مخالفة لها غاية المخالفة

قال: نَعَم ونعم حرف جواب لإثبات المسؤول عنه، والمعنى: نعم تدخل الجنة .

((**ولَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ**)) أي: اقْتَصَرْتُ علَى الوَاجِبَاتِ وانْتَهَيْتُ عَنِ المحَرَّمَاتِ فيَكُونُ مُقْتَصِداً، وأَهْلُ الإِسْلامِ ثَلاثَةٌ:

- ظَالِمٌ لنَفْسِهِ.

- مُقْتَصِدٌ.

- سَابِقٌ بالخَيْرَاتِ.

((**أَأَدْخُلُ الجَنَّةَ**)) اسْتِفْهَامٌ يُرَادُ بِهِ الاسْتِيضاحُ ومَعْرِفَةُ الجَوَابِ فهو استفهامٌ حَقِيقِيٌّ.

و((**الجَنَّةُ**)) هي دَارُ اللَّهِ تعالَى الَّتِي أَعَدَّهَا لأَوْلِيَائِهِ، فيها مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وسُمِّيَتْ جَنَّةً؛ لارْتِفَاعِ قُصُورِهَا وكَثْرَةِ أَشْجَارِهَا، واسْتِتَارِ ما تَحْتَها، وقِيلَ: لأَنَّها مُسْتَتِرَةٌ عَنَّا الآنَ. وهي جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، ولَيْسَتْ وَاحِدَةً.

قَالَ (**نَعَمْ**)) حَرْفُ جَوَابٍ للاسْتِفْهَامِ المُثْبَتِ، مِثْلُ بَلَى للاسْتِفْهامِ المَنْفِيّ.

الْحَدِيث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الميزانَ، وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ – أَو تَمْلأُ –مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ،وَالصَّلاةُ نُورٌ،والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ،وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيْكَ،كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا) (1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

الحارِثُ بنُ عاصِمٍ الأَشْعَرِيُّ ، مَاتَ في طَاعُونِ عَمْوَاسَ، في خلافةِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

فَضْلُ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوْ جَوَامِعُ الخَيْرِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

الحديثُ ذُو أهمِيَّةٍ عظيمةٍ، اشتملَ على أبوابٍ عظيمةٍ، فأمَرَ بالطَّهارةِ، ورَغَّبَ في الذِّكرِ الَّذي تَطمئِنُّ إليهِ القلوبُ، والصَّدقةِ الَّتي نَفْعُهَا يَتَعَدَّى للآخرينَ، والصَّلاةِ الَّتي هيَ مِنْ أَعْظَمِ العباداتِ بعدَ التَّوحيدِ، وأَمَرَ بالصَّبرِ، وحثَّ على الاهتمامِ بكتابِ اللهِ والعملِ بما فيهِ، كما فيهِ الحثُّ على السَّعيِ لإنقاذِ النَّفسِ، وذلكَ بسُلُوكِ مَنهجِ اللهِ.

---

(1) رواه مسلم.

الشَّرحُ :

قوله: الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ

(**الطُّهُورُ**) بالضَّمِّ: الفِعْلُ، وبالفَتْحِ: الماءُ، والمرَادُ بِهِ الوُضُوء

وهوَ مُشتَقٌّ مِن الطَّهارةِ، وهيَ التَّنزُّهُ والنَّظافةُ مِن الأَدْنَاسِ الحِسِّيَّةِ والمعنويَّةِ.

ومعنى **الطُّهورِ شَرْعًا**: فعلُ ما يترتَّبُ عليهِ رَفْعُ الحدثِ الأصغرِ والأكبرِ.

و((**شَطْرُ**)) بمَعْنَى: نِصْفُ، مِن قَوْلِهِم: شَطَرَ الشَّيْءَ إِذَا قَسَمَهُ نِصْفَيْنِ

و((**الإِيمَانُ**)) قِيلَ:المرادُ أَنَّ أجْرَ الوُضُوءِ كأَجْرِ نِصْفِ الإِيمَانِ؛ لأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بالظَّاهِرِ والإِيمَانَ بالبَاطِنِ،

وقِيلَ:خصالُ الإيمانِ مِن الأعمالِ والأقوالِ تُطَهِّرُ القلبَ وتُزَكِّيهِ، والطَّهارَةُ بالماءِ تُطَهِّرُ البَدَنَ وتُنَظِّفُهُ. فبهذَا صارَت خصالُ الإيمانِ على قسْمَيْنِ:

أحدُهُمَا: يُطَهِّرُ الظَّاهرَ.

والآخَرُ: يُطَهِّرُ الباطنَ، فَهُمَا نصفانِ بهذا الاعتبارِ، وهذا قولٌ محتمَلٌ، واللهُ أعلمُ.

وقِيلَ: إِنَّ المرَادَ بالإِيمَانِ الصَّلاةُ؛ إذ يَقُولُ تعالَى:(**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**) (1)

أي: صَلاتَكُمْ إلى المسْجِدِ الأَقْصَى.

"وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ"

(**الحَمْدُ**) أي: الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ بِمَا هُو لَهُ أَهْلٌ. واخْتِيرَتْ كَلِمَةُ الحَمْدِ؛ لِتَمْلأَ مَحَلَّ الكَلامِ.

---

(1) البقرة:143

والفَرْقُ بَيْنَ الحَمْدِ والشُّكْرِ:

أَنَّ الحَمْدَ عَلَى النِّعْمَةِ وغَيْرِهَا، والشُّكْرَ عَلَى النِّعْمَةِ فَقَطْ، وأَنَّ الحَمْدَ باللِّسَانِ والقَلْبِ، والشُّكْرَ بِهِمَا وبالجَوَارِحِ.

و((**تَمْلأُ المِيزَانَ**)) أي: مِيزَانَ العَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ وهوَ مِيزانٌ حقيقيٌّ لهُ كِفَّتانِ حِسِّيَّتانِ مُشَاهَدَتَانِ. إِذْ تُوزَنُ أَعْمَالُهُ فتَكُونُ الحَمْدُ للَّهِ أَثْقَلَ الأَعْمَالِ؛ لعَظِيمِ أَجْرِهَا، قالَ تعالى: (**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ**)، وقالَ تَعالى: (**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**).

قالَ القُرْطبيُّ: قالَ العلماءُ: (إذا انقضَى الحسابُ كانَ بعدَهُ وزنُ الأعمالِ؛ لأنَّ الوزنَ للجزاءِ، فيَنْبَغِي أنْ يكونَ بعدَ المحاسبَةِ؛ فإنَّ المحاسبةَ لتقريرِ الأعمالِ، والوزنَ لإظهارِ مقاديرِهَا؛ ليكونَ الجزاءُ بِحَسَبِهَا).

والعَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي حَاجَةٍ إلى مَا يَمْلأُ مِيزَانَهُ أو يُرَجِّحُ حَسَناتِه علَى سيِّئَاتِهِ، والحَمْدُ للَّهِ أَعْظَمُ الأَعْمَالِ فِي ذَلِكَ.

((وسُبْحَانَ اللَّهِ والْحَمْدُ للَّهِ تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ))

التَّسْبِيحُ: مَعْنَاهُ التَّنْزِيهُ، أي: تَنْزِيهُ اللَّهِ عَمَّا لا يَلِيقُ بِهِ، وهو مِن أعظمِ العِباداتِ؛ لأَنَّهُ مَعَ الحَمْدِ بِمَثَابَةِ التَّخْلِيَةِ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ.

والمُرَادُ أَنَّهُما يَمْلآنِ هَذَا الوُجُودَ بتَعْظِيمِ الرَّبِّ والثَّنَاءِ عَلَيْهِ وتَنْزِيهِهِ عَمَّا لا يَلِيقُ بِهِ، وقَدْ سُئِلَ الرَّسُولُ ﷺ: مَا أَعْظَمُ الذِّكْرِ؟

قَالَ: ((مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ...)) الحَدِيثَ.

(**وَالصَّلاةُ نُورٌ**)) كَانَتْ نُوراً؛ وهذِهِ الأُمَّةُ تُعْرَفُ بالنُّورِ مِن أَثَرِ الوُضُوءِ، وكَانَتْ نُوراً؛ لأنَّها تُضِيءُ لصَاحِبِهَا الطَّرِيقَ المسْتَقِيمَ، وكَانَتْ نُوراً؛ لأنَّ الطَّرِيقَ إليها نُورٌ، وفي الحديثِ: (**بَشِّرِ المَشَّائِينَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ بالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**)، وكما أنَّ للصَّلاةِ نورًا على وَجْهِ صاحبِهَا في الدُّنيا، قالَ تعالى: (**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**)، كذلكَ سوفَ تَكُونُ لصاحبِهَا نورًا يومَ القيامةِ، **قالَ تعالى**: (**يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**).

والنُّورُ نَستضيءُ بهِ في الظَّلامِ، كيْ نُمَيِّزَ بهِ بينَ ما يَنفَعُ ويَضُرُّ، وكيْ نَهتديَ بهِ إلى ما نُريدُ. وكذلكَ الصَّلاةُ إذا أدَّاها العبدُ كما أمرَهُ اللهُ تباركَ وتعالَى، تُورِثُ قلبَهُ نورَ الهدايَةِ، وتَجعلُ لهُ فُرْقانًا يُفَرِّقُ بهِ بينَ الحقِّ والباطلِ، **قالَ تعالى**: (**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**).

(**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**))

(**الصَّدَقَةُ**) هِيَ بَذْلُ المالِ تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ تعالَى، منها الوَاجِبُ، ومِنْهَا التَّطَوُّعُ، فالوَاجِبُ هو الزَّكَاةُ، والتَّطَوُّعُ هو النَّفْلُ.

وسُمِّيَتْ صَدَقَةً؛ لأَنَّهَا عَلامَةٌ عَلَى صِدْقِ إِيمَانِ صَاحِبِهَا.

والبُرْهَانُ:الحُجَّةُ الفاصلَةُ البيِّنَةُ.

هو الشُّعَاعُ الذي يَلِي وَجْهَ الشَّمْسِ، وسُمِّيَتْ بُرْهَاناً؛ لأَنَّهَا بُرْهَانٌ وَاضِحٌ عَلَى صِحَّةِ الإِيمَانِ مِنَ العَبْدِ، ومَنْ بَذَلَ مَالَهُ بَذَلَ نَفْسَهُ، فالصَّدَقَةُ أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِ الإِيمَانِ.

(**والصَبْرُ ضِياءٌ**))

(**الصَّبْرُ**) هو الحَبْسُ، وهو حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجَزَعِ وعَنِ التَّشَكِّي.

وهو ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ:

صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، ويَكُونُ قَبْلَ الطَّاعَةِ بالصَّبْرِ عَلَى الإِخْلاصِ، ويَكُونُ أَثْنَاءَ الطَّاعَةِ بأَنْ يُؤَدِّيَهَا عَلَى الوَجْهِ المشْرُوعِ، وبَعْدَ الطَّاعَةِ بطَلَبِ القَبُولِ. وصَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وصَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِهِ.

(**والضِّيَاءُ**) هو النُّورُ الذي يَحْصُلُ فيهِ إِشْرَاقٌ وإِحْرَاقٌ؛ لأَنَّه يُشْرِقُ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى والإِيمَانِ والصِّرَاطِ المسْتَقِيمِ، ولأَنَّه يُحْرِقُ الذُّنُوبَ.. فكَأَنَّ الصَّبْرَ ضِياءٌ للأَعْمَالِ، يَدْعو إلى دَوَامِ العَبْدِ علَى العَمَلِ وأَدَائِهِ له علَى الوَجْهِ المطْلوبِ، وإِحْرَاقٌ للذُّنُوبِ والمعَاصِي.

قالَ النَّوويُّ: (إنَّ الصَّبرَ محمودٌ، ولا يزالُ صاحبُهُ مُسْتَضِيئًا مُهْتَدِيًا مُسْتَمِرًّا على الصَّوابِ).

(وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)

(**القُرْآنُ**) هُوَ كَلامُ اللَّهِ تَعَالَى المنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، المبْدُوءُ بالفَاتِحَةِ والمخْتُومُ بالنَّاسِ.

ومِنْ صِفَاتِه: البَرَكَةُ، والعَظَمَةُ، والتَّأْثِيرُ، والشُّمُولِيَّةُ، ومَصْدَرٌ للشَّرِيعَةِ والهِدَايَةِ والرَّحْمَةِ والسَّكِينَةِ والشِّفَاءِ، وسُمِّيَ قُرْآناً؛ لأَنَّه يُقْرَأُ.

(**حُجَّةٌ لَكَ**) أي: دَلِيلٌ لَكَ ومُدَافِعٌ عنك إِنِ امْتَثَلْتَ أَوَامِرَهُ، وانْتَهَيْتَ عَنْ نَواهِيهِ، وعَمِلْتَ بمُحْكَمِهِ، وآمَنْتَ بمُتَشابِهِهِ وصَدَّقْتَ خَبَرَهُ وطَبَّقْتَ حُكْمَهُ.

و(**حُجَّةٌ عَلَيْكَ**) لَوْ تَرَكْتَ أَمْرَهُ ووَقَعْتَ فِي نَوَاهِيهِ يَخْصِمُكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ويَزُجُّكَ فِي قَفَاكَ حَتَّى يُلْقِيَكَ فِي النَّارِ، فهو إِمَّا شَاهِدٌ لَكَ أَوْ شَاهِدٌ عَلَيْكَ.

(**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا**)) جَمِيعُ النَّاسِ يَعْمَلُونَ فمنهم مَنْ يُعْتِقُ نَفْسَهُ مِن النَّارِ، ومنهم مَن يَقُودُها إلى النَّارِ بالأَعْمَالِ الَّتِي

يَعْمَلُهَا، فالعَمَلُ مَطْلُوبٌ، لَكِنْ مِنْهُ العَمَلُ المُنْجِي، ومِنْهُ العَمَلُ المهْلِكُ، فالعَمَلُ الصَّالِحُ يُصْلِحُ الدُّنيا والآخِرَةَ، والعَمَلُ السَّيِّئُ تَسُوءُ بِهِ الدُّنيا والآخِرَةُ.

فمَنْ تَعَلَّمَ شيئًا مِنْ كتابِ اللهِ، وعَمِلَ بما فيهِ مِنْ واجباتٍ، وانتهى عمَّا بهِ مِنْ محظوراتٍ، ووقفَ عندَ حُدُودِهِ، كانَ القرآنُ لهُ حُجَّةً يومَ القيامةِ وشفيعًا.

عنْ أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: (**اقْرَءُوا الْقُرآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ. اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا. اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**).

قالَ معاويَةُ: (بَلَغَنِي أنَّ البَطَلَةَ السَّحرةُ).

ومَنْ تَرَكَ العملَ بهِ، ولمْ يَأْتَمِرْ بما فيهِ، وإنَّما يَقْرَأُهُ للبركةِ، وعلى الأمواتِ، ويَستفتحُ بهِ الْمَحَافِلَ كانَ القرآنُ حُجَّةً عليهِ تُلْجِمُهُ يومَ القيامةِ أمامَ الدَّيَّانِ سبحانَهُ.

قالَ ابنُ مسعودٍ: (ومَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظهرِهِ قادَهُ إلى النَّارِ).

وعنهُ قالَ:(يَجِيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ فيَشفَعُ لصاحبِهِ، فيكونُ قائدًا إلى الجنَّةِ. أوْ يَشْهَدُ عليهِ، فيكونُ سائقًا إلى النَّارِ).

الحَدِيث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذرٍّ الغِفَارْي رضي الله عنه عَن النبي ﷺفيمَا يَرْويه عَنْ رَبِّهِ عزَّ وجل أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمَاً فَلا تَظَالَمُوْا، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُوْنِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُوْنِيْ أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ تُخْطِئُوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعَاً فَاسْتَغْفِرُوْنِيْ أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوْا ضَرِّيْ فَتَضُرُّوْنِيْ وَلَنْ تَبْلُغُوْا نَفْعِيْ فَتَنْفَعُوْنِيْ، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِيْ مُلْكِيْ شَيْئَاً. يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِيْ شَيْئَاً، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوْا فِيْ صَعِيْدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوْنِيْ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِيْ إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِيْ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرَاً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ) (1)

مَوْضُوعُ الحَدِيثِ:

دَلائِلُ العُبُودِيَّةِ، وحَاجَةُ الخَلْقِ إِلَى الخَالِقِ.

---

(1) رَوَاهُ مسلم.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

هذا الحديثُ عظيمُ الشَّأنِ؛ لأنَّهُ اشتملَ على بعضِ قواعدِ الدِّينِ وفُرُوعِهِ:

- فنصَّ على تحريمِ الظُّلمِ، وإقامةِ العَدْلِ، وهذا مِنْ أَعْظَمِ مَقاصِدِ الشَّريعةِ، الَّتي أُرْسِلَ بها مُحَمَّدٌ ﷺ.

-كما نَصَّ على الدُّعاءِ بالهدايَةِ وطلبِ الحوائجِ. والدُّعاءُ مِنْ أَعْظَمِ العباداتِ الَّتي يَتقرَّبُ بها العبدُ إلى ربِّهِ عزَّ وجلَّ.

-كما نصَّ على إثباتِ بعضِ صفاتِ اللهِ، فاللهُ غَنِيٌّ عنْ خَلْقِهِ، لا تَضُرُّهُ المعصيَةُ، ولا تَنفعُهُ الطَّاعةُ. وتعظيمُ اللهِ وتنزيهُهُ مِنْ أصولِ التَّوحيدِ.

-كما نصَّ على بعضِ الآدابِ.

الشَّرحُ :

وَالْحَدِيثُ القُدُسِيُّ: كَلامُ اللهِ المحْكِيُّ عَنْهُ، بِكَلاَمٍ غيرِ مُعْجِزٍ وَلاَ مُتَعَبَّدٍ بِهِ.

ويَأْتِي فِي المرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، ويَلِيهِ الحَدِيثُ النَّبَوِيُّ؛ لأَنَّ القُرْآنَ لَفْظُهُ ومَعْنَاهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، والقُدُسِيَّ مَعْنَاهُ مِنَ اللَّهِ تعَالى ولَفْظُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، والنبَوِيَّ لَفْظُهُ ومَعْنَاهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

والفَرْقُ بَيْنَ القُرْآنِ والحَدِيثِ القُدُسِيِّ أُمُورٌ:

1-أَنَّ القُرْآنَ مُتَعَبَّدٌ بتِلاوَتِهِ، والقُدُسِيَّ غَيْرُ مُتَعَبَّدٍ بتِلاوَتِهِ.

2-أَنَّ القُرْآنَ يُقْرَأُ فِي الصَّلاةِ، والقُدُسِيَّ لا يُقْرَأُ.

3-أَنَّ القُرْآنَ يَحْصُلُ بِهِ التَّحَدِّي، والقُدُسِيَّ لا يَحْصُلُ بِهِ التَّحَدِّي.

4-أَنَّ القُرْآنَ نُقِلَ بالتَّواتُرِ، والقُدُسِيَّ لَمْ يُنْقَلْ بالتَّواتُرِ، بَلْ فِيهِ الصَّحِيحُ والحَسَنُ والضَّعِيفُ والمَوْضُوعُ.

((يَا عِبَادِي))

نَادَاهُم وَأَضَافَهُمْ إِلَيْهِ بِلَفْظِ العِبَادِ، لِيُصْغُوا إِلَى مَا يُلْقِي إليهِمْ وَيَأْخُذُوهُ بِالاعتِنَاءِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ وَظِيفةَ العَبْدِ قَبُولُ وَصِيَّةِ السَّيِّدِ. تَلَطُّفٌ مِنَ الرَّبِّ اللَّطِيفِ، وهو الغَنِيُّ عن عِبَادِهِ

والعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ويَرْضَاهُ مِنَ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وهِيَ أَشْرَفُ مَا يُوصَفُ بِهِ العَبْدُ، وُصِفَتْ بها المَلائِكَةُ والرُّسُلُ، ووُصِفَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْرَفِ المَوَاطِنِ فِي الإِسْرَاءِ والوَحْيِ وإِنْزَالِ القُرْآنِ والدَّعْوَةِ.

((إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي))

أَيْ: عَامَلْتُ مُعَامَلَةَ مَنْ يُحَرِّمُ الظُّلْمَ عَلى نَفْسِهِ بِأَنْ لا أُؤَاخِذَ عِبَادِي بِغَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُم أَنْفُسَهُمْ، فَإِذَا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم آخُذُهُمْ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ مِنَ العُقُوبَةِ، أَوْ أَعْفُو مَعَ أَنَّ المُلْكَ مُلْكِي، وَالْخَلْقَ خَلْقِي، ولاَ أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ. فلا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الظُّلْمُ مِنَ اللَّهِ، بَلْ هُوَ الحَكَمُ العَدْلُ، ولِذَا يُخْطِئُ بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَما يَقُولُونَ: ظَلَمَنِي اللَّهُ بظُلْمِهِ، وهَذَا مُحَرَّمٌ لا يَجُوزُ، ومَا حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ إِلاَّ لأَنَّهُ يَتَنافَى مَعَ كَمَالِ عَدْلِهِ؛ ولأَنَّهُ صِفَةُ نَقْصٍ، واللَّهُ تَعَالَى لا يُوصَفُ إِلاَّ بالكَمَالِ.

((وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ))

لِتَتَخَلَّقُوا بِخُلُقِي، وَتَتَقَيَّدُوا بِقَيْدِ عُبُودِيَّتِي، وَتَنْجُوا مِنْ وَبَالِ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ.

((فَلاَ تَظَالَمُوا))

فَلاَ يَظْلِمْ بَعْضُكُم بَعْضًا؛ لأَنَّهُ لاَ اعْتِدَاءَ، واللهُ لاَ يُحِبُّ المعْتَدِينَ، وَجَزَاؤُهُم على القَهَّارِ الذي يَسْجُنُ الظَّالِمَ فِي سِجْنِ النَّارِ.

((**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ**))

أي: صَاحِبُ غَوَايَةٍ وانْحِرَافٍ وضَلالٍ؛ إِمَّا لهَوَى أَوْ شَهْوَةٍ أو شُبْهَةٍ أو مُوافَقَةٍ للشَّيْطَانِ أو قُرَناءِ السَّوْءِ أو غَيْرِهَا.

((**إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ**))

سَبِيلَ الهُدَى، وَعَرَّفْتُهُ طَرِيقَ الرَّدَى. وهَذَا لا يُنَاقِضُ ((**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ...**)) الحَدِيثَ؛ لأَنَّ الغَوَايَةَ تُعُلِّمَتْ مِنَ الأَبَوَيْنِ أَوْ مِنَ المجْتَمَعِ أَوْ مِنَ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ، والهِدَايَةُ جِبِلَّةٌ، فكَانَ الانْحِرَافُ مِنَ الآخَرِينَ.

((**فَاسْتَهْدُونِي**)) فَاطْلُبُوا مِنِّيَ الهُدَى.

((**أَهْدِكُمْ**)) ولاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتُهُ.

((**فَاسْتَهْدُونِي**)) أي: اطْلُبُوا الهِدَايَةَ مِنِّي والتَّوْفِيقَ وابْذُلُوا أَسْبَابَهَا، أُجِبْ دُعَاءَكُمْ وأَهْدِكُمْ.

وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

1- هِدَايَةُ الفِطْرَةِ إِلَى الطَّعَامِ والشَّرَابِ.

2-هِدَايَةُ الدَّلالَةِ والإِرْشَادِ.

3-هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ والإِلْهَامِ.

4-الهِدَايَةُ العَامَّةُ، وهِيَ هِدَايَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَى مَنَازِلِهم في الآخِرَةِ.

((**وَكُلُّكُمْ جَائِعٌ**)) إِذْ لا تَقْدِرُونَ على مَا تَدْفَعُونَ بِهِ الجوعَ، مَعَ أَنَّكُمْ مَجْبُولُونَ عَلَيْهِ،((إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ)) لأَنِّي أَنَا القَادِرُ على ذَلِكَ.

((**فَاسْتَطْعِمُونِي**)) فَاطْلُبُوا مِنِّيَ الطَّعَامَ ((**أُطْعِمْكُمْ**)) وَلاَ تَطْلُبُوهُ مِنْ غَيْرِي؛ فَإِنَّ الغَنِيَّ الجَوَادَ لا يَرْضَى أَنْ يَسْأَلَ عَبِيدُهُ غَيْرَهُ.

(**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ**) لا تَمْلِكُونَ مَا تَكْتَسُونَ بِهِ (**إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ**) فإنِّي أَنَا المِلكُ القَادِرُ(فَاسْتَكْسُونِي) فَاطْلُبُوا مِنِّي الكُسْوَةَ (أَكْسُكُمْ) وَلاَ تَطْلُبُوا مِنْ غَيْرِي.

ومِنْ قِلَّةِ حَيَاءِ العَبْدِ وَقِلَّةِ عَقْلِهِ أَنْ يَتْرُكَ السُّؤالَ مِن السَّيِّدِ الغَنِيِّ الجَوَادِ، الَّذِي يُحِبُّ السُّؤَالَ عَمَّا عِنْدَهُ وَيَرْغَبُ فِيهِ وَيُعْطِي السَّائِلَ، وَيَسْأَلُ مِنَ العَبْدِ الفَقِيرِ البَخِيلِ، الذي يَكْرَهُ السُّؤَالَ عَمَّا عِنْدَهُ، ولاَ يُعْطِي إِنْ أَعْطَى إلاَّ بِإِذْنِ اللهِ.

(**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ**) على قَدْرِ مَرَاتِبِكُمْ (**بِاللَّيْلِ والنَّهارِ**) وذلِكَ أَنَّ شُكْرَ نِعْمَتِهِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ، وَفَضْلٌ أَنْ تَشْكُرُوهُ، وَتَرْكُ الشُّكْرِ خَطِيئَةٌ.

(**وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**) ولاَ أُبَالِي؛ لأَنِّي وَاسِعُ الكَرَمِ وَالْعَفْوِ، ولاَ أَتَضَرَّرُ بالمَعْصِيَةِ.

(**فاسْتَغْفِرُونِي**) فَاطْلُبُوا مِنِّي المَغْفِرَةَ (**أَغْفِرْ لَكُمْ**).

والحاصِلُ أَنَّ العبْدَ مُحْتَاجٌ عَاجِزٌ مُخْطِئٌ، وَالرَّبَّ غَنِيٌّ قَادِرٌ جَوَادٌ غَافِرٌ فَيَنْبَغِي للعَبدِ الرُّجُوعُ إليهِ، لاَ إلى غَيرِهِ، فَمَا أَكْرَمَ هذَا الكريمَ، يُنَادِي المحْتَاجِينَ لِيُنْعِمَ عليهِمْ، والفَارِّينَ عَنْهُ بالذُّنوبِ لِيَتُوبُوا فَيَتُوبَ عَلَيْهِم، فيَا وَيْلَ عَبِيدٍ لَمْ يَعْرِفُوا قَدْرَ هذَا الكَرِيمِ.

(**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي**) لأَنَّكُمْ عَجَزْتُمْ، لا تَقْدِرُونَ عَلى شَيءٍ مَا، وَأَنَا لاَ أَتَضَرَّرُ بِشَيءٍ مَا؛ لأَنَّ شَأْنِي أَجَلُّ مِنْ ذلِكَ وَأَكْبرُ، (وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي) لأَنَّكُمْ عَاجِزُونَ، وأَنَا لاَ أَحْتَاجُ إلى شيءٍ، وَلاَ أَنْتَفِعُ بِهِ، إِذْ أَمْرِي أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ وأَعَظَمُ، سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ.

(**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ**) كمُحَمَّدٍ ﷺ(**مَا زَادَ**)كَوْنُكُمْ كَذَلِكَ (**فِي**)**كَمَالِ** (**مُلْكِي**

شَيْئًا) مَا؛ لِأَنَّ الكمَالَ ذَاتِيٌّ أَبَدِيٌّ، لاَ يَحْتَاجُ إلى الزِّيادَةِ ولاَ يَقْبَلُهَا، بَلْ مِنْ كَمَالِهِ يَنْشَأُ كَوْنُكُمِ عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُم. **(يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا)** لأَنَّ الكمَالَ ذَاتِيٌّ لا يَنْقُصُ بِكَوْنِكُمْ كَذلِكَ.

(يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُم وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا فِي صَعِيدٍ) مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي مَا يُرِيدُونَ.

(فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَسْأَلَتَهُ) مَا يَسْأَلُهُ، **(مَا نَقَصَ ذَلِكَ)** الإعطاءُ **(مِمَّا))** مِنَ الخَزَائِنِ الَّتِي**((عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ))**كَالمِئْبَرِ، إِذَا **((أُدْخِلَ الْبَحْرَ))** وهذا تَمْثِيلٌ وَتَقْرِيبٌ للأَفْهَامِ، وَإِلاَّ فَخَزَائِنُ اللهِ لاَ تَنْقُصُ نَقْصًا مَا، وَالْبَحْرُ يَنْقُصُ مِنْهُ بِقَدْرِ مَا يَلْتَصِقُ بالإِبْرَةِ مِنَ الماءِ إِنْ لَصَقَ، كَيفَ وَخَزَائِنُهُ في قولِهِ كُنْ.

(إِنَّمَا هِيَ) أَيِ: الأُمورُ التي تُجْزَوْنَ بِهَا **(أَعْمَالُكُم)** الاخْتِيَارِيَّةُ الصَّادِرَةُ بعدَ التَّكْلِيفِ، المتَعَلِّقُ بِهَا التَّكْلِيفُ، **(أُحْصِيهَا)** أَضْبِطُهَا**(لَكُمْ)** عِلْمِي وَمَلاَئِكَتِي الْحَفَظَةِ، **(ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا)** أَيْ: أُعْطِيكُمْ جَزَاءَهَا يومَ القِيَامةِ وَافِيًا مِنْ غيرِ نُقصَانٍ في الخَيْرَاتِ، ولاَ زِيَادةٍ في السَّيِّئَاتِ.

(فَمَنْ وَجَدَ) في أَعمالِهِ **(خَيْرًا)** وَوُفِّقَ لَهُ **(فَلْيَحْمَدِ اللهَ)** الذي قَدَّرَ لَهُ ذَلِكَ وَأَرَادَهُ وَسَهَّلَهُ لَهُ، وجَعَلَهُ سَبَبًا لِلثَوابِ، ولاَ يَحْمَدُ نَفْسَهُ، فإِنَّهَا أَحْقَرُ مِنْ أَنْ تَقْدِرَ عَلى شيءٍ،**(وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ)** أَي: الشَّرَّ وَالسُّوءَ **(فَلاَ يَلُومَنَّ)** على حُصُولِهِ **(إِلاَّ نَفْسَهُ)** الأَمَّارَةَ بالسوءِ؛ لأَنَّ الجليلَ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَظِيفَةُ العبْدِ أَنْ يَنْسِبَ الخيرَ إلى سَيِّدِهِ، والسوءَ إِلَى نَفْسِهِ تَأَدُّبًا مَعَهُ وإِنْ كَانَ هُوَ الذي قَدَّرَ السُّوءَ وَأَرَادَهُ. وهذَا الحديثُ مِنْ أَجَلِّ الأحاديثِ، يَنْبَغِي حِفْظُهُ، وَالتَّأَمُّلُ فيهِ حقَّ التَّأَمُّلِ؛ فَإِنَّ فيهِ منَ الفوائِدِ مَا لاَ تُحْصَرُ.

الْحَدِيث الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَيضَاً أَنَّ أُنَاسَاً مِنْ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالوا للنَّبي ﷺيَارَسُولَ الله: ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ، يُصَلُّوْنَ كَمَا نُصَلِّيْ، وَيَصُوْمُوْنَ كَمَا نَصُوْمُ، وَيَتَصَدَّقُوْنَ بفُضُوْلِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: (أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيْحَةٍ صَدَقَة.وَكُلِّ تَكْبِيْرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيْدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيْلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بالِمَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيَأْتِيْ أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟ قَالَ:أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ

مَوْضُوعُ الحديثِ:

التَّنَافُسُ في الأعمالِ الصالحةِ، أَوْ أَفْضَلُ الذِّكْرِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

للحديثِ أهمِيَّةٌ؛ وذلكَ لاشتمالِهِ على أُمُورٍ مُهِمَّةٍ، منها:

1-جوازُ القياسِ.

2-المباحَاتُ تكونُ قُرُباتٍ بالنِّيَّةِ الصَّالحةِ.

3-الميدانُ الَّذي يكونُ فيهِ التَّنافسُ.

4-كثرةُ طُرُقِ الخيرِ، بحيثُ لوْ عَجَزَ العبدُ عنْ بعضِهَا لا يَعْجِزُ عن الأُخرى.

مَيدانُ تنافُسِ السَّلَفِ:

يُستَفَادُ مِنْ هذا الْحَدِيث ما كانَ عليهِ سلفُ الأمَّةِ مِنْ تَنَافُسٍ وحِرْصٍ على ما يُقرِّبُهُم ويَرْفَعُ درجاتِهِم عندَ اللهِ؛لذلكَ أتى فُقَرَاءُ الصَّحابةِ رسولَ اللهِ ﷺوبيَّنُوا لهُ بأنَّ إخوانَهُم التُّجَّارَ قدْ سبقُوهُمْ بالأُجُورِ والدَّرجاتِ العُلَى، وذلكَ أنَّهم عندَهُم فضلٌ مِنْ مالٍ، فَيَحُجُّونَ ويَعتمرُونَ ويتصَدَّقُونَ ويُجاهدُونَ، وهمْ لا يستطيعونَ ذلكَ، فما السَّبيلُ لِلَّحاقِ بهم؟

فبيَّنَ لهم ﷺما وردَ في هذا الحديثِ.

هذا هوَ مَيدانُ تَنافُسِ سَلَفِ الأُمَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، قالَ تعالى: **(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)**، وقالَ تَعالى: **(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ)**.

الشَّرحُ :

((أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ))

الصَّحَابِيُّ: هوَ مَن اجْتَمَعَ بالنبيِّ ﷺأَوْ رَآهُ مُؤْمِناً بهِ وَمَاتَ على ذلكَ، وَهُم عُدُولٌ ثِقَاتٌ.

((أَهْلُ الدُّثُورِ))

أي: الأموالِ الكثيرةِ التي تَزِيدُ عَنْ حَاجَتِهِمْ وَحاجةِ أولادِهِم؛ إِذْ هيَ فاضلةٌ زائدةٌ.

وَ**((الدُّثُورُ))** جَمْعُ دَثْرٍ، وَهوَ المالُ الكثيرُ، وَقدْ وَصَفَهُم اللَّهُ بأنَّهُم يُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلوْ كانَ بهم خَصَاصَةٌ؛ طَلَباً لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى.

((بِالأُجُورِ)) جَمْعُ أَجْرٍ، وَهوَ الثوابُ؛ إِذْ يَعْمَلُونَ الأوامرَ وَيَتْرُكُونَ النواهيَ، وَيَزِيدُونَ بالصدقةِ تَطَوُّعاً، فَعَبَدُوا اللَّهَ بِأَبْدَانِهِمْ وَعَبَدُوهُ بِأَمْوَالِهِمْ. وَالعبادةُ بدنيَّةٌ وَماليَّةٌ، فَجَمَعُوا بَيْنَهُمَا.

((فُضُولِ أَمْوَالِهِمْ))

أيْ: ما زَادَ على نَفَقَتِهِمْ وَنَفَقَةِ مَنْ يَعُولُونَ وَرَأَوْهُ زَائِداً عندَهُم، فلا يَدَّخِرُونَهُ وَإِنَّمَا يُنْفِقُونَهُ. وَما فَعَلُوا ذلكَ إِلاَّ لِعِلْمِهِمْ بِفَضْلِ الصدقةِ مِن البرِّ وَالمضاعفةِ، وَالاسْتِظْلالِ بِظِلِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَتْحِ أبوابِ الخيرِ، وَقَفْلِ أبوابِ الشرِّ، وَإِطفاءِ غَضَبِ الربِّ، وَدَفْعِ مِيتةِ السَّوْءِ، وَالانتصارِ على النفسِ، وَإِرغامِ الشيطانِ، وَالتَّيْسِيرِ على الغَيْرِ.

((أَوَلَيْسَ قدْ جَعَلَ اللَّهُ لكمْ ما تَصَدَّقُونَ))

الهمزةُ للاستفهامِ الذي يُرَادُ بهِ التقريرُ؛ لأنَّ الذي بَعْدَهُ نَفْيٌ، فهوَ يُقَرِّرُ أنَّ اللَّهَ تَعَالَى قدْ جَعَلَ لهم ذلكَ.

وَ(**قدْ**) حَرْفُ تَحْقِيقٍ، وَ(**جَعَلَ**) أيْ: صَيَّرَ، وَ(**مَا تَصَدَّقُونَ**) أي: الذي تُنْفِقُونَ. وَهؤلاءِ لا يَمْلِكُونَ مالاً، فَأَرْشَدَهُمْ إِلى ما يَعْدِلُ المالَ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ؛ لأنَّهُم أهلُ تَنَافُسٍ في الأعمالِ الصالحةِ، وَأهلُ رَغْبَةٍ في الآخرةِ، وَهذا يَدُلُّ على أنَّ الصدقةَ للأرواحِ أَعْظَمُ مِن الصدقةِ للأبدانِ.

((**إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ**))

بَيَّنَ نَوْعاً مِنْ أنواعِ الصدقةِ يَغْفُلُ عنها الناسُ، وَهوَ صدقةُ الأرواحِ وَصدقةُ الأنْفُسِ، وَهيَ أَوْلَى مَنْ يَتَصَدَّقُ عنهُ، بلْ أَحْوَجُ إِلى الصدقةِ، وَالناسُ لا يَعْرِفُونَ إِلاَّ صدقةَ الأبدانِ.

وَصدقةُ الأرواحِ على الشخصِ ذَاتِهِ وَعلى غيرِهِ، فَبَدَأَ بالصدقةِ على النفسِ، وَهيَ التسبيحُ وَالتكبيرُ وَالتحميدُ وَالتهليلُ، وَهذهِ الأربعُ هيَ الباقِيَاتُ الصالحاتُ.

وَالتَّسْبِيحُ: هوَ التَّنْزِيهُ للَّهِ تَعَالَى عَمَّا لا يَلِيقُ بهِ.

وَالتَّكْبِيرُ: أي التعظيمُ.

وَالتهليلُ: أي التوحيدُ.

وَالصدقةُ: أي الثوابُ وَالأَجْرُ.

وَ((**المعروفُ**)) ما عُرِفَ حُسْنُهُ في الشرعِ وَالعقلِ.

وَ((**المُنْكَرُ**)) ما أَنْكَرَهُ الشرعُ وَالعقلُ المتَنَوِّرُ بالشَّرْعِ.

ثمَّ ثَنَّى بالصدقةِ على الغيرِ، وَهيَ الأمرُ بالمعروفِ وَالنَّهْيُ عَن المنْكَرِ؛ لأنَّ فيهِ قِيَاماً بالأمرِ وَانتهاءً عَن النَّهْيِ، وَتَذْكِيراً للغافلِ وَإِبْقَاءً لسفينةِ النَّجَاةِ. وَالدينُ يَقُومُ على حِفْظِ النفسِ وَحِفْظِ المجتمعِ، بلْ لا يَحْصُلُ الإِيمانُ حتَّى يُحِبَّ العبدُ للناسِ ما يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ.

وَمَرَاتِبُ إِنْكَارِ المُنْكَرِ ثلاثٌ:

-باليدِ.

-ثمَّ باللسانِ.

-ثمَّ بالقلبِ، وَالأمرُ بالمعروفِ وَاجِبُ الأَدَاءِ.

((وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ))

البُضْعُ: هوَ الجِمَاعُ مِن الرَّجُلِ لزَوْجَتِهِ. وَذَكَرَهُ؛ لأَنَّهُ إِحْدَى لَذَّاتِ الجَسَدِ؛ وَلأنَّ فيهِ تَحْقِيقَ فائدةٍ مِنْ فوائدِ النِّكَاحِ، وَهيَ تَحْصِينُ الفَرْجِ وَقَضَاءُ الوَطَرِ، وَقدْ قَالَ ﷺ: **((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ...)) الحديثَ**.

فَلَمَّا وُجِدَ فيهِ قضاءُ حاجةِ الرَّجُلِ وَحاجةِ المرأةِ كانَ صدقةً. وَفيهِ غَضُّ البصرِ، وَفيهِ سلامةُ المجتمعِ مِن الشرِّ، وَفيهِ سَدُّ أبوابِ الشهوةِ المحَرَّمَةِ، وَفيهِ رَدُّ دعوةِ الشيطانِ الذي يَدْعُو إِلى الزِّنَا، وَفيهِ القيامُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَتَكْثِيرُ الأُمَّةِ، وَالحصولُ على الوَلَدِ الصالحِ وَالمرأةِ الصالحةِ... إلخ.

((**شَهْوَتَهُ**)) أيْ: ما تَشْتَهِيهِ النفسُ مِن المطَاعِمِ وَالمشَارِبِ وَالمرَاكِبِ وَغَيْرِهَا.

وَيُرَادُ بها في الْحَدِيث قَضَاءُ الوَطَرِ.

وَالإِنسانُ مُكَوَّنٌ مِنْ جَسَدٍ وَعقلٍ وَشهوةٍ، وَجَسَدُهُ بينَ عقلِهِ وَشهوتِهِ، وَيَنْبَغِي أنْ يُغَلِّبَ العقلَ على الشهوةِ؛ ليكونَ بَشَراً سَوِيًّا.

((**وِزْرٌ**))

أيْ: إِثْمٌ وَحِمْلٌ ثَقِيلٌ، وَهذا مِنْ أَدِلَّةِ مَنْ يَقُولُ بالقياسِ؛ إِذْ فيهِ تَسْوِيَةُ فَرْعٍ بِأَصْلٍ في الحُكْمِ لِعِلَّةٍ بَيْنَهُمَا.

الْحَدِيث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فِيْهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِيْنُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُ لَهُ عَلَيْهَا أَو تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيْهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيْطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ"(1) .

مَوْضُوعُ الحديثِ:

حُقُوقُ الأعضاءِ وَالمفَاصِلِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

ممَّا دَعَا لهُ الدِّينُ جَمْعُ الكلمةِ والقلوبِ وائْتِلافُهَا على الحقِّ والمحبَّةِ. فهذا الحديثُ تَكْمُنُ منزلتُهُ وأهَمِّيَّتُهُ بدعوتِهِ إلى أسبابِ الائتلافِ والمحبَّةِ: مِنْ عَدْلٍ وإصلاحٍ بينَ المتَخَاصِمِينَ، وتعاونٍ على أُمُورِ الدِّينِ والدُّنيا، وحفظِ اللسانِ إلاَّ مِنْ طَيِّبِ الكلامِ، وإزالةِ الأذى عنْ طريقِ المسلمينَ.

الشَّرحُ :

(**كُلُّ سُلامَى**): مُفْرَدُ سُلاَمِيَّاتٍ، والمرادُ بها هنا جميعُ عظامِ ابنِ آدمَ الَّتي يَتَرَكَّبُ منها.

السُّلامَى: هيَ العُضْوُ مِن الإنسانِ، وَقيلَ: الأُنْمُلَةُ مِنْ أَنَامِلِ الأصابعِ، ثمَّ اسْتُعْمِلَ في سائرِ البَدَنِ وَمَفَاصِلِهِ، وَعَدَدُ السُّلامَى في الجسدِ ثلاثُمِائةٍ وَسِتُّونَ كما في

---

(1) رواه البُخَارِيّ ومسلم.

حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها عندَ مُسْلِمٍ:((خُلِقَ ابْنُ آدَمَ عَلَى ثَلاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ مَفْصِلاً...)).

وَقَد اكْتَشَفَ الطِّبُّ مِائَتَيْنِ وَخَمْسَةً وَسِتِّينَ عَظْماً، وَالباقِيَةُ صِغَارٌ اسْمُهَا السِّمْسِمَانِيَّةُ.

(مِن الناسِ عَلَيْهِ صدقةٌ كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيهِ الشمسُ):

(**النَّاسُ**): هُم البَشَرُ، وَسُمُّوا نَاساً مِن الإِينَاسِ أَوِ النِّسْيَانِ أَوِ الحركةِ أَوِ الظهورِ.

وَ(صَدَقَةٌ)؛

أيْ: أَجْرٌ يُطَالَبُ بهِ الإِنسانُ اسْتِحْبَاباً وَتَرْغِيباً، فهوَ مُطَالَبٌ بِثلاثِمِائةٍ وَستِّينَ حَسَنَةً كلَّ يومٍ عَنْ أعضائِهِ وَمفاصلِهِ، وَيَسْتَطِيعُ أنْ يُؤَدِّيَ هذا الدَّيْنَ المذكورَ في الْحَدِيثمِن التسبيحِ وَالتهليلِ وَالكلمةِ الطَّيِّبَةِ وَالخُطُواتِ إِلى المسجدِ. وَفِي روايَةٍ:((رَكْعَتَا الضُّحَى))، وَهذا نَفْعٌ لازمٌ، وإِمَاطَةُ الأَذَى وَالإِصلاحُ وَالأمرُ بالمعروفِ وَالنَّهْيُ عَن المنْكَرِ، وَهذا نَفْعٌ مُتَعَدٍّ.

(**يَوْمٍ**)؛أيْ: نَهَارٍ لِذِكْرِ الشمسِ، **وَ(الشَّمْسُ)**: هيَ الكَوْكَبُ المنِيرُ الذي يُحَدِّدُ بدايَةَ النهارِ وَنهايتَهُ، وَيُحَدِّدُ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ، وَهيَ تَجْرِي، حتَّى قَالَ ابْنُ القَيِّمِ:(إِنَّ مَا بَيْنَ لا وَنَعَمْ تَقْطَعُ مسيرةَ خَمْسِمائةِ سَنَةٍ، وَقالُوا: إِنَّها تَبْعُدُ عَن الأرضِ ثلاثةً وَتسعينَ مليونَ مِيلٍ، وَقِيلَ بأَنَّها أَكْبَرُ مِن الأرضِ مائةً وَسِتِّينَ مَرَّةً، وَلها رِحْلَتَانِ: رِحْلَةٌ في الصيفِ يَتَكَوَّنُ منها فَصْلا الربيعِ وَالصيفِ، وَرِحْلَةٌ في الشتاءِ يَتَكَوَّنُ منها فَصْلا الخريفِ وَالشتاءِ، وَمَنَافِعُهَا لا تُحْصَى، وَالإِنسانُ وَالحيوانُ وَالنباتُ وَكلُّ شيءٍ في حاجةٍ إِلى أَشِعَّتِهَا، وَلوْ كانت الأشعَّةُ تُبَاعُ ما اسْتَطَعْنَا شِرَاءَهَا.

(**تَعْدِلُ بينَ اثْنَيْنِ**): وَهذا مِن المعروفِ بينَ المتَخَاصِمَيْنِ المتَهَاجِرَيْنِ؛ أيْ: تُصْلِحُ بينَهُمَا بالعدلِ، وَتُنْهِي النِّزَاعَ، وَهوَ مَأْمُورٌ بهِ شَرْعاً، قَالَ تَعَالَى: (**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ...**) (1)

وَقالَ: {**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**}(2)

وَقالَ: {**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...**} (3)وَأَجَازَ الكَذِبَ في الإصلاحِ لأَهَمِّيَّتِهِ، وَحَرَّمَ النميمةَ لِمَا فيها مِن الإفسادِ بينَ الناسِ.

(**وَتُعِينُ الرجلَ في دابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أَوْ تَرْفَعُ عليها مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**): هذا هوَ فِعْلُ المعروفِ في الضعفاءِ وَالمساكِينِ.

وَالضَّعِيفُ: هوَ الذي هَزَلَ جِسْمُهُ وَلم يَسْتَطِع الركوبَ فَتَحْمِلُهُ على الدابَّةِ، أَوْ تُمْسِكُهَا لهُ، أَوْ تَرْفَعُ المتاعَ لهُ، فَتُؤْجَرُ على هذا العملِ النبيلِ. وَهذا مِن الإحسانِ، وَيَدْخُلُ فيهِ اليومَ الإرْكَابُ في السيَّارَةِ، وَبَذْلُ النُّصْحِ لهُ، وَدلالَتُهُ على الحقِّ. وَهذا يَدُلُّ على الرحمةِ وَالشَّفَقَةِ وَالإحسانِ. وَزكاةُ القُوَّةِ في البَدَنِ بالبَذْلِ للضعفاءِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ.

(**والكلمةُ الطيِّبَةُ صدقةٌ**): **الكلامُ أربعةُ أقسامٍ:**

1 – خَيْرٌ مَحْضٌ. 2 –شَرٌّ مَحْضٌ. 3 – شَرٌّ وَخَيْرٌ. 4 –لا خَيْرٌ وَلا شَرٌّ، بلْ لَغْوٌ.

وأَرْبَحُهُ هوَ الكلامُ الطَّيِّبُ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ قرآنٍ أَوْ معروفٍ أَوْ دعوةٍ وَنَحْوِهَا، وَيَدْخُلُ في ذلكَ الكلامُ الذي بهِ تُدْخِلُ السرورَ على إخوانِكَ؛ لأنَّهُ مِن الطَّيِّبِ.

---

(1) النساء: 144

(2) النساء: 128

(3) الحجرات 9

وَهذا مِنْ حُقُوقِ النفسِ وَحقوقِ الغيرِ، فَحَقُّ النفسِ القرآنُ وَالذِّكْرُ، وَحقُّ الغيرِ الدعوةُ وَالأمرُ بالمعروفِ وَالنهيُ عَن المنْكَرِ. وَبالكلمةِ الطيِّبَةِ يَحْصُلُ الإيمانُ وَالرِّضْوَانُ وَالنجاةُ وَالإسلامُ وَأبوابُ الخيرِ وَحِفْظُ الجوارحِ وَاسْتِقَامَتُهَا.

(**وبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا إلى المسجدِ صدقةٌ**):

(**الخَطْوَةُ**):المرَّةُ مِن المشْيِ،وَالمقْصُودُ الخُطَى للصلاةِ وَالعبادةِ.

وَالخَطْوَةُ: ما بينَ القَدَمَيْنِ.وَمِن السُّنَّةِ الخُرُوجُ إلى المسجدِ بِخُطًى مُتَقَارِبَةٍ، وَفيهِ فَضْلُ المشْيِ إلى أَمَاكِنِ الطاعةِ وَرِبْحُهَا، وَهذهِ مِنْ حقوقِ النفسِ وَالمساجدِ، وَفي الحديثِ: ((**دِيَارُكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ...**))**الحديثَ**.

(**وَتُمِيطُ الأَذَى عَن الطريقِ صَدَقَةٌ**): وَهذا مِنْ حقوقِ الطريقِ، وَمنها غَضُّ البصرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السلامِ، وَالأمرُ بالمعروفِ، وَالنهيُ عَن المنْكَرِ.

وَالإماطةُ: هيَ الإزالةُ.

وَ(**الأَذَى**) يَشْمَلُ كُلَّ أَذًى مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ شَوْكٍ أَوْ غَيْرِهَا. وَفي الحديثِ:((**أَنَّ رَجُلاً وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ مَنَعَهُ مِنَ الطَّرِيقِ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ...**)).

وَالمسلمُ يُزِيلُ الأَذَى وَلا يُوقِعُ الأَذَى بِغَيْرِهِ، فهذا الإسلامُ، وَهوَ أنْ يَسْلَمَ المسلمونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

الْحَدِيث السابع والعشرون

عن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النبيّ ﷺقَالَ:((الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ. وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)).

وعنْ وَابِصَةَ بنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: ((جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ((اسْتَفْتِ قَلْبَكَ: الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ)).

تَرْجَمَةُ الصَّحَابِيَّيْنِ:

1 -النَّوَّاسُ- بِفَتْحِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الوَاوِ- بنُ سِمْعَانَ- بِفَتْحِ السينِ وكَسْرِهَا، والكَسْرُ أَشْهَرُ- بنِ خَالِدٍ الْكِلاَبِيُّ، لَهُ صُحْبَةٌ سَكَنَ الشَّامَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

2 -وَابِصَةُ بنُ مَعْبَدِ بنِ عُتْبَةَ الْجُهَنِيُّ صَحَابِيٌّ، قُبِرَ بالرَّقَّةِ، وَعُمِّرَ إلى سَنَةِ تِسْعِينَ -رَضِيَ اللهُ عنهُ-.

موضوعُ الحديثِ:

تَعْرِيفُ البرِّ وَالإِثمِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ ابنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ: (هذا الحديثُ مِنْ جوامعِ كَلِمِهِ ﷺ، بلْ مِنْ أَوْجَزِهَا؛ إذ الْبِرُّ كلمةٌ جامعةٌ لجميعِ أفعالِ الخيرِ وخِصَالِ المعروفِ، والإثمُ كلمةٌ جامعةٌ لجميعِ أفعالِ الشَّرِّ والقبائحِ كبيرِهَا وصغيرِهَا؛ ولهذا السَّببِ قابَلَ النَّبيُّ ﷺبينَهُمَا وجَعَلَهُمَا ضِدَّيْنِ).

الشَّرحُ :

(**البِرُّ**): كَلِمَةٌ جامعةٌ لجميعِ أفعالِ الخيرِ كالعباداتِ وَخِصَالِ المعروفِ كالمعَامَلاتِ، مِن البَرِّ: وَهوَ المكانُ المتَّسِعُ؛ لاتِّسَاعِ هذهِ الكلمةِ في مَعْنَاهَا؛ إِذْ تَشْمَلُ الخيرَ كُلَّهُ وَالمعروفَ كُلَّهُ وَالطاعاتِ الظَّاهِرَةَ وَالبَاطِنَةَ.

وَفُسِّرَ (البِرُّ) في حديثِ النَّوَّاسِ بِحُسْنِ الخُلُقِ، وَفي حديثِ وَابِصَةَ بما اطْمَأَنَّتْ إِليهِ النفسُ، وَفي حديثِ أبي ثَعْلَبَةَ بالحَلالِ.

وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ التفسيرُ للبِرِّ؛ لأنَّ البِرَّ يُطْلَقُ على مَعْنَيَيْنِ:

أَوَّلاً:مُعَامَلَةُ الخَالِقِ، وَذلكَ بِفِعْلِ جميعِ الطاعاتِ الظاهرةِ وَالباطنةِ، وَيقولُ تَعَالَى: **{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ...}** (1)

وَعلى هذا يُحْمَلُ حُسْنُ الخُلُقِ؛ أي: التَّخَلُّقُ بأخلاقِ الشريعةِ، وَالتَّأَدُّبُ بآدابِ اللَّهِ التي أَدَّبَ بِهَا عِبَادَهُ في كتابِهِ **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**(2) وَالحديثِ: **(كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)**.

ثانياً:مُعَامَلَةُ الخَلْقِ بالإِحسانِ إِليهم، مِثْلُ: بِرِّ الوالِدَيْنِ، وَبِرِّ الأرحامِ، وَمنهُ الحَجُّ المبْرُورُ؛ إِذْ فُسِّرَ (بِإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءِ السَّلامِ وَطِيبِ الْكَلامِ). وَيقولُ ابنُ عُمَرَ: (الْبِرُّ وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلامٌ لَيِّنٌ).

وإِذا قُرِنَ بالتَّقْوَى كَمَا في قولِهِ تَعَالَى: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}**(3) فَالمرَادُ بـ**(البِرِّ)**: مُعَامَلَةُ الخَلْقِ بالإِحسانِ، وَالمرَادُ بالتَّقْوَى: مُعَامَلَةُ الحَقِّ بِفِعْلِ الأَوَامِرِ

---

(1) البقرة: 177

(2) القلم: 4

وَتَرْكِ النَّوَاهِي. وَقدْ يُرَادُ بـ(البرّ) فِعْلُ الواجباتِ وَبالتَّقْوَى تَرْكُ المحَرَّمَاتِ، وَالأَوْلَى أَنْ يَكُونَ البِرُّ مُعَامَلَةَ الحَقِّ وَالخَلْقِ لِيَشْمَلَ كُلَّ خَيْرٍ.

(**حُسْنُ الخُلُقِ**): الحُسْنُ: ضِدُّ القُبْحِ، وَيَشْمَلُ حُسْنَ القلبِ وَسلامتَهُ مِنْ كلِّ ضَغِينَةٍ وَحِقْدٍ وَحَسَدٍ وَبَغْضَاءَ، وَحُسْنَ اللسانِ بالكلامِ الطَّيِّبِ، وَحُسْنَ الأفعالِ مِنْ بَذْلِ المعْرُوفِ وَالإحسانِ وَلِينِ الجانبِ وَبَذْلِ المالِ وَطَلاقَةِ الوجهِ وَكَفِّ الأَذَى وَبَذْلِ الخَيْرِ، وَأَنْ يُحِبَّ للناسِ ما يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ. وَ(**الخُلُقِ**)؛ أي: السَّجِيَّةِ وَالمرُوءَةِ وَالطَّبْعِ وَالعادَةِ.

فَأَمَّا السَّجِيَّةُ أي: الفطرةُ التي فُطِرَ عليها.

وَأَمَّا المرُوءَةُ فَحُسْنُ التعاملِ معَ الناسِ.

وَأَمَّا الطبعُ فَانْطِبَاعُ الناسِ بالخيرِ جِبِلَّةً أَوْ تَعَلُّماً.

وَأَمَّا العَادَةُ فَتَعَوُّدُ الخيرِ وَبَذْلُهُ.

والخُلُقُ يَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ:

1-**جِبِلَّةٌ جُبِلَ الإنسانُ عَلَيْهِ**، وَهيَ نعمةٌ أَنْعَمَ اللَّهُ بها على العبدِ. وَالإنسانُ لا يَسَعُ الناسَ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ، وَلكنَّهُ يَسَعُهُمْ بأَخْلاقِهِ، وَقدْ كانَ النبيُّ ﷺ أَحْسَنَ الناسِ خُلُقاً.

2-**مُكْتَسَبٌ مِن القرآنِ وَالسُّنَّةِ وَأخلاقِ الصالحِينَ**، فَيُزَادُ مِن الخيرِ وَيُبْتَعَدُ مِن الشرِّ، وَقدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ الناسِ خُلُقاً، وَكانَ يَقُولُ: ((إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً))، وَيقولُ: ((مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاةِ)).

(3) المائدة: 2

وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ ما يُدْخِلُ الناسَ الجنَّةَ، قَالَ: ((**تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**))، حديثٌ حسنٌ. وَقالَ: ((**أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**)).

و(**الإِثْمُ**): قالَ ابنُ حَجَرٍ الهيتميُّ: (والإثمُ كلمةٌ جامعةٌ لجميعِ أفعالِ الشَّرِّ والقبائحِ؛ كبيرِهَا وصغيرِهَا).، سَوَاءٌ في حقِّ الحقِّ أَوْ حَقِّ الخَلْقِ، وَيَدْخُلُ فيهِ عَمَلُ القلبِ وَقولُ اللسانِ وَعَمَلُ الجوارحِ وَالمعَامَلَةُ، وَيَنْبَغِي تَجَنُّبُ الإِثمِ وَالتَّوْبَةُ منهُ.

وفي هذا الحديثِ بَيَّنَ ﷺبعضَ علاماتِ الإثْمِ:

الأُولى:داخليَّةٌ، وهيَ شعورُ المرءِ بقلقٍ واضطرابٍ في نفسِهِ ونفورٍ وبُغْضٍ لهُ. قالَ ﷺ:((**الإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ**)).

الثَّانيَةُ:خارجيَّةٌ، قالَ ﷺ: ((**وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)).

(**ما حَاكَ فِي نَفْسِكَ**): أيْ تَرَدَّدَ في الصَّدْرِ وَأَحْدَثَ فيهِ حَرَجاً وَضِيقاً وَاضْطِرَاباً، فَكَأَنَّ حَكَّهُ في الصَّدْرِ يَدُلُّ على انْحِرَافٍ عَن الطريقِ المستقيمِ، وَهذا بعَكْسِ البِرِّ الذي هوَ ما اطْمَأَنَّتْ إليهِ النفسُ وَسَكَنَتْ وَاتَّسَعَ الصدرُ؛ إِذْ هوَ سَعَةٌ كَسَعَةَ البرِّ. وَهذا يُشْبِهُ المتَشَابِهَ الذي لا يَدْرِي الإِنسانُ أَحَلالٌ هوَ أَمْ حَرَامٌ، وَيُشْبِهُ: ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ)). وَهذهِ علامةٌ داخليَّةٌ للإِثمِ.

(**وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**): هذهِ العلامةُ الخارجيَّةُ للإِثمِ؛ أيْ: لا تَرْغَبُ أنْ يَرَاهُ الناسُ مِنْكَ لِعَدَمِ محَبَّتِهِ منهم. وَإِنَّ المروءةَ أَنْ يَفْعَلَ الإِنسانُ مَا يَحْمَدُهُ الناسُ عَلَيْهِ وَيَتْرُكَ مَا يَذُمُّهُ الناسُ عَلَيْهِ؛ لأنَّ الطِّبَاعَ السليمةَ مَفْطُورَةٌ على الإِسلامِ، فَمَا رَآهُ المسلمونَ حَسَناً فهوَ حَسَنٌ، وَما رَآهُ المسلمونَ سَيِّئاً فهوَ سَيِّئٌ.

وَبهذا يَكُونُ للإِثمِ عَلامَتَانِ:

1-**دَاخِلِيَّةٌ**: وَهيَ أَنْ يَتَرَدَّدَ الأمرُ في النفسِ وَيَتْرُكَ فيها قَلَقاً وَنُفُوراً.

2- **خَارِجِيَّةٌ**: وَهيَ أنْ يَكْرَهَ اطِّلاعَ الناسِ عَلَيْهِ.

(**جِئْتَ تَسْأَلُ عَن البِرِّ**): هذا مِنْ مُعْجِزَاتِ النبيِّ ﷺ؛ إِذْ أَخْبَرَهُ بِمَا يُرِيدُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِإِعْلامِ اللَّهِ تَعَالَى لهُ.

(**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ**): أي اطْلُب الفَتْوَى مِنْ قَلْبِكَ مَا دَامَ على صَفَاءِ فِطْرَتِهِ لَمْ تُدَنِّسْهُ آفَاتُ الهوَى؛ فإِنَّهُ بالفِطْرَةِ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ وَعلى صراطِ اللَّهِ، وَيَتَّبِعُ رُسُلَ اللَّهِ.

وَخَصَّ القلبَ؛ لأَنَّهُ مكانُ الإِيمانِ وَالتَّقْوَى وَالصَّلاحِ، وَبِهِ يُوزَنُ العَبْدُ، وَهوَ مكانُ نَظَرِ الربِّ، وَزَادُهُ خَيْرُ زَادٍ، وَلِبَاسُهُ خَيْرُ لِبَاسٍ.

(**مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ**): أيْ سَكَنَتْ إِليهِ، وَرَضِيَتْ بهِ، وَأَحَبَّتْهُ، وَفَرِحَتْ بِهِ، وَتَلَذَّذَتْ بهِ، وَسَارَعَتْ إِليهِ، وَتَمَنَّتْ بَقَاءَهُ. وَهذهِ السكينةُ وَالثباتُ على الحقِّ؛ لأَنَّها مَفْطُورَةٌ على ذلكَ.

(**وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ**): أيْ وَإِنْ قَالَ لَكَ الناسُ غيرَ ذلكَ مِمَّنْ هُم مِنْ أهلِ الجهلِ وَأهلِ الشرِّ وَالفسادِ، الذينَ لا يُصْلِحُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَكَيْفَ يُصْلِحُونَ غَيْرَهُمْ؟!

وَأَمَّا أهلُ العلمِ وَالاجتهادِ فَهُم الذينَ يُسْأَلُونَ، وَهُم الذينَ يُسْمَعُ قَوْلُهُمْ؛ لأَنَّهُم أَهْلُ عِلْمٍ وَأهلُ دِرَايَةٍ وَرِوَايَةٍ وَحَقٍّ، وَيُرِيدُونَ الخيرَ للناسِ، وَلا يُرِيدُونَ الأهواءَ، قَالَ تَعَالَى: {**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**}(1)

الخُلاصةُ:

وَبهذا يَتَبَيَّنُ لنا البرُّ وَالإِثْمُ وَيَظْهَرُ مَعْنَاهُمَا، وَأَنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا يَتَعَلَّقُ بالقلبِ. فَمَا سَكَنَ إِليهِ القَلْبُ وَأَحَبَّهُ وَنَتَجَ عنهُ الالتزامُ بالأوامرِ وَتَرْكُ النَّوَاهِي وَمعاملةُ الناسِ بالحُسْنَى فهوَ مِن البرِّ؛ لاتِّسَاعِ مَفْهُومِهِ وَكَثْرَةِ خيرِهِ، وَما تَرَدَّدَ في النفسِ وَضَاقَ بِهِ

(1) النحل: 43

الصدرُ وَكَرِهَتْهُ الفِطْرَةُ وَأَبْغَضَهُ الناسُ فهوَ مِن الإِثمِ الذي تَضِيقُ بهِ النفوسُ السليمةُ، وَتَأْبَاهُ الفِطَرُ السليمةُ، وَيَكْرَهُهُ الناسُ.

الحَدِيث الثامن والعشرون

عَن أَبي نَجِيحٍ العربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيون. فَقُلْنَا: يَارَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا، قَالَ: (أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عز وجل وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ) (1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

أبو نَجِيحٍ العِرْبَاضُ بنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، كانَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، وهُوَ أَحَدُ البَكَّائِينَ، وَكَانَ يَقُولُ: إنَّهُ رَابِعُ الإِسْلاَمِ، سَكَنَ الشامَ وَنَزَلَ حِمْصَ، مَاتَ بعدَ السَّبْعِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَ.

موضوعُ الحديثِ: وُجُوبُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَمُحَارَبَةِ البِدْعَةِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:اشتملَ الحديثُ علَى وصيَّةٍ عظيمةٍ جامعةٍ شاملةٍ، فأَوْصَى بتَقْوَى اللهِ، وطاعةِ وُلاةِ الأمرِ، والاعتصامِ بالسُّنَّةِ، والحذرِ مِن الابتداعِ، فهذه أمورٌ غايَةٌ في الأهميَّةِ، إذا تمسَّكتْ بها الأمَّةُ سعدَتْ في دنياهَا وأخرَاهَا.

---

(1) رَوَاهُ أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

الشَّرحُ :

(**وَعَظَنَا مَوْعِظَةً**): الوَعْظُ: هوَ النُّصْحُ وَالتَّذْكِيرُ بالعَوَاقِبِ... وقالَ ابنُ سِيدَهْ: هو تذكيرُكَ للإنسانِ بما تُلِيِّنُ بهِ قلبَهُ مِن ثوابٍ وعقابٍ. وَكانتْ هذهِ الموعظةُ بعدَ صلاةِ الصبحِ.

وَهذا يَدُلُّ على: أَهَمِّيَّةِ المَوْعِظَةِ وَاخْتِيَارِ الوقتِ المُنَاسِبِ لها، وَتَخَوُّلِ الناسِ بها، وَحَاجَةِ الناسِ لها، وَتَرْبِيَةِ القلوبِ بها.

وَقدْ كانَ هَدْيُهُ ﷺ في المَوَاعِظِ كَمَا يَلِي:

1-كَانَ يَعِظُ أَصْحَابَهُ في غيرِ الخُطَبِ الراتبةِ كَخُطَبِ الجُمَعِ وَالأَعْيَادِ؛ امْتِثَالاً لأمرِ اللَّهِ تَعَالَى: {**وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**}(1)

وَقولِهِ: {**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**}(2)

2-كانَ يَتَخَوَّلُهُمْ مِن الحِينِ إلى الحِينِ.

قَالَ ابْنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ الرسولُ ﷺيَتَخَوَّلُنَا بالموعظةِ مِن الحينِ كراهةَ السآمَةِ علينا). وَالتَّخَوُّلُ: التَّعَهُّدُ.

(**بَلِيغَةً**): أيْ: مُؤَثِّرَةً، تَبْلُغُ سُوَيْدَاءَ القلبِ وَتُؤَثِّرُ فيهِ، فَتَكُونُ قدْ بَلَغَتْ أَعْمَاقَ القلبِ؛ لِتُظْهِرَ آثَارَهَا وَتَجْنِيَ ثِمَارَهَا، وَذلكَ لِعِظَمِ مَعَانِيهَا وَإِيصَالِهَا لقلوبِ السامِعِينَ.

وَالبلاغةُ في الموعظةِ مُسْتَحْسَنَةٌ؛ لأنَّها أَقْرَبُ إلى قَبُولِ القلوبِ وَاسْتِجْلابِهَا.

والبلاغة: هي التَّوصُّلُ إلى إفهامِ الْمَعاني الْمَقصودةِ، وإيصالِها إلى قلوبِ السامعينَ

---

(1) النساء: 63

(2) النحل: 125

بأحسنِ صُورةٍ مِن الألفاظِ الدَّالَّةِ عليها، وأَفْصَحِها وأَحْلَاها للأَسْمَاعِ، وأَوْقَعِها في القلوبِ.

وكانَ ﷺ يَقْصِرُ خُطْبَتَها، ولا يُطيلُها، بلْ كانَ يُبْلِغُ ويُوجِزُ.

(وَجِلَتْ منها القلوبُ): الوَجَلُ: هوَ الخوفُ، وَالمرادُ بهِ المحمودُ الذي يَدْعُو إلى مُراقبةِ الربِّ وَالعملِ بطاعتِهِ، وَلا تَوْجَلُ القلوبُ إلاَّ إذا خَلَتْ مِن الشواغلِ، وَسَمِعَتْ للخِطَابِ، وَرَغِبَتْ في الثوابِ، وَخَشِيَتْ مِن العقابِ، وَانْقَشَعَتْ عنها سُحُبُ المعصيَةِ، وَتَنَوَّرَتْ بِنُورِ الإسلامِ.

والوَجَلُ للقلوبِ مَحْمُودٌ؛ إذْ مَدَحَ اللَّهُ أهلَهُ فَقَالَ: {**وَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...**} (1)

وَقالَ تَعَالَى: {**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...**} (2) وقالَ: {**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**}

وقالَ: {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**}(3)

وقالَ تعالى: {**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ**}(4)

ـ وَقالَ ثابتٌ البُنَانِيُّ: (إِنِّي أَعْلَمُ مَتَى تُسْتَجَابُ دَعْوَتِي. قَالُوا: مَتَى؟

قَالَ: إذا وَجِلَ قَلْبِي وَاقْشَعَرَّ جِلْدِي وَذَرَفَتْ عَيْنِي).وَمِثْلُ ذلكَ قَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ.

(وَذَرَفَتْ منها العُيُونُ):

---

(1) الأنفال: 2

(2) الحديد: 16

(3) الزُّمَر: 23

(4) المائدة: 83

(**ذَرَفَتْ**): بِمَعْنَى سَالَتْ وَفَاضَتْ بالدَّمْعِ مِنْ تَأَثُّرِ القَلْبِ وَوَجَلِهِ. فَتَأَثُّرُ العينِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثمراتِ تَأَثُّرِ القلبِ وَرِقَّتِهِ، وَدَمْعُ العينِ مِنْ خشيَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَحْمُودٌ، قَالَ تَعَالَى: {**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...**} (1)

وَقالَ ﷺ: ((**عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)).

(**مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ**): أيْ مُفَارِقٍ، مِنْ وَدَعَ الشيءَ؛ أيْ: فَارَقَهُ.

وَفَهِمُوا ذلكَ مِنْ مُبَالَغَتِهِ فِي تَخْوِيفِهِمْ وَتَحْذِيرِهِمْ على خلافِ ما كَانُوا يَعْهَدُونَهُ فيهِ، أَوْ لأَنَّهُ عَرَّضَ بالمفارقةِ؛ إِذْ زَهَّدَهُمْ فِي الدُّنيا وَرَغَّبَهُمْ فِي الآخرةِ.

(**فَأَوْصِنَا**): أي اعْهَدْ إِلينَا بِوَصِيَّةٍ جامعةٍ كَافِيَةٍ نَنْتَفِعُ بها فِي الدُّنْيا وَالآخرةِ.

وَفِي هذا حِرْصُ الصحابةِ على الخيرِ، وَاغْتِنَامُهُمْ للمواعظِ وَالنَّصَائِحِ، وَالتَّذْكِيرُ بحاجةِ الناسِ لها.

(**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ**): مَضَى الكلامُ عَن التَّقْوَى وَثَمَرَاتِهَا وَأَهَمِّيَّتِهَا فِي حديثِ أبي ذَرٍّ وَمُعَاذٍ.

(**والسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**): أيْ سَمْعِ أَوَامِرِ وُلاةِ الأمورِ مِن المسلمينَ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ على الخيرِ، وَيَحْذَرُونَ مِن الشرِّ، وَيُقِيمُونَ الشرعَ، وَيَأْمُرُونَ بالمعروفِ، وَيَنْهَوْنَ عَن المنكرِ، وَطَاعَتِهِمْ فِي غيرِ معصيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَا فِي ذلكَ مِن المصالحِ العاجلةِ وَالآجِلَةِ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَةِ المسلمينَ، وَإِظهارِ قُوَّتِهِمْ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ، وَأداءِ حُقُوقِهِمْ، وَرَدِّ كَيْدِ عَدُوِّهِمْ، وَسعادةِ الدنيا، وَتَنْظِيمِ مصالحِ العِبَادِ، وَإِقامةِ الحدودِ وَغَيْرِهَا. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**))، وقالَ:((**لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**)).

---

(1) المائدة: 83

عن عِمرانَ والحكَمِ بنِ عمرٍو الغفاريّ قالَ: ((**لاَ طَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ**)).

تَدُلُّ هذه الرّواياتُ علَى أنَّهُ يَحْرُمُ علَى المسلمِ أن يَنقادَ لوُلاةِ الأمرِ بمعصيَةِ اللهِ، وإنَّما تكونُ طاعتُهُم بالمعروفِ، سواءٌ كانُوا حُكَّامًا، أو عُلماءَ، أو وَالِدَيْنِ.

(**وإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**): وَفي بعضِ الرواياتِ: ((**وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**)).

وَالمرادُ: وَإِنْ كَانَت الإمارةُ في المَوَالِي وَالعَبِيدِ، فَيَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِي غيرِ معصيَةِ اللَّهِ؛ لاجتماعِ الأُمَّةِ وَنَبْذِ الفُرقةِ. أَو المرادُ ولايَةُ العبيدِ حَقِيقَةً، وَهذا مِمَّا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَلا يُنَافِي هذا القولَ: ((**الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**))؛ لأنَّ المقصودَ أَنْ يَكُونَ هذا العَبْدُ الحَبَشِيُّ وَالِياً للإمامِ الذي مِنْ قُرَيْشٍ، أَوْ هذا مِنْ بَابِ ضَرْبِ المَثَلِ، مِثْلُ: ((**مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ**)).

وَالإمارةُ: هيَ الولايَةُ؛ أيْ: يكونُ الآمِرَ الذي يُطَاعُ، وَالولايَةَ التي يُمْتَثَلُ أَمْرُهَا.

وَالعبدُ: هوَ الرقيقُ، وَاصطلاحاً: عَجْزٌ حُكْمِيٌّ يَقُومُ بالإنسانِ سَبَبُهُ الكُفْرُ.

وَالحَبَشِيُّ؛ أيْ: مِن الحَبَشَةِ، وَخُصَّ لكثرةِ العبيدِ منهم، أَوْ لأنَّهُم المَعْرُوفُونَ بالعُبُودِيَّةِ، أَوْ لِشِدَّةِ سَوَادِهِمْ.

(**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً**): فيهِ تَوْطِئَةُ النفوسِ للاستقامةِ على المنهجِ القويمِ وَالثباتِ على الصراطِ المستقيمِ، وَنَبْذِ الخلافِ وَالفُرْقَةِ، وَالاعتصامِ بحبلِ اللَّهِ المتينِ، وَتَجَنُّبِ الأهواءِ وَالشهواتِ.

وَهذا يَدُلُّ على وُقُوعِ الخلافِ وَالافتراقِ في أُصُولِ الدِّينِ وَفروعِهِ، وَفي الأقوالِ وَالأفعالِ وَالاعتقاداتِ. وَهذا مُوَافِقٌ لقولِهِ: ((**وَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً**)).

وَسَبَبُ الاختلافِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أُمُورٌ:

منها: كثرةُ المعَاصِي، قِلَّةُ الطاعاتِ، الاختلاطُ بالكفَّارِ، تَرْجَمَةُ كُتُبِ الكُفَّارِ، وُرُودُ الشُّبُهاتِ، الانْغِمَاسُ في المَلَذَّاتِ، الوُقُوعُ في الشهواتِ، وَغيرُهَا.

(**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المَهْدِيِّينَ**): فيهِ أَمْرٌ باتِّبَاعِ السُّنَّةِ عندَ وُرُودِ الفتنةِ وَكثرةِ الخلافِ؛ لأنَّها عِصْمَةٌ وَنَجَاةٌ.

وَالسُّنَّةُ: هيَ الطريقُ المسلوكةُ، فَيَشْمَلُ ذلكَ التَّمَسُّكَ بما كَانَ عَلَيْهِ هوَ وَخلفاؤُهُ الرَّاشِدُونَ مِن الاعتقاداتِ وَالأقوالِ وَالأعمالِ، وَهذهِ السُّنَّةُ الكاملةُ.

وَ(**الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ**): هُم الذينَ خَلَفُوهُ بعدَ مَوْتِهِ في ولايَةِ أَمْرِ الأُمَّةِ، وَأَوَّلُهُمْ: أَبُو بكرٍ، ثمَّ عُمَرُ، ثمَّ عُثْمَانُ، ثمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عنهم. ونصَّ كثيرٌ مِن الأئمَّةِ على أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ خَليفةٌ راشدٌ أيضًا وكانَ محمَّدُ بنُ سِيرِينَ أحيانًا يُسْأَلُ عنْ شيءٍ مِن الأَشْرِبَةِ، فيقولُ: نَهَى عنهُ إمامُ هُدًى؛ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ.

وَالخليفةُ: لَقَبٌ لِمَنْ تَوَلَّى إِمْرَةَ المؤْمِنِينَ.

وَالرَّاشِدُ: هوَ الذي عَرَفَ الحَقَّ وَاتَّبَعَهُ. وَوُصِفَ الخلفاءُ بذلكَ؛ لأنَّهُم عَرَفُوا الحقَّ وَقَضَوْا بهِ.

وفي روايَةٍ: ((**الْمَهْدِيِّينَ**))، يعني: أنَّ اللَّهَ يَهْدِيهِم للحقِّ، ولا يُضِلُّهم عنهُ. وَالمهْدِيُّ: هوَ الذي عَرَفَ الحقَّ وَاتَّبَعَهُ، وَيُقَابِلُهُ الْغَوِيُّ: وَهوَ الذي عَرَفَ الحقَّ وَلم يَتَّبِعْهُ، وَالضَّالُّ: هُوَ الذي لمْ يَعْرِفْهُ بالكُلِّيَّةِ.

فالأقسامُ ثلاثةٌ: راشدٌ وغاوٍ وضالٌّ.

فالرَّاشِدُ: عَرَفَ الحقَّ واتَّبَعَه.

والغَاوِي: عَرَفَهُ ولمْ يَتَّبِعْهُ.

والضالُّ: لمْ يَعْرِفْهُ بالكُلِّيَّةِ. فكلُّ راشدٍ فهوَ مُهْتَدٍ، وكلُّ مُهْتَدٍ هدايَةً تامَّةً فهوَ راشدٌ؛ لأنَّ الهدايَةَ إنَّما تَتِمُّ بِمَعْرِفَةِ الحقِّ والعملِ بهِ أيضًا.

(**عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ**): أيْ تَمَسَّكُوا بها أَشَدَّ التَّمَسُّكِ كَتَمَسُّكِ العَاضِّ بِأَضْرَاسِهِ على الشيءِ لا يَتْرُكُهُ.

وَ(**النَّوَاجِذ**): هيَ الأَضْرَاسُ، وَالمرادُ: اثْبُتُوا على هذا المنهجِ القويمِ؛ لِتَسْلَمُوا مِن الأهواءِ وَالشياطينِ.

(**وإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**): أي احْذَرُوا ما اسْتُحْدِثَ في الدِّينِ وَليسَ منهُ؛ لأَنَّهُ خلافُ السُّنَّةِ، وَقدْ قَالَ ﷺ: ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**))، وَقدْ أَكْمَلَ اللَّهُ الدِّينَ وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ.

(**فإِنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضَلالةٌ**): أيْ ما أُحْدِثَ مِمَّا ليسَ في الكتابِ وَالسُّنَّةِ فهوَ بِدْعَةٌ.

وَالبدعةُ: هيَ ما أُحْدِثَ على خلافِ المشروعِ مِمَّا ليسَ عَلَيْهِ النبيُّ ﷺوَلا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ.

وَ(**كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**) يَضِلُّ بها أَهْلُهَا عَن الصراطِ المستقيمِ، وَرُبَّمَا خَرَجُوا بها عَن الإِسلامِ.

الحَدِيث التاسع والعشرون

عَن مُعَاذ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلتُ يَا رَسُولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعدني من النار قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لاَتُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيْمُ الصَّلاة، وَتُؤتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْلَمُونْ) (1) ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذروَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ:بَلَى يَارَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ يَانَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَامُعَاذُ. وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ) (2)

موضوعُ الحديثِ: وُجُوبُ حِفْظِ اللسانِ، وَأَبْوَابُ الخيرِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ: نصَّ هذا الحديثُ علَى أسبابِ دخولِ الجنَّةِ، والنَّجاةِ مِن النَّارِ، وهذا أمرٌ عظيمٌ مِن أجلِهِ أنزَلَ اللهُ الكتبَ وأرسلَ الرُّسلَ، ومن أجلِهِ تحمَّلَ أنبياءُ اللهِ الشَّدائدَ والصِّعابَ.

---

(1) السجدة:16-17

(2) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرحُ :

قالَ: (**أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ**)، وهذا يَدُلُّ علَى شِدَّةِ اهتمامِ مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالأعمالِ الصَّالحةِ،

الأعمالُ سببٌ لدخولِ الجنَّةِ:

في هذا الحديثِ دليلٌ علَى أنَّ الأعمالَ سببٌ لدخولِ الجنَّةِ، ويَشهدُ لهذا مِن القرآنِ:{**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}.

قالَ ابنُ كثيرٍ: (أيْ: أعمالُكُم الصَّالحةُ كانَتْ سببًا لشمولِ رحمةِ اللهِ إيَّاكُمْ، فإنَّهُ لا يُدخلُ أحدًا عملُهُ الجنَّةَ، ولكنْ بفضلٍ مِن اللهِ ورحمتِهِ).

وقولُهُ ﷺ: ((**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**))؛ فمعناهُ كما قالَ ابنُ رجبٍ: (أنَّ العملَ بنفسِهِ لا يَستحقُّ به أحدٌ الجنَّةَ، لولا أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَهُ بفضلِهِ ورحمتِهِ سببًا لذلكَ، والعملُ بنفسِهِ مِن فضلِ اللهِ ورحمتِهِ علَى عبدِهِ، فالجنَّةُ وأسبابُهَا كلٌّ مِن فضلِ اللهِ ورحمتِهِ).

(2) أمرٌ عظيمٌ: قولُهُ ﷺ: ((**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ**)) دخولُ الجنَّةِ أمرٌ عظيمٌ؛ لأنَّ هذا هو الفوزُ الحقيقيُّ، قالَ تعالَى: {**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**}، وقالَ رسولُ اللهِ ﷺلرجلٍ: ((**مَا تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ؟**))

قالَ: (**أَتَشَهَّدُ ثمَّ أَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَمَا واللهِ ما أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ ولا دَنْدَنَةَ مُعاذٍ**)، فقالَ: ((**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**)).

والنَّجاةُ مِن نارِ جهنَّمَ أمرٌ عظيمٌ؛ لأنَّ أخفَّ النَّاسِ فيها عذابًا رجلٌ يُوضَعُ في أَخْمُصِ قدمِهِ جمرتَانِ، يَغْلِي منهما دِماغُهُ.

مِن أجلِ هذا الأمرِ أرسلَ اللهُ الرُّسلَ إلَى العبادِ، كي يكونُوا سببًا في نَجاةِ النَّاسِ مِن النَّارِ، والفوزِ بالجنَّةِ، وتَحَمَّلَ أنبياءُ اللهِ مِن أجلِ ذلك ما لا تَتحمَّلُهُ الجبالُ الرَّواسِي.

التَّوفيقُ بيدِ اللهِ: قولُهُ ﷺ: ((**وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**))، وفي هذا إشارةٌ إلَى أنَّ التَّوفيقَ كلَّهُ بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فمنْ يسَّرَ له الهدايَةَ اهْتَدَى، ومَن لم يُيَسِّرْ له ذلك هَلَكَ وخَسِرَ، فيَجبُ علَى المسلمِ أنْ يَتوجَّهَ إلَى اللهِ عزَّ وجلَّ بقلبٍ صادقٍ بأنْ يمنَّ عليهِ بالهدايَةِ، وأن يتَّخِذَ أسبابَهَا، واللهُ عزَّ وجلَّ وعدَ مَن جاهدَ نفسَهُ في سبيلِ حصولِ الهدايَةِ بالهدايَةِ والتَّوفيقِ، قالَ تَعالَى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**.

أركانُ الدِّينِ: قولُهُ ﷺ: ((**تَعْبُدُ اللهَ لاَ تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**)).

أجابَ ﷺبأنَّ القيامَ بواجباتِ الدِّينِ سببٌ لدخولِ الجنَّة.

(3) طُرُقُ الخيرِ: قولُهُ: ((**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ**)) لما أجابَهُ ﷺبأنَّ واجباتِ الدِّينِ سببٌ لدخولِ الجنانِ، والوِقايَةِ مِن النِّيرانِ، دلَّهُ بعدَ ذلكِ علَى طُرُقِ الخيرِ مِن النَّوافلِ والمستحبَّاتِ، فإنَّ خيرَ أولياءِ اللهِ الَّذينَ يتقرَّبُونَ إلَى مولاهُمْ بالنَّوافلِ بعدَ القيامِ بواجباتِ الدِّينِ، فذُكِرَ له منها:

1 – قولُهُ ((الصِّيَامُ جُنَّةٌ))، قالَ ابنُ رجبٍ: (فالجُنَّةُ هي ما يَستجِنُّ به العبدُ كالْمِجَنِّ الَّذِي يَقِيهِ عندَ القتالِ مِن الضَّربِ، فكذلك الصِّيامُ يقِي صاحبَهُ مِن المعاصِي في الدُّنْيَا، فإذَا كانَ له جُنَّةً مِن المعاصِي، كانَ له في الآخرةِ جنَّةً مِن النَّارِ، ومَن لم يكنْ له جنَّةً في الدُّنيَا مِن المعاصِي، لم يكنْ له جُنَّةً في الآخرةِ مِن النَّارِ).

ويُشرَعُ للمسلمِ في صيامِ النَّافلةِ أن يَصومَ الأيَّامَ الآتيةَ:

- صومُ يومِ عاشوراءَ.

-صومُ يومِ عرفةَ لغيرِ الحاجِّ.

- صومُ يومِ الاثنينِ والخميسِ.

-صومُ ثلاثةِ أيَّامٍ مِن كلِّ شهرٍ.

-صومُ يومٍ وإفطارُ يومٍ.

- صومُ ستَّةِ أيامٍ مِن شوَّالَ.

- صيامُ شهرِ اللهِ المحرَّمِ.

- صومُ شعبانَ.

2 - قولُهُ ((وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ))، والمقصودُ بـ ((**الصَّدقَةِ**))هنا: التَّطوُّعُ، و((**الخطيئةُ**)): الَّتي تَمْحوهَا الصَّغائِرُ، ولأنَّ الكبائرَ تَحتاجُ إلَى توبةٍ، ولا بدَّ مِن تحقيقِ شروطِ التَّوبةِ الَّتي بَيَّنَها العلماءُ.

ووَردَتْ أحاديثُ كثيرةٌ تُرَغِّبُ في صدقةِ التَّطَوُّعِ وأَذْكُرُ منها:

- عن أبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:((**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُم فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**)).

- وعن عُقبةَ بنِ عامرٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺيقولُ: ((**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ**)).

قالَ يَزيدُ: فكانَ أبو مَرْثَدٍ لا يُخطِئُهُ يومٌ إلاَّ تَصدَّقَ فيهِ بشيءٍ، ولو كعكةٍ أو بَصلةٍ، والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ معلومةٌ.

3 – قولُهُ: ((وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ))، ثمَّ تَلا: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}** ، حتىَّ بَلَغَ **{يَعْمَلونَ}**، فصلاةُ الليلِ كذلك تُطْفِئُ الخطايَا والذُّنوبَ مِثْلَ الصَّدقةِ، والمقصودُ بها قيامُ الليلِ، هذا ما ذهبَ إليهِ جَمْعٌ مِن المفسِّرينَ منهم مُجاهِدٌ والأوزاعيُّ وغيرُهُم.

ووَرَدَ في فَضلِ قيامِ الليلِ أحاديثٌ كثيرةٌ منها:

– قالَ ﷺ: **((وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ))**.

– قالَ ﷺ: **((أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ))**.

– قالَ ﷺ: **((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلاَمَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ))**.

– وقالَ ﷺ: **((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ))**.

والأحاديثُ في فَضْلِ قيامِ الليلِ كثيرةٌ.

(4) رأسُ الأمرِ وعَمودُهُ وذِروةُ سَنامِهِ: بيَّن ﷺلمعاذٍ عن طريقِ السُّؤالِ **((أَلاَ أُخْبِرُكَ؟)) وهذه طريقةٌ جيّدَةٌ أثناءَ التَّعليمِ؛ لأنَّها تشدُّ ذهنَ المتعلِّمِ للمادَّةِ، وتَجْعَلُهُ مُتَلَهِّفًا إلَى الإجابةِ:**

1 – إنَّ رأسَ الأمرِ الإسلامُ، والمقصودُ بالأمرِ الدِّينُ الَّذِي أَرْسَلَ اللهُ بهِ مُحَمَّدًا ﷺوهو الإسلامُ، والمقصودُ هنا الشَّهادتانِ، ومنزلةُ الشَّهادتينِ مِن الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأسِ مِن الجسدِ، فإذا اجْتُثَّ الرَّأسُ لا بقاءَ للإنسانِ بعدَهُ، وكذلك مِن لم يُقِرَّ بالشَّهادتينِ فلا دِينَ لهُ ولا إسلامَ.

2 – وإنَّ عَمودَهُ الصَّلاةُ؛ لأنَّ لها في الدِّينِ مَنزِلةً عظيمةً، بِمَنْزِلةِ عمودِ الفِسطاطِ الَّذي لا يقومُ الفِسطاطُ إلاَّ بِهِ، فكذلكَ لا يقومُ للعبدِ دينٌ بدونِ صلاةٍ.

3 – وإنَّ ذِروةَ سنامِ الدِّينِ الجهادُ، فهو أعلَى وأرفَعُ ما في الدِّينِ؛ لأنَّ بالجهادِ تعلُو كلمةُ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويظهرُ الدِّينُ علَى سائرِ الأديانِ، ويُقمعُ أهلُ الباطلِ مِن المنافقينَ والمتَمَسْلِمِينَ الخونةِ خنازيرِ اليهودِ والنَّصارَى.

لذلِكَ ذهبُ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَى القولِ: (أنَّ الجهادَ مِن أفضلِ الأعمالِ بعدَ الفرائضِ).

ووردَتْ نصوصٌ كثيرةٌ ترغِّبُ فيهِ منهَا:

– عن أبي ذرٍّ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: قُلْتُ يا رسولَ اللهِ، أيُّ العملِ أفضلُ؟ قالَ: **((الإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ))**.

– قالَ ﷺ: **((غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ))**.

– عن أبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: **(قيلَ: يا رسولَ اللهِ، ما يَعدِلُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ؟) قالَ: ((لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ)) فأعادُوا عليهِ مرَّتينِ أو ثلاثًا كلَّ ذلكَ يقولُ: ((لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ))، ثمَّ قالَ: ((مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعالَى))**، والنُّصوصُ في هذا كثيرةٌ كذلِكَ.

(5) حفظُ اللسانِ: قولُهُ: ((**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**)) **فقلْتُ: (بلَى يا رسولَ اللهِ)، فَأَخَذَ بلسانِهِ وقالَ: ((كُفَّ عليكَ هذا))، قلتُ: (يا نبيَّ اللهِ، وإنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بهِ؟) فقالَ: ((ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ، وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلَى وُجوهِهِمْ – أو قالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِم – إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))** وهذا يَدُلُّ علَى أنَّ أصلَ الخيرِ مِن ضَبْطِ اللسانِ، وتقويمِهِ وِفْقَ ما يُرْضِي اللهَ عزَّ وجلَّ، وأنَّ مَن أعانَهُ اللهُ علَى ضَبْطِ لسانِهِ فقدْ مَلَكَ زِمامَ أمرِهِ، وَوُفِّقَ إلَى خيرِ الدُّنْيا والآخرَةِ.

قالَ ابنُ رجبٍ: (والمرادُ بحصائدِ الألسنةِ جزاءُ الكلامِ المحرَّمِ وعقوباتُهُ، فإنَّ الإنسانَ يزرَعُ بقولِهِ وعملِهِ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ، ثمَّ يحصدُ يومَ القيامةِ ما زَرَعَ، فمَنْ زرعَ خيرًا مِن قولٍ أو عملٍ حصدَ الكرامةَ، ومن زرعَ شرًّا مِن قولٍ أو عملٍ حصدَ غدًا النَّدامَةَ، وظاهرُ حديثِ معاذٍ يَدُلُّ علَى أنَّ أكثرَ ما يَدْخُلُ النَّاسُ به النَّارَ النُّطْقُ بألسنتِهِم، فإنَّ معصيَةَ النُّطقِ يدخلُ فيها الشِّركُ وهي أعظمُ الذُّنوبِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويدخلُ فيها القولُ علَى اللهِ بغيرِ علمٍ وهو قرينُ الشِّركِ، ويدخلُ فيها شهادةُ الزُّورِ الَّتي عَدِلَتِ الإشراكَ باللهِ عزَّ وجلَّ، ويدخلُ فيها السِّحرُ والقذفُ وغيرُ ذلكَ مِن الكبائرِ والصَّغائرِ كالكذبِ والغيبةِ والنَّميمةِ، وسائرُ المعاصي الفعليَّةِ لا يخلُو غالبًا مِن قولٍ يَقترِنُ بها يكونُ مُعِينًا عليها).

لذلك حَذَّرَ سلفُ الأمَّةِ مِن إطلاقِ عِنانِ اللسانِ؛ لأنَّهُ يوردُ إلَى مهاوي الرَّدَى.

قالَ ابنُ عباسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ وقد أخذَ بلسانِهِ:(وَيْحَكَ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوِ اسْكُتْ عَنْ سُوءٍ تَسْلَمْ، وَإِلاَّ فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتَنْدَمُ).

الْحَدِيث الثلاثون

عَنْ أَبِيْ ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيّ جُرثُومِ بنِ نَاشِرٍ رضي الله عنه عَن رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ: (إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا) (1)

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

أبو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ جُرْثُومُ بنُ نَاشِرٍ، بِنُونٍ وَشِينٍ مُعْجَمَةٍ،صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، مَاتَ في الشَّامِ، في خلافةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، وَقِيلَ في خلافةِ عبدِ المِلكِ سنةَ خمسٍ وسبعينَ. وَلهُ أَرْبَعُونَ حَدِيثاً.

موضوعُ الحديثِ: الوقوفُ عَنْ حدودِ اللَّهِ تَعَالَى.

الشَّرحُ :

((**فَرَضَ**)): أَوْجَبَ وَأَلْزَمَ وَكَتَبَ، وَليسَ للإِنسانِ خِيَارٌ أَمَامَ الفرائضِ، بلْ هُوَ مُلْزَمٌ بها، وَقدْ قَالَ علماءُ الأصولِ: (الْفَرْضُ يُثَابُ فَاعِلُهُ وَيُعَاقَبُ تَارِكُهُ)

((**فلا تُضَيِّعُوهَا**)): أيْ لا تُهْمِلُوهَا وَلا تَتْرُكُوهَا فَيَضِيعَ العمرُ وَيَضِيعَ الأَجْرُ. وَضَيَاعُ الفرائضِ حَسْرَةٌ وَندامةٌ يومَ القيامةِ.

الحَدُّ: عُقُوبَةٌ مُقَدَّرَةٌ شَرْعاً للزَّجْرِ عَن المعصيَةِ.

((**تَعْتَدُوهَا**)): أيْ تَقْرَبُوهَا وَتَتَجَاوَزُوهَا.

((**تَنْتَهِكُوهَا**)): **أيْ تَقَعُوا فيها وَتَسْتَحِلُّوهَا.**

---

(1) حديث حسن رَوَاهُ الدارقطني وغيره.

وقدْ قَسَّمَ هذا الحديثُ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى إِلى أربعةِ أَقْسَامٍ، وَهيَ:

أَوَّلاً: الفرائضُ، وَهيَ: مَا فَرَضَهُ اللَّهُ تعالى على عبادِهِ، وَأَلْزَمَ بهِ وَلَمْ يَعْذُرْ بِتَرْكِهِ؛ كالصلاةِ وَالزكاةِ وَالحجِّ وَالصيامِ وَنحوِهَا، وَهذا يَشْمَلُ جميعَ الواجباتِ التي أَمَرَ اللَّهُ بها على سبيلِ الإِلزامِ بالفعلِ، وَيُثَابُ فَاعِلُ ذلكَ وَيُعَاقَبُ تَارِكُهُ.

ثانياً: المَحَارِمُ، وَهيَ: التي نَهَى اللَّهُ عنها وَحَرَّمَهَا وَمَنَعَ الوقوعَ فيها. وَهذا يَشْمَلُ جميعَ المَنْهِيَّاتِ التي نَهَى عنها الشارعُ الحكيمُ على سبيلِ الإِلزامِ بالتَّرْكِ، وَيُثَابُ تَارِكُهَا وَيُعَاقَبُ فَاعِلُهَا؛ كالزِّنَا وَالرِّبَا وَشُرْبِ الخمرِ وَالشِّرْكِ وَالسِّحْرِ وَقَتْلِ النفسِ وَنَحْوِهَا.

ثالثاً: الحدودُ، وَهيَ: التي حَدَّدَهَا الشرعُ الحكيمُ وَقَيَّدَهَا وَمَنَعَ تَجَاوُزَهَا؛ كَتَحْدِيدِهِ للصلاةِ وَالصيامِ وَالحجِّ وَهكذا، وَيَدْخُلُ في هذا ارْتِكَابُ ما نَهَى اللَّهُ عنهُ، مثلُ الطلاقِ؛ فإِنَّهُ حُدِّدَ بالسُّنَّةِ.

وَتَعَدِّي ذلكَ مِنْ تَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِثْلُ النَّظَرِ للحرامِ وَسَمَاعِ الحرامِ، وَيَدْخُلُ في ذلكَ تَرْكُ الأمرِ بالمعروفِ وَالنَّهْيِ عَن المنْكَرِ، **وَفي الحديثِ:((مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ...)) الحديثَ.**

وَيَدْخُلُ في ذلكَ الحدودُ المقَرَّرَةُ شَرْعاً كَحَدِّ الزنا وَالسَّرِقَةِ وَالخمرِ وَالقذفِ وَنحوِهَا.

رَابِعاً: المَسْكُوتُ عنهُ، وَهوَ ما لَمْ يُذْكَرْ حُكْمُهُ بِتَحْلِيلٍ وَلا تَحْرِيمٍ، فيكونَ مَعْفُوًّا عنهُ. وَأَعْظَمُ الناسِ ذَنْباً مَنْ سَأَلَ عَنْ شيءٍ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِهِ، مِثْلُ: عُمُومِ الملابسِ غيرِ المحَرَّمَةِ، وَالأطعمةِ غيرِ المحَرَّمَةِ، وَالمعَامَلاتِ غيرِ المحَرَّمَةِ، وَالعَادَاتِ التي لَيْسَ للناسِ فيها مَحْظُورٌ شَرْعِيٌّ، وَنَحْوِهَا.

الْحَدِيث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي العَباس سَعدِ بنِ سَهلٍ السَّاعِدي رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺفَقَالَ: يَا رَسُول الله: دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ ؟ فَقَالَ: (ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ) (1)حديث حسن رَوَاهُ ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة.

ترجمةُ الصحَابِيّ رَاوِي الحديثِ:

سَهْلُ بنُ سَعْدِ بنِ مالِكِ بنِ خالدٍ الأَنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ السَّاعِدِيُّ، لَهُ وَلأَبِيهِ صُحْبَةٌ، وكانَ اسْمُهُ حَزْنًا فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْلاً، مَاتَ بالمدنيةِ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ، وَقِيلَ: بَعْدَهَا، وقَدْ جَاوَزَ المائَةَ، وهُوَ آخِرُ الصَّحَابةِ وَفَاةً في المدينةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

موضوعُ الحديثِ: الزُّهْدُ في الدُّنيا.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

تَكْمُنُ مَنْزِلَةُ الحديثِ في بيانِ سببِ محبَّةِ اللهِ، وهي مِن أعظمِ ما يوفَّقُ إليهِ الإنسانُ، فمَنْ أحبَّهُ اللهُ أكرمَهُ ووضعَ له القبولَ في الأرضِ، ومن أبغضَهُ وضعَ له البغضاءَ في الأرضِ.

---

(1)

كما بَيَّنَ الحديثُ سببَ محبَّةِ النَّاسِ للعبدِ، ومعلومٌ أنَّ الإنسانَ يشعرُ بسعادةٍ عظيمةٍ إذا كانَ يَحْيَا في مُجْتَمَعٍ يُحِبُّهُ، ومَن أحبَّهُ النَّاسُ أَلِفُوهُ، وما أحوجَ الدَّاعي إلَى هذا؛ لأنَّ النَّاسَ إذا أحبُّوا إنسانًا أخذُوا عنْهُ.

وقدِ اشْتَمَلَ هذا الحديثُ علَى وَصِيَّتَيْنِ عَظيمتينِ:

إحداهما: الزُّهدُ في الدُّنيا، وأنه مُقْتَضٍ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ لعَبْدِهِ.

والثانيَةُ: الزُّهدُ فيما في أَيْدِي الناسِ، وأنه مُقْتَضٍ لِمَحَبَّةِ النَّاسِ.

الشَّرحُ :

((**جَاءَ رَجُلٌ**)): أيْ دَخَلَ رجلٌ عَلَيْهِ يَسْأَلُ وَيَطْلُبُ العلمَ، وَيَرْغَبُ في النَّجَاةِ، وَلا يَعْرِفُونَ اسْمَهُ.

(2) ((**دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ**)): أيْ أَرْشِدْنِي وَوَجِّهْنِي عَلَى عملٍ مِن الأعمالِ التي تَكْفُلُ لي مَحَبَّةَ اللَّهِ أَوَّلاً وَمَحَبَّةَ الناسِ ثَانِياً. وَكأَنَّهُ أَرَادَ إِشغالَ وَقْتِهِ بالنَّافِعِ عِنْدَ الخَلْوةِ معَ اللَّهِ، وَعندَ مُعَاشَرَةِ وَمُخَالَطَةِ النَّاسِ.

(3) (**إِذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ**): **قولُهُ**: (**أَحَبَّنِي اللَّهُ**) فيهِ إِثباتُ المحبَّةِ للَّهِ تَعَالَى على الوجهِ اللائقِ.

وَمَعْنَاهُ: أيْ إِذا قُمْتُ بهِ وَأَدَّيْتُهُ كَانَت الثَّمَرَةُ رِضَا اللَّهِ عَنْهُ وَمَحَبَّتَهُ لِي؛ لأَسْعَدَ في الدُّنيا وَالآخرةِ، وَالمرادُ أنَّ العملَ سَبَبٌ في محبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

قولُهُ: (**أَحَبَّنِي النَّاسُ**) ؛ أيْ: يَرْضَى عنِّي الناسُ وَيُحِبُّونَنِي لأسْعَدَ في الدُّنيا بِتَقْدِيرِهِمْ وَتَوْقِيرِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ، وَفي الآخرةِ بِشَهَادَتِهِمْ.

وَمَحَبَّةُ الناسِ مَيْلُ قُلُوبِهِمْ مَيْلاً طَبِيعِيًّا.

وَيَجِبُ تَقْدِيمُ محبَّةِ اللَّهِ على محبَّةِ النفسِ وَالأهلِ وَالمالِ وَمحبَّةِ الناسِ أَجْمَعِينَ. وَالمطلوبُ هوَ إِرضاءُ اللَّهِ وَلوْ بِسَخَطِ الناسِ لِيَرْضَى اللَّهُ عَن العبدِ وَيُرْضِيَ عنهُ الناسَ.

(4) (ازْهَدْ في الدُّنيا): هذهِ الوَصِيَّةُ الأُولَى، وَهيَ الزُّهْدُ في الدُّنيا، وَثَمَرَتُهَا مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَمِن الأعمالِ التي تُثْمِرُ محبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى الإِحسانُ وَالتَّوَكُّلُ وَالقِسْطُ وَالصَّبْرُ وَالتَّقْوَى وَالتَّطَهُّرُ وَالقِتَالُ في سبيلِ اللَّهِ وَالتوبةُ وَنَحْوُهَا.

وَقدْ فُسِّرَ الزهدُ بِتَفْسِيرَاتٍ كثيرةٍ، أَحْسَنُهَا تَفْسِيرُ ابنِ تَيْمِيَّةَ، وَهوَ قولُهُ: (تَرْكُ مَا لا يَنْفَعُ في الآخِرَةِ، وَالوَرَعُ: تَرْكُ ما يَضُرُّ في الآخرةِ). قالَ ابنُ القيِّمِ: (وهذه العبارةُ مِن أَحْسَنِ ما قيلَ في الزُّهدِ والوَرَعِ وأَجْمَعِهَا). وقالَ سفيانُ الثَّوريُّ: (الزُّهدُ في الدُّنيَا قِصَرُ الأملِ، ليسَ بِأَكلِ الغليظِ ولا لُبْسِ العباءِ). وقالَ الزُّهريُّ: (هو أن لا يغلبَ الحلالُ شكرَهُ ولا الحرامُ صبرَهُ).

وحقيقةُ الزُّهدِ في القلبِ، بأن يخرجَ حبُّ الدُّنيَا والحرصُ عليها والرَّغبةُ إليها مِن قلبِ العبدِ، فتصبحَ الدُّنيا في اليدِ وحبُّ اللهِ والآخرةِ في القلبِ، وليس معنَى الزُّهدِ رفضَ الدُّنيَا بالكلِّيَّةِ والابتعادَ عنها.

كانَ ﷺإمامَ الزَّاهدينَ ولهُ تسعُ نسوةٍ، وكانَ داودُ وسليمانُ عليهما السَّلامُ مِن الزُّهَّادِ ولهما مِن الملكِ ما ذكرَ اللهُ، والصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أيضًا كانُوا مِن الزُّهَّادِ ولهم مِن المالِ والنِّساءِ والبنينَ ما هو معروفٌ.

وَقدْ قَسَّمَ الإِمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ الزهدَ إِلى ثلاثةِ أقسامٍ، وَهيَ:

1- زُهْدُ العَوَامِّ، وَهوَ تَرْكُ الحَرَامِ.

2- زُهْدُ الخَوَاصِّ، وَهوَ تَرْكُ الفُضُولِ مِن الحَلالِ.

3- زُهْدُ العَارِفِينَ، وَهوَ تَرْكُ مَا يَشْغَلُ عَن اللَّهِ تَعَالَى.

وَقدْ ذَمَّ اللَّهُ الدُّنيا في قولِهِ: **{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}**(1)

وَقولِهِ: **{مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ}**(2)

وَفي الحديثِ: ((**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**)).

وَقال عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الدُّنْيَا سِتَّةٌ: مَطْعُومٌ، وَمَشْرُوبٌ، وَمَشْمُومٌ، وَمَلْبُوسٌ، وَمَنْكُوحٌ، وَمَرْكُوبٌ).

وَقالَ العَلاءُ بنُ زِيَادٍ: (الدُّنْيَا كَعَجُوزٍ شَمْطَاءَ، وَالدُّنْيَا كَمَاءِ البحرِ لا يَزِيدُ صَاحِبَهُ إلاَّ عَطَشاً).

وَيَنْبَغِي أَنْ يُكِبَّهَا الإِنسانُ وَيَرْكَبَ على ظَهْرِهَا، وَهيَ كالأرضِ المخْضَرَّةِ التي يَبِسَتْ، وَكالسَّرَابِ وَكاللَّعِبِ، وَما هِيَ في الآخرةِ إلاَّ كَنِسْبَةِ صِفْرٍ إلى ما لا نِهَايَةَ.

وَيَنْقَسِمُ الناسُ في الدُّنْيَا إلى قِسْمَيْنِ:

1-مَنْ يُنْكِرُ الآخرةَ وَهَمُّهُ الدُّنيا، وَهُم الكفَّارُ، قَالَ تَعَالَى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}**(3) وَهؤلاءِ عِبَادُ الدُّنيا الذينَ عَبَدُوهَا وَاشْتَغَلُوا بِهَا.

2- مَنْ يُقِرُّ بالآخِرَةِ، وَهُم أَهْلُ الإِسلامِ، فَيَعْمَلُ للآخرةِ وَلا يَنْسَى نَصِيبَهُ مِن الدُّنيا، وَلا يَجْعَلُهَا هَمَّهُ.

وَقدْ مَضَى أَنَّهُ ثلاثةُ أَقْسَامٍ:ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمُقْتَصِدٌ، وَسَابِقٌ بالخَيْرَاتِ.

---

(1) الأَعْلَى: 16

(2) النساء: 77

(3) مُحَمَّد: 12

(5) (وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ): هذهِ الوصيَّةُ الثانيَةُ، وَهيَ الزهدُ فيما في أَيْدِي الناسِ، وَهي مُوجِبَةٌ لِمَحَبَّةِ الناسِ.

وَقدْ مَضَى في حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ...)).

وَالاستغناءُ عَمَّا في أَيْدِي النَّاسِ عِزٌّ للعَبْدِ، وَقدْ وَرَدَ في الحديثِ: **((بَايِعُونِي أَلاَّ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً...))**. وَكانَ أبو بكرٍ لا يَسْأَلُهُمْ، وَكذلكَ ثَوْبَانُ.

وَمِنْ هذا: **((مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ))**، وَبِهَاتَيْنِ الوَصِيَّتَينِ يَكُونُ هَمُّ العَبْدِ هوَ رَبَّهُ تَعَالَى، وَالتَّوَجُّهَ إِليهِ، وَسُؤَالَهُ، وَالاستعدادَ للآخرةِ، وَعَدَمَ الاغترارِ بالدُّنيا، وَحفظَ كَرَامَتِهِ وَعِزَّتِهِ.

وَرَدَتْ نصوصٌ كثيرةٌ في كتابِ اللهِ وفي سنَّةِ رسولِ اللهِ تُزَهِدُ في الدُّنيا، وَتُبَيِّنُ حقارتَهَا وقلَّتَهَا وسرعةَ انقضائِهَا، وترغِّبُ في نعيمِ الآخرةِ الدَّائمِ الَّذي لا يَنْقَطِعُ.

قالَ تعالَى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ}

وقالَ تعالَى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}.

فالدُّنيا مُنقضِيَةٌ زائلةٌ فلا يَنْبَغِي للعبدِ أن يَشتغلَ بالفاني الزَّائلِ عن الباقِي.

فالآيَةُ دلَّتْ علَى أنَّ الحياةَ الدُّنيا غرورٌ وباطلٌ ولعبٌ، وحقيقةُ اللعبِ: ما لا يُنتفعُ به، واللهوُ: ما يُتلهَّى بهِ، كما دلَّتْ علَى أنَّها زينةٌ: والزِّينَةُ: ما يُتَزَيَّنُ به، والمفتونُ بها يتزيَّنُ ولا يعملُ لآخرتِهِ، كما دلَّتْ علَى أنَّها تفاخرٌ، والنَّاسُ يَفخرُ بعضُهُم علَى بعضٍ بنعيمِهَا الزَّائلِ مِن مالٍ وولدٍ وجاهٍ وغيرِهَا، ثمَّ شبَّهَ ربُّنَا انقضاءَ الدُّنيَا

وسرعةَ زوالِهَا بالغيثِ الَّذِي ينزلُ علَى الأرضِ فتَهتزُّ بهِ وتخضرُّ، ثمَّ ما تلبثُ أن تعودَ إلَى ما كانَتْ عليهِ مِن جفافٍ ومواتٍ.

وهذا حالُ نعيمِ الدُّنيا زائلٌ مُنْقَضٍ.

الْحَدِيث الثاني وَالثَّلاثُونَ

عَنْ أَبِي سعيدٍ سعدِ بنِ سِنانٍ الخُدْرِيّ رَضِي اللهُ عَنْهُ , أنَّ رسولَ اللهِ ﷺقالَ: (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ). (1)

ترجمةُ الصَّحابِيّ راوِي الحديثِ:

أبُو سعيدٍ سَعْدُ بنُ مالكِ بنِ سِنَانٍ الخُدْرِيُّ الأنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ، هُوَ مِنْ أَفْقَهِ الصَّحَابَةِ، وَأَعْلَمِهِمْ بالحديثِ، مَاتَ بالمدينةِ يومَ الجُمُعَةِ سَنَةَ أربعٍ وَسِتِّينَ وَدُفِنَ بالبَقِيعِ.

مَوْضُوعُ الحديثِ: النَّهْيُ عَن الضَّرَرِ وَالإضرارِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ: مرَّ قولُ أبي داودَ أنَّهُ مِن الأحاديثِ الَّتي يَدورُ عليها الفقهُ.

الشَّرحُ :

فهذا الحديثُ يُؤَصِّلُ قاعدةَ (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ) للفقهاء لِقياسِ الأمورِ عليها، وخاصَّةً فيما يُستجدُّ مِن الأمورِ، مثلا مَنْ حكَمَ علَى الدُّخانِ بأنَّهُ حرامٌ كانَ مِن ضمنِ أدلَّتِهِ هذه القاعدةُ **(لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ)**؛ لأنَّهُ لم يكنْ موجودًا في زمنِ التَّشريعِ. والضِّرارُ منهما معًا والضَّررُ فعلُ واحدٍ منهما

(2) ((**لا ضَرَرَ**)): (**الضَّرَرُ**): ضِدُّ النفعِ، وَالمرادُ بِهِ أنْ يُدْخِلَ على نفسِهِ نَفْعاً يَضُرُّ بِهِ غيرَهُ بِغَيْرِ حقٍّ، وَمنْ ذلكَ تَلَقِّي الرُّكْبَانِ، وَالنَّجْشُ في البيعِ، وَالحِيلَةُ في الرِّبَا، وَعَضْلُ المرأةِ لِمَالِهَا أَوْ لِتَفْتَدِيَ نَفْسَهَا، وَاحْتِكَارُ الأموالِ، وَالسَّهَرُ طَوالَ الليلِ عَبَثاً.

---

(1) حديثٌ حسَنٌ رَوَاهُ ابنُ ماجَه والدَّارَقُطْنِيُّ وغيرُهُما مُسْنَدًا، ورواهُ مالكٌ في الْمُوَطَّأِ مُرْسَلاً, عَنْ عَمْرِو بنِ يَحْيَى, عَنْ أبيهِ , عَنِ النبيِّ ﷺ , فأَسْقَطَ أبا سعيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بعضُها بعضًا.

وَقدْ يَكُونُ الضَّرَرُ على النفسِ، مثلُ: مُوَاصَلَةِ الصومِ، وَعدمِ النومِ، وَعدمِ النِّكَاحِ.

وَالضررُ بالغيرِ معَ نَفْعِ النفسِ لا يَجُوزُ؛ لِمَا في ذلكَ مِن الإضرارِ بالغيرِ معَ مَنْفَعَةِ النفسِ.

وَالإسلامُ يَحُثُّ على الأُلْفَةِ وَالتَّعَاوُنِ وَالإيثارِ وَاحترامِ حقوقِ الآخرينَ، وَهذا الضررُ يُنَاقِضُهُ. وَكَذَلِكَ لا يَجُوزُ الضررُ بالنفسِ، قَالَ تَعَالَى: **{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}**(1)

(3) ((ولا ضِرَارَ)): الإضرارُ أَو الضِّرَارُ: هوَ أَنْ يَضُرَّ بالغيرِ وَلوْ لمْ يَكُنْ لَهُ نَفْعٌ، فيكونُ القصدُ هوَ الإضرارَ فقطْ. وَمنهُ الإيذاءُ للغيرِ، وَظُلْمُهُ، وَأَخْذُ حَقِّهِ، وَالتضييقُ عَلَيْهِ، وَهذا لا يَجُوزُ.

وَلهُ عِدَّةُ صُوَرٍ منها:

1- الإضرارُ في الوصيَّةِ قالَ تعالَى: **{مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ}**، ووجهُ الإضرارِ أن يخصَّ بعضَ الورثةِ أكثرَ مَن نصيبِهِ، فيَتضرَّرُ باقي الورثةِ، وهذه الوصيَّةُ لا تنفذُ، قالَ ﷺ:((**إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**))، إلاَّ إذا أجازَهَا الورثَةُ.

أو أن يَخُصَّ أجنبيًّا بأكثرَ مَن الثُّلثِ فيَتضرَّرَ الورثةُ بذلِكَ، وهذه الوصيَّةُ لا تنفذُ إلاَّ بإجازةِ الورثةِ؛ وذلك لأنَّ النَّبيَّ ﷺعندما سألَهُ سعدٌ، (**قالَ: يا رسولَ اللهِ، أنا ذو مالٍ ولا يرثُنِي إلاَّ ابنةٌ، أفأتصدَّقُ بثُلُثَيْ مالي؟ قالَ: ((لا))فقلْتُ: بالشَّطرِ؟)قالَ: ((لا))، ثمَّ قالَ: ((الثُّلثِ، والثُّلثُ كبيرٌ – أو كثيرٌ – إنَّكَ إنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**)).

(1) البقرة 195

وإذا أوصَى بالثُّلثِ لأجنبيٍّ بقصدِ المضارَّةِ بالورثةِ، فإنَّهُ يَأْثَمُ بقَصْدِهِ هذا، وتنفذُ كما قالَ الجمهورُ.

2- الرَّجْعَةُ في النِّكَاحِ قالَ تَعالَى: **{فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}** فمَنْ قَصَدَ بالرَّجعةِ الْمُضارَّةَ بالمرأةِ أَثِمَ بذلِكَ، كما كانَ يفعلُ الجاهليُّونَ: يطلِّقُ امرأتَهُ فإذا قاربَت انتهاءَ العدَّةِ راجعَهَا، وهكذا فتكونُ بذلك معلَّقةً لا هي مطلَّقةٌ ولا مُمسَكَةٌ.

3- الإيلاءُ؛ هو حَلِفُ الرَّجلِ علَى أن لا يجامعَ زوجتَهُ، وكانَ الجاهليُّونَ يحلفُ أحدُهُم أن لا يجامعَ زوجتَهُ سنةً وسنتين، ويقصدُ بذلِكَ الإضرارَ بها، فتكونَ بذلك معلَّقَةً لا هي مطلَّقَةٌ ولا هي زوجتُهُ، فوضعَ الإسلامُ حدًّا لهذا الضَّررِ فعيَّنَ مدَّةَ الإيلاءِ أربعةَ أشهرٍ فقطْ، فإنْ رجَعَ أثناءَهَا أو في آخرِهَا كفَّرَ عن يمينِهِ وإلا طلَّقَها، قالَ تَعالَى: **{لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**

4- أَذِيَّةُ الجَارِ في بَيْتِهِ أَوْ طَرِيقِهِ أَوْ مَزْرَعَتِهِ، وَهذا إِضرارٌ بالجارِ.

5- عُقُوقُ الوالِدَيْنِ وَقَطِيعَةُ الأرحامِ، وَهذا إِضرارٌ بالأقاربِ.

6- الرَّضاعةُ : قالَ تَعالَى: **{لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ}**،قالَ القرطبيُّ في تفسيرِ هذه الآيَةِ: (لا تأبَى الأمُّ أن ترضعَهُ إضرارًا بأبيهِ أو تطلبَ أكثرَ مَن أجرِ مثلِهَا، ولا يحلُّ للأبِ أن يمنعَ الأمَّ مَن ذلك مع رغبتِهَا في الإرضاعِ، هذا قولُ جمهورِ المفسِّرينَ).

7-الضَّررُ في البيعِ: نَهَى الإسلامُ عن كلِّ أنواعِ البيوعِ الَّتِي فيها ضررٌ بعبادِ اللهِ، فنَهَى عن بيعِ العينةِ، قالَ ﷺ: ((**إذا تبايعتُمْ بالعينةِ إلَى أنْ قالَ: سلَّطَ اللهُ**

عليكُمْ ذلاً لا ينزعُهُ حتَّى ترجعُوا إلَى دينِكُمْ))، كما نَهَى عن بيعِ الحصاةِ، وعن بيعِ الغررِ، كما نَهَى عن التَّفرقَةِ بينَ الوالدةِ وولدِهَا في البيعِ، فإذا كانَ ولدُهَا صغيرًا حرامٌ بالاتِّفاقِ، قالَ ﷺ: **((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**.

واللَّهُ تَعَالَى لم يُكَلِّفِ الناسَ إلاَّ مَا يَسْتَطِيعُونَ في العباداتِ، فليسَ في الدِّينِ ضَرَرٌ وَلا ضِرَارٌ، فَمَنَعَ الضررَ عَن المريضِ مِن الطهارةِ بالماءِ، وَأَبَاحَ لهُ التَّيَمُّمَ وَأَذِنَ لهُ بالصلاةِ قَاعِداً، وَأَذِنَ لهُ بالفِطْرِ حالَ السفرِ وَالمرَضِ وَالقضاءِ وَنحوِ ذَلِكَ.

قاعدةٌ أصوليَّةٌ: هذا الحديثُ **((لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ))** قاعدةٌ أصوليَّةٌ.

ومِن فروعِهَا الفقهيَّةِ: أنَّهُ لو أَتْلَفَ أحدٌ مالَ الآخرِ، لا يَجوزُ للآخرِ أن يُتْلِفَ مالَ أخيهِ مَن بابِ المعامَلَةِ بالْمِثْلِ؛ لأنَّ في هذا توسيعًا لدائرةِ الضَّررِ دونَ فائدةٍ، والبادي بالإتلافِ ضامنٌ ما أَتْلَفَ.

ومِن فروعِ هذه القاعدةِ:

1: **الضَّررُ يُدْفَعُ بقدرِ الإمكانِ**: ومعناهُ أنَّهُ يَجبُ إزالةُ الضَّررِ الَّذي وقعَ وإزالةُ الآثارِ المترتِّبَةِ بسببِ وقوعِهِ، مثلُ أن يَصُبَّ الْمِيزَابُ علَى الطَّريقِ فيُؤذيَ المارَّةَ، في هذه الحالةِ يجبُ إزالتُهُ، وصاحبُهُ ضامنٌ ما أَتْلَفَ.

2: (**الضَّررُ يُزَالُ**) ومعناهَا يجبُ دفعِ الضَّررِ قبلَ وقوعِهِ؛ لأنَّ هذا أسهلُ مَن رفعِهِ بعدَ الوقوعِ.

3: (**الضَّررُ لا يُزالُ بمثلِهِ**) ومعناهُ لا يَجوزُ رفعُ ضررٍ واقعٍ بإحداثِ ضررٍ مثلِهِ أو أكبرَ منهُ.

4: **الضَّررُ الأشدُّ يُزَالُ بالضَّررِ الأخفِّ**: ومعناها يَجوزُ للحاكمِ أن يأخُذَ مَن الأغنياءِ أكثرَ مَن الزَّكاةِ إذا كانتِ الزَّكاةُ لا تَكْفِي حاجةَ الفقراءِ.

وبمعنَى هذه القاعدةِ (يختارُ أهونَ الشَّرَّينِ) إذا تعارضَتْ مفسدتَانِ روعِيَ أعظمُهَا ضررًا.

5: **يتحمَّلُ الضَّررُ الخاصُّ لدفعِ ضررٍ عامٍّ** فيجوزُ للحاكمِ إجبارُ المحتكِرينَ علَى البيعِ بثمنِ السُّوقِ، ولو كانَ فيهِ ضررٌ عليهم؛ لأنَّ دفعَ الضَّررِ العامِّ يُقدَّمُ علَى ضررِهِم الخاصِّ.

6: **درءُ المفاسدِ مقدَّمٌ علَى جلبِ المصالِحِ** إذا كانَ هناكَ تعارضٌ بينَ مفسدةٍ ومصلحةٍ وجبَ دفعُ المفسدةِ ولو ضاعتِ المصلحةُ.

7: **إذا تعارضَ المانعُ والْمُقتضِي يُقدَّمُ المانعُ.**

بمعنَى إذا كانَ هناكَ لأمرٍ محاذيرُ تتطلَّبُ منعَهُ، ودوافعُ تَقتضي السَّماحَ به فهنا يقدَّمُ المنعُ.

مثلُ أن يُمنعَ الشَّريكُ مَن التَّصرُّفِ في المالِ المشترَكِ فيهِ علَى وجهِ يضرُّ بشريكِهِ، وذلك أنَّ حقَّ الشَّريكِ مانعٌ له مَن التَّصرُّفِ. وإن كانَ حقُّ الشَّركةِ مقتضيًا صحَّةَ تصرُّفِهِ.

8: **الضَّررُ لا يكونُ قديمًا.**

بمعنَى: كلُّ ما فيهِ ضررٌ يُزالُ، سواءٌ كانَ حديثًا أو قديمًا، مثلَ أن يكونَ للمكلَّفِ بناءٌ تطلُّ منه نافذةٌ علَى أرضِ جارِهِ، فلو بنَى جارُهُ وكانتْ هذه المنافذُ تطِلُّ علَى نسائِهِ وعوراتِهِ فيجبُ إزالتُهَا ولا عبرةَ بقدمِهَا هُنا.

أمَّا ما كان قديمًا في أيدي المكلَّفينَ وفيهِ نفعٌ لهم، ولا مضرَّةَ فيهِ للآخرينَ، فهنا للقدمِ اعتبارٌ، ويكونُ انتفاعُهُم مشروعًا، وهنا قاعدةُ (القديمُ يُتْرَكُ علَى قدمِهِ).

الْحَدِيث الثالث والثلاثون

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدعوَاهُمْ لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَال قَومٍ وَدِمَاءهُمْ، وَلَكِنِ البَينَةُ عَلَى المُدَّعِي، وَاليَمينُ عَلَى مَن أَنكَر"(1)

موضوعُ الحديثِ: التَّحَرِّي فِي الدَّعَاوَى.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ ابنُ دقيقِ العيدِ: (وهذا الحديثُ أصلٌ مَن أصولِ الأحكامِ، وأعظمُ مرجعٍ عندَ التَّنازعِ والخصامِ).

وقالَ النَّوويُّ: (وهذا الحديثُ قاعدةٌ كبيرةٌ مِن قواعدِ أحكامِ الشَّرعِ).

وضعَ هذا الحديثُ أسسَ الحكمِ بينَ النَّاسِ، حتَّى تُصانَ الحقوقُ، وتحفَظَ الأعراضُ ويُقامَ العدلُ، ويأخذَ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

الشَّرحُ :

1-((**لَوْ يُعْطَى الناسُ بِدَعْوَاهُمْ**)): أيْ لَوْ يُسْمَعُ كَلامُ المطَالِبِينَ بِحُقُوقِ الغيرِ، وَيُعْطَوْنَ الذي يُطَالِبُونَ بِهِ.

وَهذهِ المطَالَبَةُ قدْ تَكُونُ أَخْذَ حَقٍّ، إِذا أَرَادَ حَقَّهُ الذي لهُ وَاعْتُدِيَ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ غَيْرِهِ.

فهذهِ المطالبةُ مَشْرُوعَةٌ، وَلكنَّهَا تَدْخُلُ في إِحْضَارِ البَيِّنَةِ.

---

(1) حديث حسن رَوَاهُ البيهقي هكذا بعضه في الصحيحين.

وقدْ تَجِبُ هذهِ المطالبةُ لِحِفْظِ الحقوقِ وَمَنْعِ الظلمِ وَسَدِّ بَابِ الشرِّ وَزَرْعِ الأُلْفَةِ وَتَحَقُّقِ الإنسانيَّةِ.

وَقدْ تَكُونُ هذهِ المطالبةُ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ كَأَنْ يُطَالِبَ الإنسانُ في مالِ غيرِهِ ظُلْماً وَعُدْوَاناً إِمَّا حَسَداً لهُ، وَإِمَّا انْتِقَاماً منهُ، وَإِمَّا اسْتِضْعَافاً لهُ، وَإِمَّا تَقْلِيداً لِغَيْرِهِ، وَإِمَّا لِبَلاغَتِهِ وَقُوَّتِهِ الكَلاميَّةِ.

وَهذا مِن الظلمِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بلْ هوَ الإفلاسُ يومَ القيامةِ.

وَهوَ الوحشيَّةُ بِعَيْنِهَا، وَهوَ مِنْ تَزْيِينِ الشيطانِ لِتَفْرِيقِ الأُمَّةِ وَزَرْعِ الأحقادِ وَاشْتِغَالِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

وَبهذهِ المطالباتِ الباطِنَةِ يُشْغَلُ بها الناسُ وَتَمْتَلِئُ بها المحَاكِمُ وَالسجونُ وَغيرُهَا.

وَقَدْ بَقِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاضِياً في المدينةِ سنةً كاملةً يَقْضِي بينَ الناسِ لمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ أحدٌ حتَّى طَلَبَ الإعفاءَ مِنْ ذلكَ؛ لأنَّ الناسَ رَضُوا بِحُقُوقِهِمْ وَتَرَكُوا حُقُوقَ الآخَرِينَ.

(2) ((**لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ**)): أيْ لَوْ لمْ تُضْبَط الأمورُ بالضوابطِ الشرعيَّةِ لاسْتَبَاحَ وَتَجَرَّأَ رِجَالٌ في المطالبةِ بأموالِ جماعةٍ بغيرِ حَقٍّ وَبِلا مُرَاقَبَةٍ للَّهِ تَعَالَى وَبلا خَوْفٍ منهُ، وَلَطَالَبُوا بِدِمَائِهِمْ وَقَتْلِهِمْ.

وَهذا لا يَكُونُ إلاَّ إذا فُقِدَ الخوفُ مِن اللَّهِ تَعَالَى، وَنُسِيَت الآخرةُ، وَاشْتُغِلَ بالدُّنيا، وَعُبِدَ المالُ، وَتَعِسَ الإنسانُ في حياتِهِ.

(3) ((**لكنَّ البَيِّنَةَ على المُدَّعِي**)):

المقصودُ بالبيِّنَةِ الشَّهادةُ، لأنَّها تكشفُ الحقَّ، وهي دليلٌ علَى صدقِ المدَّعِي، وذلك أنَّ الشَّهادةَ تعتمدُ علَى الحضورِ والمعاينةِ لما ادَّعاهُ المدَّعِي.

فالبَيِّنَةُ: هيَ الحُجَّةُ وَالدليلُ؛ أيْ: يُقِيمُ المطَالِبُ الدَّلِيلَ على صِدْقِهِ وَيُظْهِرُ الحُجَّةَ، ولا يَكُونُ ذلكَ إلاَّ بِشَهَادَةِ شُهُودٍ يَشْهَدُونَ على صِدْقِهِ.

وَيُشْتَرَطُ في الشُّهُودِ:

1/ البُلُوغُ. 2/العقلُ.3/الكلامُ.4/الإسلامُ.5/الحِفْظُ.6/ العَدَالةُ.

ويكونُ عَدَدُ الشهودِ:

في الزِّنَا وَاللوَاطِ : أَرْبَعَةَ رِجَالٍ. قالَ تعالَى: **{وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ}**، وقالَ تعالَى: **{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ}**، **فشهادةُ الزِّنَا يُشْتَرَطُ فيها أن تكونَ أربعةً مِن الرِّجالِ ولا تُقْبَلُ شهادةُ النِّساءِ.**

وَفي : إثباتِ الحاجةِ وَالعُسْرِ: ثلاثةً.

وَفي : الحُدُودِ الأُخْرَى وَالنكاحِ وَالطلاقِ وَالرجعةِ: اثْنَيْنِ. قالَ تعالَى: **{وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ}**، فلا بدَّ مِن شهادةِ رجلين، ولا تُقبَلُ شهادةُ النِّساءِ، وألحقَ بعضُ الفقهاءِ الشَّهادةَ علَى النِّكاحِ والطَّلاقِ مع الحدودِ، فلا بدَّ مِن شاهدينِ.

وَفي : الأموالِ وَما يُقْصَدُ بهِ المالُ كَالبَيْعِ وَالأَجَلِ وَالإجارةِ: رَجُلَيْنِ أَوْ رَجُلاً وَامْرَأَتَيْنِ، وَيُقْبَلُ شَاهِدٌ وَيَمِينُ المدَّعِي. قالَ تعالَى: **{وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ}**، فلا بدَّ مِن شاهدينِ أو شاهدٍ وامرأتين لإثبات المدَّعَى في الحقوقِ الماليَّةِ.

وَفيما لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إلاَّ النساءُ كالولادةِ وَالبَكارةِ وَالحَيْضِ وَالرَّضَاعِ: يُقْبَلُ شَهَادَةُ النِّسَاءِ. عن عُقبةَ بنِ الحارثِ: (تَزوَّجتُ امرأةً فجاءَتْنَا امرأةٌ سوداءُ فقالَتْ أَرْضَعْتُكُمَا، فأتيْتُ النَّبيَّ ﷺفقلْتُ: تزوجْتُ فلانةً بنتَ فلانٍ، فجاءَتْنَا امرأةٌ

سوداءُ فقالَتْ لي: إنِّي قد أرضعتُكُمَا، وهي كاذبةٌ، فَأَعْرَضَ عنه، فأتيتُهُ مِن قِبَلِ وجهِهِ قلْتُ: إنَّها كاذبةٌ) قالَ: ((كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا، دَعْهَا عَنْكَ)). ففارَقَها عُقبةُ ونَكَحَتْ زوجًا غيرَهُ.

والشَّاهدُ في الحديثِ أنَّهُ لم يشهدْ بذلك إلاَّ امرأةٌ واحدةٌ.

وفي : ثبوتِ دخولِ رمضانَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَفِي خُرُوجِهِ رَجُلانِ.

والبيِّنَةُ هي حُجَّةُ المدَّعِي، قالَ ﷺ: ((**البيِّنةُ علَى المدَّعِي**)).

وفي روايَةِ مسلمٍ: قالَ ﷺللمدَّعِي: ((**شَاهِدَاكَ**))، فإذا أقامَ المدَّعِي البيِّنَةَ استحقَّ بها ما ادَّعاهُ.

والحكمةُ في كونِ البيِّنَةِ علَى المدَّعِي؛ لأنَّهُ يدَّعِي أمرًا خفيًّا بحاجةٍ إلَى إظهارٍ، والبيِّنَةُ دليلٌ قويٌّ لإظهارِ ذلك.

حُجَّةُ المدَّعِي تقدَّمُ علَى حُجَّةِ المدَّعَى عليهِ:

بعدَ عرضِ القضيَّةِ علَى القاضي يُسألُ المدَّعَى عليهِ، فإن اعترفَ بما نُسِبَ إليهِ قَضَى عليهِ القاضِي؛ لأنَّ الاعترافَ حجَّةٌ يُلزَمُ بها المعترِفُ، وإذا أنكرَ ما نُسِبَ إليهِ، طلبَ القاضي مِن المدَّعِي إقامةَ البيِّنَةِ، فإن أتَى بها قَضَى له ولم يعتدَّ بعدَ ذلك بإنكارِ المدَّعَى عليهِ أو أيمانِهِ، فإن عجز المدَّعِي عن الإتيانِ بالبيِّنَةِ، وطلبَ مِن خصمِهِ أن يحلِفَ، يَسْتَحْلِفُ القاضي المدَّعَى عليهِ، فإن حلَفَ برئَ وانتهَتْ قضيَّتُهُمَا.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺللمدَّعِي: ((**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**))**قالَ: لا، قالَ**: ((**فَلَكَ يَمِينٌ؟**)).

والحديثُ شاهدٌ علَى أن حجَّةَ المدَّعِي مقدَّمَةٌ علَى حجَّةِ المدَّعَى عليهِ.

الحكمُ بالشَّاهدِ مع اليمينِ:

إذا لم يُقمِ المدَّعِي البيِّنَةَ كاملةً، بأنْ جاءَ بشاهدٍ واحدٍ والدَّعوةُ لا تثبُتُ إلاَّ بشاهدينِ، فهل يُقْبَلُ اليمينُ بدلَ الشَّاهدِ؟ يُقضَى له بشاهدٍ ويمينٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺقضَى بيمينٍ وشاهدٍ.

وهذا ما ذهبَ إليهِ المالكيَّةُ، والشَّافعيَّةُ، والحنابلةُ، وإسحاقُ، وأبو ثورٍ، إلاَّ في الحدودِ والقصاصِ.

تحليفُ الشُّهودِ والمدَّعِي مع إقامتِهِ للبيِّنَةِ:

ويَجوزُ للقاضِي أن يحلِّفَ الشُّهودَ والمدَّعِيَ ولو أقامَ البيِّنَةَ إذا شكَّ في أمرِهِم، قالَ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ: إنَّ الإمامَ أحمدَ سُئلَ عن هذه المسألةِ فقالَ أحمدُ: قد فعلَهُ عليٌّ، فقالَ له السَّائلُ: أيستقيمُ هذا؟ فقالَ: قد فعلَهُ عليٌّ.

كما ذهبَ إلَى ذلك ابنُ أبي ليلَى، وابنُ القيِّمِ، ومحمَّدُ بنُ بشيرٍ قاضي قُرطبةَ، وقالَ ابنُ رجبٍ: (وقد دلَّ القرآنُ علَى استحلافِ الشُّهودِ عندَ الارتيابِ بشهادتِهِم في الوصيَّةِ في السَّفرِ)في قولِهِ تَعالَى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ}** إلَى قولِهِ: **{فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ}**، وهذه الآيَةُ لم يُنْسَخُ العملُ بها عندَ جمهورِ السَّلفِ.

النُّكولُ عن اليمينِ:

إذا لم يَحْلِفِ المدَّعَى عليهِ عندَمَا يَأمرُهُ القاضي، اعتبرَ نكولَهُ هذا مثلَ الاعترافِ والإقرارِ بدعوَى المدَّعِي؛ لأنَّهُ لو كانَ صادقًا في إنكارِهِ لما توقَّفَ علَى اليمينِ الواجبةِ عليهِ، والمسلمُ السَّويُّ صاحبُ العقلِ والدِّينِ لا يَمتنِعُ عن أداءِ الواجبِ، وهذا ما ذهبَ إليهِ الأحنافُ، والحنابلةُ علَى تفصيلٍ عندَهُم فيما يُقبَلُ فيهِ مَن الحقوقِ وفيما لا يُقبَلُ أيمانُ الْمُدَّعَى عليهِ: اليمينُ حجَّةُ المدَّعَى عليهِ إذا لم يُقِمِ

المدَّعِي البيِّنَةَ، وإذا حلفَ برئَ بها مَن دعوَى المدَّعِي، قالَ ﷺ: ((وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ))، وفي روايَةِ مسلمٍ: ((أَوْ يَمِينُهُ))، والحكمةُ في كونِ اليمينِ علَى المدَّعَى عليهِ، لأنَّها أقلُّ قوَّةً مَن البيِّنَةِ، كما أنَّهُ لا يدَّعِي أمرًا خفيًّا، وإنَّما هو يَتمسَّكُ بالبراءةِ الأصليَّةِ.

يَحْلِفُ كلُّ مدَّعًى عليهِ إذا توجَّهتْ عليهِ اليمينُ دونَ تفريقٍ بينَ مُدَّعًى عليهِ وآخَرَ، وهذا ما ذهبَ إليهِ أحمدُ، والشَّافعيُّ، وأبو حَنيفةَ، وحجَّتُهُم عمومُ الأحاديثِ الواردةِ في تحليفِ المدَّعَى عليهِ.

وأن يُحَلِّفَ القاضي المدَّعَى عليهِ باللهِ عزَّ وجلَّ، ولا يحلُّ تحليفُهُ بغيرِ ذلك، **قالَ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ))**.

يُستحَبُّ للقاضِي أن يعظَ مَن عليهِ الأيمانُ، ويُحَذِّرَهُ مَن عاقبةِ الأيمانِ الكاذبةِ، ويذكرَّهُ بقولِهِ جلَّ وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ}، وبقولِهِ ﷺ: **((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ))**.

(4) ((واليمينُ على مَنْ أَنْكَرَ)): أيْ إذا لمْ يَجِد المدَّعِي بَيِّنَةً وَلا شُهُوداً فإِنَّ الحُكْمَ يَتَحَوَّلُ لطَلَبِ المدَّعَى عَلَيْهِ، وَهوَ المُنْكِرُ، بأنْ يَحْلِفَ أنَّ مَا ادَّعَاهُ عَلَيْهِ المدَّعِي غَيْرُ صَحِيحٍ، وَيكونُ الحُكْمُ لهُ بِيَمِينِهِ.

وَاليمينُ في دَعْوَى حقوقِ الآدَمِيِّينَ خَاصَّةً، أَمَّا غَيْرُهَا فلا يُسْتَحْلَفُ.

وَلا يُعْتَدُّ باليمينِ إلاَّ إذا أَمَرَهُ الحاكمُ بذلكَ، وَلا يُؤَدِّيهَا إلاَّ في مجلسِ الحُكْمِ، وَلا تكونُ إلاَّ باللَّهِ تَعَالَى.

والأَيْمَانُ ثلاثةُ أَقْسَامٍ:

1- **يَمِينُ الغَمُوسِ:** وَهيَ الحَلِفُ على شَيءٍ مَاضٍ وَهوَ كاذِبٌ، وَليسَ فيها كَفَّارَةٌ، بلْ فيها التوبةُ وَالإنابةُ.

2- **اليمينُ المُنْعَقِدَةُ:** وَهيَ الحَلِفُ على شيءٍ في المسْتَقْبَلِ أَوْ في الحالِ أنْ يَفْعَلَهُ أَوْ يَتْرُكَهُ، ثمَّ يَحْنَثُ بأنْ يَتْرُكَ ما حَلَفَ على فِعْلِهِ، أَوْ يَفْعَلَ ما حَلَفَ على تَرْكِهِ، فَيُكَفِّرُ كَفَّارَةَ يَمِينٍ.

3- **لَغْوُ اليَمِينِ:** وَهوَ أنْ يَحْلِفَ على ما غَلَبَ على ظَنِّهِ وَما لا يَقْصِدُهُ يَميناً.

ثوابُ القاضِي:

يَجِبُ علَى القاضي أن يَبْذُلَ جهدَهُ ووسعَهُ في تحرِّي الحقِّ والعدلِ، فإنْ أصابَ الحقَّ في حكمِهِ كان له أجرانِ، وإن أخطأَ له أجرٌ واحدٌ، عن عمرِو بنِ العاصِ رَضِي اللهُ عَنْهُ، سمعَ رسولَ اللهِ ﷺيقولُ:((إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ)).

الْجَوْرُ في الْحُكْمِ مَن الكبائرِ:

يَجِبُ علَى مَن يقدِّمُ نفسَهُ للقضاءِ أن يكونَ ذا علمٍ في الحلالِ والحرامِ وأمورِ القضاءِ، ويحسِنُ الرُّجوعَ إلَى مصادرِ الشَّريعةِ عندما تُعرَضُ عليهِ مشكلةٌ، فلا يحلُّ للجاهلِ أن يُقْحِمَ نفسَهُ في ميدانِ القضاءِ؛ لأنَّهُ قد يكونُ سببًا في إضاعةِ حقوقِ النَّاسِ وهدرِ دمائِهِم دونَ وجهِ حقٍّ.

كما يَجِبُ علَى القاضِي أن يراقِبَ اللهَ في حكمِهِ، وأن يحكمَ بالحقِّ والعدلِ، فإنَّ الجورَ في هذا المقامِ مَن الكبائرِ الموجبةِ سقرَ، قالَ ﷺ: ((**الْقُضَاةُ ثَلاَثَةٌ: اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَى**

لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ)).

الْحَدِيث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رِسُولَ اللهِ ﷺيقولُ: (مَن رَأى مِنكُم مُنكَرَاً فَليُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطعْ فَبِقَلبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) (1)

موضوعُ الحديثِ: وُجُوبُ تَغْيِيرِ المُنْكَرِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

هذا الحديثُ عظيمُ الشَّأنِ؛ لأنَّهُ نصَّ علَى وجوبِ إنكارِ المنكَرِ، وهذا كما قالَ النَّوويُّ: (بابٌ عظيمٌ به قِوَامُ الأمرِ ومِلاكُهُ، وإذا كثُرَ الخبثُ، عمَّ العقابُ الصَّالحَ والطَّالحَ، وإذا لم يأخذُوا علَى يدِ الظَّالمِ أوشكَ أنْ يعمَّهُم اللهُ بعذابٍ: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فيَنْبَغِي لطالبِ الآخرةِ، السَّاعِي في تحصيلِ رضَى اللهِ عزَّ وجلَّ، أن يعتنيَ بهذا البابِ، فإنَّ نفعَهُ عظيم) اهـ.

قِصَّةُ الحديثِ:

أوَّلُ مَنْ خَطَبَ في العيدِ قبلَ الصلاةِ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فِعْلَهُ فَأَبَى، فَقَالَ أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ..... وَذَكَرَ الحديث

---

(1) رَوَاهُ مسلم.

الشَّرحُ :

((**مَنْ رَأَى**)): (**مَنْ**) شَرْطِيَّةٌ تَدُلُّ على أَنَّهُ يُشْتَرَطُ في الإنكارِ وُجُودُ المُنْكَرِ، فإِنْ لَمْ يُوجَدْ فَلا يَجِبُ إِنْكَارُهُ؛ لأنَّ افْتِعَالَ الشيءِ معَ عَدَمِ وُجُودِهِ تَكَلُّفٌ، وَليسَ الدِّينُ افْتِرَاضاً وَإِنَّمَا هوَ عَمَلٌ.

((**رَأَى**))؛ أيْ: أَبْصَرَ بِعَيْنَيْهِ وَشَاهَدَ بها هذا المنكرَ، وَهذا فيهِ زيادةُ تَأْكِيدٍ على التَّثَبُّتِ في هذهِ الأمورِ لِتُؤْتِيَ ثِمَارَهَا. وليسَ للآمرِ البحثُ والتَّفتيشُ والتَّجسُّسُ وتَسَوُّرُ جدرانِ البيوتِ واقتحامُهَا بحجَّةِ البحثِ عن المنكَرِ

وَالرُّؤْيَةُ رُؤْيَتَانِ:

بَصَرِيَّةٌ: وَتَشْتَرِكُ فيها جَمِيعُ المخلوقاتِ، وَهيَ بالعَيْنَيْنِ.

وَقَلْبِيَّةٌ: وَتُسَمَّى بَصِيرةً أَوْ رُؤْيَةً عِلْمِيَّةً يَقِينِيَّةً، وَهذهِ للمؤمنينَ الذينَ يُؤْمِنُونَ بالغيبِ، وَيَمْتَثِلُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ بها؛ وَلِذَا يَعْمَلُونَ للآخرةِ كَأَنَّمَا يَرَوْنَهَا. فتَكُونُ الرؤيَةُ بَصَرِيَّةً بالبَصَرِ، أَوْ عِلْمِيَّةً بالعلمِ اليَقِينِيِّ بإِخبارِ الثِّقَاتِ.

((**مِنْكُمْ**)): أيْ مِنْ أُمَّةِ الإجابةِ الذينَ يُطَبِّقُونَ الأوامرَ، وَيَتْرُكُونَ النَّوَاهِيَ، وَيَدْعُونَ إِلى العملِ الذي عَمِلُوهُ فَهُمْ قُدْوَةٌ، وَلا يَأْمُرُونَ بالشَّيْءِ الذي يَتْرُكُونَهُ، وَلا يَنْهَوْنَ عَنْ شيءٍ يَقَعُونَ فيهِ. قَالَ تَعَالَى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ}** (1)وَقَالَ: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ.....}** (2)

وَفي الحديثِ: ((**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ، أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا**

(1) الصفّ: 2

(2) البقرة 44

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ وَآتِيهِ)) الحديثَ.

وَ((**مَنْ**)) أَقْرَبُ للبَيَانِ؛ إِذْ يُبَيِّنُ مِمَّنْ يَكُونُ الرَّأْيُ.

((**مُنْكَراً**)): **المُنْكَرُ**: ضِدُّ المعروفِ، فهوَ ما عُرِفَ قُبْحُهُ شَرْعاً وَعُرْفاً، وَيَشْمَلُ تَرْكَ الأوامرِ وَالوقوعَ في النواهي؛ لأنَّها مُنْكَرٌ بهذهِ الصورةِ. فَتَرْكُ الأوامرِ مِثْلُ تَرْكِ الصلاةِ في المسجدِ أَوْ تَرْكِهَا بالكُلِّيَّةِ، وَالوقوعُ في النواهي مِثْلُ شُرْبِ الخمرِ وَالزِّنَا وَغَيْرِهَا، وَسُمِّيَ مُنْكَراً؛ لأنَّ العقولَ وَالفِطَرَ تُنْكِرُهُ وَتَأْبَاهُ.

ويُشْتَرَطُ في المُنْكِرِ أُمُورٌ، وَهيَ:

1- الإِسلامُ.

2- التكليفُ؛ لِرَفْعِ القَلَمِ عَنْ غيرِ المكَلَّفِ.

3- الاستطاعةُ، وَهيَ الواردةُ في الحديثِ.

4- العَدَالَةُ.

5- وجُودُ المنْكَرِ ظَاهِرا.

6- العِلْمُ بِمَا يُنْكِرُ وَبِمَا يَأْمُرُ.

((**فَلْيُغَيِّرْهُ**)): الفاءُ وَاقعةٌ في جوابِ الشرطِ، وَ(**اللامُ**) لامُ الأمرِ، وَالأمرُ يَقْتَضِي الوُجُوبَ لِعَدَمِ وُجُودِ صارِفٍ يَصْرِفُهُ عَن الوجوبِ.

((**يُغَيِّرْهُ**))؛ أيْ: يُحَوِّلْهُ وَيُبَدِّلْهُ مِنْ صُورَتِهِ التي هوَ عليها إلى صورةٍ أُخْرَى حَسَنَةٍ، وَالقصدُ تَغْيِيرُ تَرْكِ الأمرِ إلى فِعْلِهِ، وَفِعْلِ النهيِ إلى تَرْكِهِ، وَهكذا. وَالتغييرُ إِصلاحٌ وَحِفْظٌ وَأَمْنٌ وَثوابٌ وَطاعةٌ.

(2) ((**بِيَدِهِ**)): اليدُ تُطْلَقُ على الجارحةِ وَيُرَادُ بها اليُمْنَى وَاليُسْرَى، وَهيَ مِنْ رُؤُوسِ الأصابعِ إلى الكَتِفِ، وَخُصَّتْ؛ لأنَّها قُوَّةُ الإِنسانِ في الأخذِ وَالعطاءِ وَالكفِّ

وَالمدَافَعَةِ، وَجَسَدٌ بلا يَدٍ كَخَشَبَةٍ مُتَحَرِّكَةٍ، وَإِنْكَارُ المنْكَرِ باليدِ مِنْ قِبَلِ وَلِيِّ الأمرِ صَاحِبِ السُّلْطَةِ

لِقُوَّتِهِ وَهَيْبَتِهِ، وَالأبِ على أَوْلادِهِ، وَالسَّيِّدِ على عَبْدِهِ، وَهذا الإِنكارُ هوَ أَقْوَى دَرَجَاتِ الإِنكارِ؛ لأَنَّهُ إِزالةٌ للمُنْكَرِ بالكُلِّيَّةِ وَزَجْرٌ عنهُ.

ولا يَكُونُ هذا التَّغْيِيرُ مِمَّنْ لا يَمْلُكُ سُلْطَةً؛لِتَرَتُّبِ المفاسدِ العظيمةِ على ذلكَ؛ إِذْ قدْ يُنْكِرُ مُنْكَراً فَيَقَعُ فيما هوَ أَنْكَرُ، وَليسَ ذلكَ مِن الحكمةِ.

وَقدْ عُلِّقَ الإِنكارُ باليدِ على الاستطاعةِ، وَهذهِ الدرجةُ الأُولَى لِوَلِيِّ الأمرِ في الولايَةِ العامَّةِ وَالخاصَّةِ.

(3) ((**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ**)): هذهِ الدرجةُ الثانيَةُ مِنْ دَرَجَاتِ تَغْيِيرِ المنكرِ، وَهوَ التغييرُ باللسانِ عندَ مَنْ لا يَمْلِكُ سُلْطَةً، وَهذا التغييرُ بالقولِ مِنْ تَذْكِيرٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ، وَهوَ في مَقْدُورِ أهلِ العلمِ الذينَ همْ أَئِمَّةُ العقولِ وَالأفكارِ، وَلا يُعْذَرُ عنهُ إِلاَّ مَنْ لا يَمْلِكُ القُدْرَةَ الكلاميَّةَ، أَوْ لا يَسْتَطِيعُ التَّغْيِيرَ لوجودِ موانعَ تَمْنَعُهُ، وَحاجَةُ الناسِ لِهَذِهِ المرْتَبَةِ شَدِيدَةٌ جِدًّا؛ لكثرةِ الأخطاءِ، وَوُجُودِ الغَفْلَةِ وَقَسْوَةِ القُلُوبِ وَكَثْرَةِ الفِتَنِ وَانْغِمَاسِ الناسِ في الدنيا وَنِسْيَانِ الآخرةِ.

(4) ((**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ**)): هذهِ الدرجةُ الثالثةُ لِتَغْيِيرِ المنْكَرِ، وَهيَ وَاجبةٌ على الجميعِ؛ إِذْ هيَ تَغْيِيرٌ دَاخِلِيٌّ لا يَتَعَدَّى صَاحِبَهَا، وَهيَ تَأَلُّمُ القلبِ لهذا المنكرِ وَكَرَاهِيَتُهُ لهُ وَلأهلِهِ وَتَمَنِّي زِوَالِهِ وَالدُّعاءُ لِصَاحِبِهِ بالسلامةِ منهُ، وَهذهِ أَضْعَفُ درجةٍ؛ إِذْ لَيْسَ بَعْدَهَا شَيْءٌ مِن الإِيمانِ.

(5) ((**وذلكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ**)): سُمِّيَت الدرجةُ الثالثةُ ضَعْفاً؛ لأَنَّ كَتْمَ الإِنكارِ وَعَدَمَ إِظْهَارِهِ يَدُلُّ على الضعفِ وَعَدَمِ وُجُودِ الغَيْرَةِ، وَالكراهيَةُ لهذا المنْكَرِ يَدُلُّ على الإِيمانِ.

وَنَجِدُ مَرَاحِلَ الدعوةِ قدْ مَرَّتْ بهذهِ المراحلِ، فقدْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَالدعوةُ سِرِّيَّةٌ، ثمَّ بِلِسَانِهِ وَالدعوةُ جَهْرِيَّةٌ بِمَكَّةَ، ثمَّ بِيَدِهِ وَالدعوةُ جَهْرِيَّةٌ في المدينةِ.

الحَدِيث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لاَ تَحَاسَدوا، وَلاَتَنَاجَشوا، وَلاَ تَبَاغَضوا، وَلاَ تَدَابَروا، وَلاَ يَبِع بَعضُكُم عَلَى بَيعِ بَعضٍ، وَكونوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانَاً، المُسلِمُ أَخو المُسلم، لاَ يَظلِمهُ، وَلاَ يَخذُلُهُ، وَلا يكْذِبُهُ، وَلايَحْقِرُهُ، التَّقوَى هَاهُنَا – وَيُشيرُ إِلَى صَدرِهِ ثَلاَثَ مَراتٍ – بِحَسْبِ امرىء مِن الشَّرأَن يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسلِمَ، كُلُّ المُسِلمِ عَلَى المُسلِمِ حَرَام دَمُهُ وَمَالُه وَعِرضُه) (1)

موضوعُ الحديثِ: الأخلاقُ الإسلاميَّةُ وَحُقُوقُ المسْلِمِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

الحديثُ ذو نفعٍ عظيمٍ وفوائدَ كثيرةٍ، أمرَ بالأخوَّةِ ووضعَ بعضَ أسسِهَا، وحذَّرَ ممَّا يقضي عليها مَن حسدٍ، وخداعٍ، وتباغضٍ، وتدابرٍ، واحتقارِ الآخرينَ، وغيرِها مَن الآفاتِ الَّتي تَقضِي علَى الأخوَّةِ والمحبَّةِ.

كما دلَّ علَى حرمةِ مالِ وعرضِ ونفسِ المسلمِ، وهذه الثَّلاثَةُ لا يقومُ مجتمعٌ آمنٌ إلاَّ بِحِفْظِهَا.

الشَّرحُ :

((**لا تَحَاسَدُوا**)): أَصْلُهَا لا تَتَحَاسَدُوا، فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّائَيْنِ تَخْفِيفاً.

---

(1) رَوَاهُ مسلم

وَالحَسَدُ: هوَ تَمَنِّي زَوَالِ النعمةِ عَن الغيرِ، وَهوَ خُلُقٌ ذَمِيمٌ اتَّصَفَ بهِ الشيطانُ وَابنُ آدَمَ وَاليهودُ وَالمنافقونَ، وَسَبَبُهُ الغضبُ وَالحقدُ، وَضَرَرُهُ على صَاحِبِهِ أَشَدُّ مِنْ ضَرَرِهِ على الغيرِ، وَعَوَاقِبُهُ وَخِيمَةٌ؛ فهوَ إِسَاءَةُ أَدَبٍ معَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَرَضٌ للقلبِ، وَاعتراضٌ على قضاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَعَدَمُ الرِّضَا بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ وَقَدَّرَهُ، وَالإِصابةُ بداءِ الأُمَمِ، وَعَدَمُ أداءِ حقوقِ المسلمِينَ.

وَمنهُ المِحْمُودُ، وَهوَ الغِبْطَةُ: وَهيَ تَمَنِّي أَنْ يَكُونَ لهُ مِثْلُ مَا لأَخِيهِ مِنْ غيرِ تَمَنِّي زَوَالِهَا عَنْ أَخِيهِ.

((**ولا تَنَاجَشُوا**)): النَّجْشُ هوَ الزيادةُ، وَالمرادُ: الزيادةُ في البيعِ لا مِنْ أَجْلِ الشراءِ، لكنْ مِنْ أجلِ نَفْعِ البائعِ وَالإِضرارِ بالمشْتَرِي.فهو أن تُعرضَ السِّلعةُ في السُّوقِ فيزيدُ في سعرِهَا مَن لا يُريدُ شراءَهَا، وإِنَّمَا قَصدَ بذلك نفعَ البائعِ وضرَّ المشترِي بزيادةِ الثَّمنِ، وهذا حرامٌ. وَهذا لا يَجُوزُ؛ لأَنَّهُ مِن الضررِ المَنْهِيِّ عنهُ. ثَبَتَ في (الصَّحيحين): أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّجشِ. قالَ ابنُ أبي أَوْفَى: النَّاجِشُ: آكلُ ربًا خائنٌ. وقالَ ابنُ عبدِ البرِّ: أَجْمَعُوا علَى أنَّ فاعلَهُ عاصٍ للهِ. واخْتَلَفُوا في حكمِ البيعِ، فمنهُمْ مَن قالَ بفسادِهِ.

ومنهم مَنْ قالَ بصحَّةِ البيعِ، وهذا ما عليهِ أكثرُ الفقهاءِ، كأبي حنيفةَ، ومالكٍ، والشَّافعيِّ، وأحمدَ في روايَةٍ عنه.

وَقِيلَ: المرادُ الخِدَاعُ في جميعِ المعاملاتِ مِنْ غِشٍّ وَاحْتِيَالٍ وَغَيْرِهَا. أي لا تَخْدَعُوا بعضَكم، ولا يَخْتَلْ بعضُكُم بعضًا بالمكرِ والاحتيالِ. وهذا الفهمُ تَشهدُ له نصوصٌ أُخرَى، منها قولُهُ: ((**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**)).وَفي النَّهْيِ حِمَايَةٌ للأنفسِ وَحمايَةٌ للأموالِ وَحمايَةٌ للغيرِ. وقولُهُ عزَّ وجلَّ:**{وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ}**.

فمَن مكرَ بإخوانِهِ فعاقبةُ مكرِهِ وخداعِهِ سوفَ تنزلُ به، وممَّا قيلَ قديمًا: (مَن حفرَ لأخيهِ حفرةً وقعَ فيها).

((**ولا تَبَاغَضُوا**)): أيْ لا تَتَعَاطَوْا أَسْبَابَ التَّبَاغُضِ فَيُبْغِضَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، بلْ يُحِبُّهُ.

قَالَ تَعَالَى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** (1)وَالشيطانُ يَسْعَى إِلى تَبْغِيضِ بَعْضِهِمْ إِلى بعضٍ، قَالَ تَعَالَى: **{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}**(2) وَقدْ يَئِسَ أنْ يَعْبُدَهُ الناسُ في جزيرةِ العَرَبِ، وَلكنْ في التَّحْرِيشِ بينَهُم. وَقدْ أَلَّفَ الإِسلامُ بينَ القلوبِ حتَّى أَصْبَحَ المؤمنونَ إِخْوَةً يُحِبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيُؤْثِرُهُ على نَفْسِهِ كَمَا حَصَلَ بينَ المهاجرينَ وَالأنصارِ وَغيرِهِم.

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّبَاغُضِ:

النَّمِيمَةُ بينَ الناسِ وَالسُّخْرِيَةُ وَالتَّنَابُزُ بالألقابِ وَغيرُهَا.

((**ولا تَدَابَرُوا**)): **التَّدَابُرُ**: هوَ التَّهَاجُرُ وَالتَّقَاطُعُ، وَمعناهُ: أيْ لا يُوَلِّي أَحَدُكُم الآخرَ دُبُرَهُ مِنْ إِعْرَاضِهِ عنهُ وَكراهِيَتِهِ لهُ مِنْ أجلِ دُنْيَا وَعَرَضٍ زَائِلٍ، وَيُقَاطِعُهُ وَيَهْجُرُهُ، وَالتَّدَابُرُ مُحَرَّمٌ، وَسَبَبٌ في رَفْعِ الخيرِ، وَحِرْمَانٌ مِنْ عَرْضِ العملِ على اللَّهِ تَعَالَى. **قالَ** ﷺ: ((**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**)).

وَالهَجْرُ صِفَةُ أهلِ النارِ؛ لأنَّهُم في جَهَنَّمَ يَتَخَاصَمُونَ، كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا، وَإِنَّمَا يَأْلَفُهُ وَيُوَاجِهُهُ وَيُقَابِلُهُ، وَهذهِ صفةُ أهلِ الجَنَّةِ، على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.

---

(1) الحُجُرَات: 10

(2) المائدة: 91

أمَّا الهجرانُ مِن أجلِ الدِّينِ فيجوزُ أكثرَ مِن ثلاثةِ أيَّامٍ، نصَّ عليهِ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، والحجَّةُ في ذلك قصَّةُ الثَّلاثةِ الَّذينَ خُلِّفُوا وهم: كعبُ بنُ مالكٍ، وهلالُ بنُ أميَةَ، ومُرارةُ بنُ الرَّبيعِ العُمَرِيُّ.

وهجرَ رسولُ اللهِ ﷺنساءَهُ شهرًا.

وذكرَ الْخَطَّابِيُّ أنَّ هجرانَ الوالدِ لولدِهِ والزَّوجِ لزوجتِهِ، وما كان في معنَى ذلك تأديبًا تجوزُ الزِّيادةُ فيهِ علَى الثَّلاثَةِ أيَّامٍ.

(1) ((**ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**)): أيْ لا يَبِيعُ سِلْعَةً بَاعَهَا أَخُوهُ المسْلِمُ فَيَجْعَلَ المشْتَرِيَ يَتْرُكُ السلعةَ الأُولَى، وَيَجْعَلَ البائعَ يَبْغَضُ المشْتَرِيَ لِعَدَمِ الْتِزَامِهِ بالبيعِ، وَيَبْغَضُ مَنْ دَخَلَ في العقدِ، فَيَقُولُ: أَبِيعُكَ سِلْعَةً أَحْسَنَ مِنْ هذهِ السلعةِ أَوْ أَرْخَصَ منها، فَيَكُونُ في ذلكَ تَعَدٍّ على حقِّ الغيرِ وَزَرْعٌ للأحقادِ، وَهذا لا يَجُوزُ. قالَ النَّوويُّ في شرحِهِ للحديثِ: أنْ يَبيعَ أحدُ النَّاسِ سلعةً مِن السِّلَعِ بشرطِ الخيارِ للمشترِي، فيجيءُ آخرُ يَعْرِضُ علَى هذا أن يَفسخَ العقدَ ليَبيعَهُ مثلَ ما اشتراهُ بثَمنٍ أقلَّ.

(2) ((**وكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً**)): أَمَرَ بأنْ يَلْتَزِمَ الإنسانُ العبوديَّةَ للَّهِ تَعَالَى. وَمِنْ مُقْتَضَيَاتِهَا أنْ يَعْرِفَ حقَّ الأُخُوَّةِ في اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}(1)وَقالَ ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ...)) الحديثَ.

وَقالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا...)) الحديثَ.

(1) الحُجُرات: 10

((**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**)): هذهِ أُخُوَّةُ الدِّينِ، وَهيَ أَقْوَى العُرَى وَأَعْظَمُ الروابطِ؛ لِدَوَامِهَا وَمَتَانَتِهَا وَقُوَّتِهَا. وَأُخُوَّةُ الدينِ أَقْوَى مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ؛ لأنَّها تَرْبِطُهُمْ بِرَبٍّ وَاحدٍ، وَبِدِينٍ وَاحدٍ، وَبِنَبِيٍّ وَاحدٍ، وَبِطَرِيقٍ وَاحدٍ، وَبِكِتَابٍ وَاحدٍ، وَهيَ أُخُوَّةُ القلوبِ وَقُوَّةُ المسلمينَ، وَالأُخُوَّةُ الدائمةُ بها يَنَالُ الإِنسانُ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمانِ وَطَعْمَ الإِيمانِ وَكمالَ الإِيمانِ وَحلاوةَ الإِيمانِ، أَهْلُهَا وُجُوهُهُمْ يومَ القيامةِ نُورٌ، وَعلى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يُظِلُّهُم اللَّهُ في ظِلِّهِ وَيُحِبُّهُمْ، وَيَعِيشُونَ الحياةَ الطَّيِّبَةَ وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

وَهكذا كانَ الصحابةُ، فقدْ قَالَ مُصْعَبٌ لأخِيهِ عُزَيْزٍ في بَدْرٍ وَهوَ أَسِيرٌ معَ أَحَدِ المسْلِمِينَ، وَقدْ ذَكَّرَهُ بِأُخُوَّتِهِ: (اخْسَأْ لَسْتَ أَخِي، أَخِي هُوَ الَّذِي يَقُودُكَ).

((**لا يَظْلِمُهُ**)): مَضَى معنَى الظُّلْمِ في حديثِ أبي ذَرٍّ: ((**فَلا تَظَالَمُوا**)).

((**ولا يَخْذُلُهُ**)): أيْ لا يَتْرُكُ نَصْرَهُ، بلْ يَنْصُرُهُ، وَيُدَافِعُ عنهُ، وَيَأْخُذُ لهُ حَقَّهُ، وَيُعْطِيهِ حَقَّهُ المطْلُوبَ لهُ. وَنَصْرُ المظْلُومِ وَاجِبٌ، وَفي الحديثِ: ((**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً**))، وَفي الآخَرِ: ((**وَمَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ المُسْلِمِ كَانَ حِجَاباً لَهُ مِنَ النَّارِ**)).

((**ولا يَكْذِبُهُ**)): أيْ لا يَكْذِبُ عَلَيْهِ وَلوْ مَازِحاً وَيُضَيِّعُ حَقَّهُ بالكَذِبِ.

وَالكذبُ: الإِتيانُ بما يُخَالِفُ الواقعَ، وَهوَ صفةٌ ذميمةٌ اتَّصَفَ بها أَرَاذِلُ الخَلْقِ مِن الشياطينِ وَاليهودِ وَالنَّصَارَى وَالكَفَرَةِ وَالملْحِدِينَ وَالمنَافِقِينَ، وَهوَ يَهْدِي إِلى الفجورِ، وَالفجورُ يَهْدِي إِلى النارِ، وَالمؤْمِنُ لا يَكْذِبُ.

((**ولا يَحْقِرُهُ**)): أيْ لا يَهْضِمُهُ حَقَّهُ، وَلا يَسْخَرُ بهِ، وَلا يَسْتَهْزِأُ بهِ، وَلا يَعِيبُهُ، وَلا يَسْتَصْغِرُ شَأْنَهُ وَيَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ؛ فإِنَّ أَكْرَمَ العِبَادِ التَّقِيُّ، ((**وَرُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ**))، وَالموَازِينُ بالتَّقْوَى.

(3) ((**التَّقْوَى هَا هُنَا**)): فيهِ فَضْلُ التَّقْوَى، وَأَهَمِّيَّةُ وُجُودِهَا في القلبِ، فهيَ خيرُ لِبَاسٍ وَخَيْرُ زَادٍ، وَأَشَارَ إِلى صَدْرِهِ؛ لأنَّ القلبَ في الصدرِ، وَإِذا صَلَحَ القلبُ صَلَحَ البدنُ، وَوُجُودُ التَّقْوَى في القلبِ وُجُودٌ في البدنِ كُلِّهِ.

((**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشرِّ**)): أيْ يَكْفِيهِ مِن الشَّرِّ.

((**حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**)): دَمُهُ حَرَامٌ، فلا يَجُوزُ سَفْكُ دَمِهِ، وَلوْ سَفَكَهُ لَعُوقِبَ.

وَحَرَامٌ مَالُهُ، وَلوْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقُطِعَتْ يَدُهُ أَوْ لَرُبَّمَا قُتِلَ عندَ قَطْعِ الطريقِ.

وَحَرَامٌ العِرْضُ، وَلو انْتَهَكَ عِرْضَهُ لَقُتِلَ حَدًّا إِنْ كانَ مُحْصَناً، أَوْ جَلْداً إِنْ لمْ يَكُنْ مُحْصَناً، وَحُكْمُهُ حَدًّا القَذْفُ. وَ(**العِرْضُ**): مَكَانُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِن الإِنسانِ.

الْحَدِيث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيرَة رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺقَالَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِن كُربَةً مِن كُرَبِ الدُّنيَا نَفَّسَ اللهُ عَنهُ كُربَةً مِنْ كرَبِ يوم القيامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعسرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ في الدُّنيَا والآخِرَة، وَمَنْ سَتَرَ مُسلِمَاً سَتَرَهُ الله في الدُّنيَا وَالآخِرَة، وَاللهُ في عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ في عَونِ أخيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَاً يَلتَمِسُ فيهِ عِلمَاً سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَرِيقَاً إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِنْ بيوتِ اللهِ يَتلونَ كِتابِ اللهِ وَيتَدارَسونهَ بَينَهُم إِلا نَزَلَت عَلَيهُم السَّكينَة وَغَشيَتهم الرَّحمَة وحَفَتهُمُ المَلائِكة وَذَكَرهُم اللهُ فيمَن عِندَهُ،وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ(1))

موضوعُ الحديثِ:

فَضْلُ قَضَاءِ حوائجِ المسلمينَ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ النَّوويُّ: (وهو حديثٌ عظيمٌ، جامعٌ لأنواعٍ مِن العلومِ والقواعدِ والأدبِ) اهـ.

فرغَّبَ في حقوقِ أخوَّةِ الإسلامِ، وفي طلبِ العلمِ، وفي الاهتمامِ بدُستورِ السَّماءِ، مِن حيثُ: قراءَتُهُ، وفهمُهُ، والعملُ به، وتبليغُهُ للنَّاسِ.

---

(1) رواه مسلم بهذا اللفظ

الشَّرحُ :

(1) ((**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً**)): **التَّنْفِيسُ**: هوَ الإزالةُ وَالتخفيفُ عَن النفسِ، مَأْخُوذٌ مِنْ تَنْفِيسِ الخِنَاقِ، كأنَّهُ يُرْخِي لهُ الخِنَاقَ حتَّى يَأْخُذَ نَفَساً.

((**عَنْ مُؤْمِنٍ**)): أيْ عَنْ صاحبِ إيمانٍ بِأَرْكَانِ الإسلامِ وَالإيمانِ، وَقائِمٍ بالدِّينِ كُلِّهِ. ((**كُرْبَةً**)): أيْ: شِدَّةً عَظِيمَةً تُوقِعُ صَاحِبَهَا في كَرْبٍ، كَأَنْ يكونَ مَهْمُوماً أَوْ مَغْمُوماً مِنْ أَمْرٍ فَيُنَفِّسُهُ عَلَيْهِ. وَفِي هذا: الجزاءُ مِنْ جِنْسِ العملِ.

((**نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)): أيْ أَزَالَ عنهُ شِدَّةً مِنْ شَدَائِدِ يومِ القيامةِ العظيمةِ؛ كَتَخْفِيفِ التَّضْيِيقِ في القبرِ أَوْ تَخْفِيفِ الحسابِ عَلَيْهِ أَوْ غيرِ ذلكَ.

وَقالَ: ((**مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ**)): وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ كُرَبِ الدُّنيا وَالآخرةِ؛ لأنَّ الكُرَبَ هيَ الشدائدُ، وَأَغْلَبُ ما تَكُونُ في الآخرةِ، وَقدْ لا تَكُونُ في الدُّنيا على جميعِ الناسِ، بلْ لَرُبَّمَا على البعضِ. وَكُرَبُ الدُّنْيَا للآخرةِ كَلا شَيْءٍ، فَادُّخِرَتْ لهُ.

(2) ((**ومَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ**)): يَسَّرَ بِمَعْنَى مَدَّ لهُ في الأَجَلِ، أَوْ عَفَا عنهُ، أَوْ قَضَى دَيْنَهُ، أَوْ طَلَبَ مِنْ غَرِيمِهِ مُسَامَحَتَهُ.

وَالمُعْسِرُ: هو مَن كثرَتْ ديونُهُ وأَثْقَلَتْهُ، بحيثُ لا يَستطيعُ سدادَهَا.

قَالَ تَعَالَى: **{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسِرَةٍ}**(1)

وَفِي الحديثِ: ((**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**)).

---

(1) البقرة: 280.

وَهذا التيسيرُ في الدُّنيا لِتَعَسُّرِ بعضِ أُمُورِ الدُّنيا، وَفي الآخرةِ؛ لأنَّ يومَ القيامةِ سُمِّيَ يَوْماً عَسِيراً.

(3) ((**ومَنْ سَتَرَ مُسْلِماً**)): أيْ غَطَّى عُيُوبَهُ وَدَافَعَ عنهُ لعلمِهِ أنَّ كلَّ إنسانٍ بِعُيُوبٍ، وَأَنَّ سَتْرَ العَوْرَاتِ وَاجِبٌ، فَجَزَاؤُهُ سَتْرُ اللَّهِ لهُ في الدُّنيا بعدَ اطِّلاعِ الناسِ على عُيُوبِهِ، وَفي الآخرةِ بالعَفْوِ عنهُ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ.

وَالناسُ في السترِ قِسْمَانِ:

1-مَنْ كانَ مَسْتُوراً لا يُعْرَفُ بشيءٍ مِن المعَاصِي، فإذا وَقَعَتْ منهُ هَفْوَةٌ أَوْ زَلَّةٌ فإنَّهُ لا يَجُوزُ كَشْفُهَا وَلا هَتْكُهَا مِنْ بابِ (إقَالَةِ ذَوِي الهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ).

2- مَنْ كانَ مُشْتَهِراً بالمعَاصِي مُجَاهِراً بها، فلا يُسْتَرُ بلْ يُحَذَّرُ مِنْ شَرِّهِ.

((**واللَّهُ في عَوْنِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أَخِيهِ**)): أيْ إعَانَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ لقضاءِ شُؤُونِهِ النافعةِ. فاللَّهُ يُعِينُ العبدَ الذي يَسْعَى في إعانةِ إخوانِهِ وَيُعَوِّضُهُ عَمَّا أَنْفَقَ.

وَقدْ كانَ أبو بكرٍ يَجْلِسُ إلى امرأةٍ عَجُوزٍ يَخْدُمُهَا، وَعُمَرُ يَتَفَقَّدُ أحوالَ الناسِ، وَأبو الحارسِ الأُولاسِيُّ خَدَمَ فَقِيراً فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَقالَ عامِرٌ التَّمِيمِيُّ لأَصْحَابِهِ: (أُسَافِرُ مَعَكُمْ لِخِدْمَتِكُمْ).

(4) ((**ومَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فيهِ عِلْماً**)): (**سَلَكَ**)؛ أيْ: مَشَى أَوْ أَخَذَ بالأسبابِ، ((يَلْتَمِسُ))؛ أيْ: يَطْلُبُ. وَفي هذا الحثُّ على مُدَاوَمَةِ التَّرَدُّدِ على مجالسِ العلمِ وَالمشْيِ إليها وَالرغبةِ فيها. وَيَدْخُلُ في ذلكَ المشْيُ على الأقدامِ وَالحفظُ لها وَالمذاكرةُ وَالكتابةُ وَنحوُ ذلكَ مِن الطُّرُقِ المعنويَّةِ.

((**سَهَّلَ اللَّهُ لهُ بهِ طَرِيقاً الى الجنَّةِ**)): أيْ أَوْصَلَهُ بهذا العلمِ النافعِ إلى الجنَّةِ، وَذلكَ لِسَعْيِهِ إلى رِضْوانِ اللَّهِ، وَحِفْظِ وَقْتِهِ وَحَيَاتِهِ، وَدعوةِ الناسِ وَدلالتِهِم على

الخيرِ، وَهدايتِهِم إِلى الصراطِ الذي يُوصِلُ للجنَّةِ، وَلأنَّهُ لا يُذْكَرُ في مجالسِ العلمِ إلاَّ الآخرةُ.

(5) ((**وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ...**)): هذهِ كَرَامَاتُ أَهْلِ الذِّكْرِ الذينَ يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ وَيَبْذُلُونَ لهُ النَّفْسَ وَالوقتَ وَالمالَ، يُكْرَمُونَ بِكَرَامَاتٍ، الواحدةُ منها خَيْرٌ مِن الدُّنيا وَما عَلَيْهَا. فالرحمةُ لِمَنْعِ العذابِ وَالسلامةِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَالسكينةُ للثباتِ وَالسلامةِ مِن الانحرافِ، وَحُفُوفُ الملائكةِ للولايَةِ في الدُّنيا وَالآخرةِ، وَالتكريمُ وَالذِّكْرُ عندَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَفْعِ الدرجاتِ وَمَغْفِرَةِ الذَّنْبِ؛ لأنَّ مجَالِسَهُم مِنْ أَجْلِ ذلكَ.

(6) ((**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**)): مَعْنَاهُ أنَّ العملَ هوَ الذي يَبْلُغُ بالعبدِ دَرَجَاتِ الآخرةِ وَليسَ النَّسَبَ، قَالَ تَعَالَى: **{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا}**(1) قالَ النَّوويُّ رحمةُ اللهِ عليهِ: مَن كانَ عملُهُ ناقصًا لم يُلْحِقْهُ بِمَرْتَبَةِ أصحابِ الأعمالِ فيَنْبَغِي ألا يَتَّكلَ علَى شَرَفِ النَّسبِ وفضيلةِ الآباءِ، ويُقَصِّرَ في العملِ.

فَالموَازِينُ بالتَّقْوَى وَليستْ بالنَّسَبِ.

وَرَجُلٌ انْتَسَبَ إِلى تسعةٍ وَهوَ عَاشِرُهُمْ دَخَلَ النارَ، وَرَجُلٌ انْتَسَبَ إِلى وَاحدٍ وَإِلى الإِسلامِ دَخَلَ الجَنَّةَ.

(1) الأنعام: 132

الحَدِيث السابع والثلاثون

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النبي ﷺفِيْمَا يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً،وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيْرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً،وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) (1)

موضوعُ الحديثِ: أهَمِّيَّةُ الحسناتِ وَمَكَانَتُهَا.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ الشُّرَّاحُ لهذا الحديثِ:

هذا حديثٌ شريفٌ عظيمٌ، بيَّنَ فيهِ النَّبيُّ ﷺمِقدارَ تَفَضُّلِ اللهِ عزَّ وجلَّ علَى خلقِهِ.

وفيهِ مِن التَّرغيبِ العظيمِ في فضلِ اللهِ العميمِ ورحمتِهِ الواسعةِ الَّتِي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ، كما أنَّهُ يبعثُ في نفوسِ المكلَّفينَ الأملَ المشرقَ، ويدفعُهَا للعملِ الصَّالحِ وكسبِ الثَّوابِ الَّذي فيهِ النَّجاةُ في الآخرةِ والسَّعادةُ في الدُّنيَا، فما أجودَهُ مِن حديثٍ لترغيبِ القانطينَ مِن رحمةِ اللهِ.

---

(1) رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ في صَحِيْحَيهِمَا بِهَذِهِ الحُرُوْفِ.

الشَّرحُ :

((**فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ**)): هذا حديثٌ قُدُسِيٌّ، وَقدْ مَضَى تَعْرِيفُهُ وَالفَرْقُ بينَهُ وَبينَ القرآنِ.

(1) ((**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**)): الكِتَابَةُ بِمَعْنَى التَّدْوِينِ وَالإِحصاءِ، وَالمرادُ أنَّها مَكْتُوبَةٌ على العبدِ في الأَزَلِ، وَمُدَوَّنَةٌ عَلَيْهِ مِن العملِ يَكْتُبُهَا الملائكةُ عندَ فِعْلِهَا بِأَمْرِ رَبِّهِمْ تَعَالَى. قالَ: الطُّوفِيُّ: أيْ أَمَرَ الحَفَظَةَ أن تَكتبَ، أو المرادُ: قدَّرَ ذلكَ في عِلْمِهِ علَى وَفقِ الواقعِ منها. وقالَ غيرُهُ: المرادُ: قدَّرَ ذلك وعرَّفَ الكتبَةَ مِن الملائكةِ ذلك التَّقديرَ، فلا يَحتاجُ إلَى استفسارٍ في كلِّ وقتٍ عن كيفيَّةِ الكتابةِ لكونِهِ أمرًا مَفروغًا منهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ}(1) **وَقَالَ تَعَالَى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**(2)

وَ ((**الْحَسَنَاتُ**)): جَمْعُ حَسَنَةٍ، وَهيَ كلُّ طاعةٍ تُرْضِي اللَّهَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا، فهيَ حسنةٌ في ذَاتِهَا وَحَسَنَةٌ في فِعْلِهَا، يَكْتَسِبُ صَاحِبُهَا الحُسْنَ وَالجمالَ وَالبهاءَ بها.

وَلذا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: (إنَ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ...) بلْ وَأَهْلُ الجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا على صُورَةِ القمرِ ليلةَ البدرِ. وَللحسناتِ مَلَكٌ مِنْ على اليمينِ يَكْتُبُهَا.

وَ ((**السَّيِّئَاتُ**)): جمعُ سَيِّئَةٍ، وَهيَ كلُّ مَعْصِيَةٍ تُغْضِبُ الربَّ وَيُعَاقِبُ عليها، فهيَ سَيِّئَةٌ في ذَاتِهَا وَسيِّئَةٌ في فِعْلِهَا، يَكْتَسِبُ بها صَاحِبُهَا السُّوءَ وَالظُّلْمَةَ.

---

(1) الانفطار: 10، 11

(2) ق: 18

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (إِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَاداً في الوَجْهِ...) وَللسَّيِّئَاتِ مَلَكٌ مِنْ على الشمالِ يَكْتُبُهَا. وَمَلَكُ اليمينِ أَمِيرٌ عَلَيْهِ يَنْتَظِرُ سِتَّ سَاعَاتٍ ثمَّ يَكْتُبُهَا.

((**ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ**)): أيْ بَيَّنَ كيفيَّةَ الكتابةِ لهذهِ الأعمالِ الحسنةِ وَالسيِّئَةِ.

(2) ((**فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عندَهُ حَسَنَةً كاملةً**)): شَرَعَ في بيانِ الكتابةِ.

والهمُّ : هوَ الإرادةُ وَالقصدُ وَتَرْجِيحُ الفعلِ، وَهوَ فوقَ الخاطرِ وَالهَاجِسِ.وَيَدْخُلُ فيهِ حديثُ النفسِ، وَهوَ ما يَتَرَدَّدُ فيها. قالَ الطُّوفِيُّ: إنَّما كُتِبَتِ الحسنةُ بمجرَّدِ الإرادةِ؛ لأنَّ إرادةَ الخيرِ سببٌ إلَى العملِ، وإرادةَ الخيرِ خيرٌ؛ لأنَّ إرادةَ الخيرِ عملُ القلبِ.

وَقدْ قِيلَ بأنَّ أَفْعَالَ القلوبِ أَرْبَعَةٌ: الهاجِسُ، وَالخاطِرُ، وَلا يُعَاقَبُ الإنسانُ عَلَيْهِ وَلا يُؤْجَرُ عَلَيْهِ.

وَحَدِيثُ النفسِ: وَهوَ ما يَدُورُ في الصدرِ مِنْ غيرِ عَمَلٍ، وَيَدْخُلُ فيهِ الهَمُّ، بلْ قدْ يَكُونُ هوَ الهَمَّ بِذَاتِهِ، وَهذا يُثَابُ عَلَيْهِ وَلا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَالعَزْمُ وَالتَّصْمِيمُ وَهذا يُثَابُ على فِعْلِهِ وَيُعَاقَبُ كذلكَ، وَهوَ مِن الهَمِّ الجَازِمِ، وَحديثُ النفسِ مِن الهَمِّ المتَرَدِّدِ.

((**فَلَمْ يَعْمَلْهَا**)): أيْ مَنَعَهُ مِنْ عَمَلِهَا صَارِفٌ مِن الصَّوَارِفِ أَوْ عَارِضٌ مِن العوارضِ؛ كَمَنْ هَمَّ بِصَدَقَةٍ فَلَمْ يَجِدْ مَعَهُ دَرَاهِمَ وَكَانَ يَظُنُّ وُجُودَهَا، وَكَمَنْ هَمَّ بالذَّهابِ إلى مجالسِ ذِكْرٍ، فَمَرِضَ أَحَدُ أَهْلِهِ فَذَهَبَ بهم إلى المسْتَشْفَى، وَكَمَنْ عَزَمَ على قيامِ الليلِ، ثمَّ غَفَلَ عَنْ ذلكَ.

((**كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ**)): أيْ دُوِّنَتْ عندَ اللهِ في المَلأِ الأَعْلَى؛ لأنَّ كتابَ الأبرارِ في عِلِّيِّينَ.

((**حَسَنَةً كَامِلَةً**)): لا نَقْصَ فيها. وَقدْ كَرَّمَ اللَّهُ صَاحِبَ الحسنةِ بِكَرَامَتَيْنِ: كونُهَا كَامِلَةً، وَعندَ اللَّهِ تَعَالَى.

(3) ((**وإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ**)): أيْ إذا عَزَمَ وَصَمَّمَ على فِعْلِهَا، ثمَّ عَمِلَهَا على الوجهِ المشروعِ كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى لهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ.

وَذلكَ لقولِهِ تَعَالَى: {مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}(1) فَفِي عَمَلِ الحسنةِ مُضَاعَفَةُ الأجرِ الى عَشْرٍ، وَرَفْعُهَا إِلى اللَّهِ تَعَالَى إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ؛ أيْ: تُضَاعَفُ إِلى سبعِمائةِ ضِعْفٍ، وَالضِّعْفُ هوَ المِثْلُ، قَالَ تَعَالَى: **{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ...}** (2) **الآيَةَ وَ(سَبْعِمِائَةِ)** المرَادُ العَدَدُ المعْرُوفُ.

وَ(الضِّعْفُ)؛ أي: المِثْلُ؛ أيْ: أَنَّهُ مِثْلُ سَبْعِمِائَةٍ... وَإِلى زِيَادَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ تَعَالَى. وَأَكْثَرُ الأعمالِ ضِعْفاً الصدقةُ بِالآيَةِ وَحديثِ الناقَةِ المخْطُومَةِ، وَأَمَّا الصيامُ فلا يَعْلَمُ ثَوَابَهُ إِلاَّ اللَّهُ تَعَالَى، وَالصبرُ ثَوَابُهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(4) ((**وإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**)): أيْ وَإِنْ أَرَادَ فِعْلَ السيِّئَةِ وَمَنَعَهُ منها خَوْفُ اللَّهِ وَمُرَاقَبَتُهُ قَلَبَهَا اللَّهُ لهُ حسنةً كاملةً؛ لأنَّ هَمَّ السَّيِّئَةِ انْقَلَبَ إِلى حسنةٍ.

وَفِي بعضِ الرواياتِ: ((**إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي، أَوْ مِنْ جَرَّائِي**)). مِثْلُ قِصَّةِ الذي هَمَّ بِابْنَةِ عَمِّهِ بِسُوءٍ فَتَرَكَهَا للَّهِ، فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَفَرَّجَ هَمَّهُ، فَانْفَرَجَت الصَّخْرَةُ.

---

(1) الأنعام: 160

(2) البقرة: 261

(5) ((وإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)): أيْ إِنْ وَقَعَ في الإِثْمِ وَعَمِلَهُ فَعَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحدةٌ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا}(1)

والسيِّئَاتُ لا تُضَاعَفُ، وَلَكِنَّهَا تَعْظُمُ في البلدِ الحرامِ، وَهذا مِنْ رحمةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَلُطْفِهِ بهم، فَلَهُ الحمدُ وَالمِنَّةُ. وَالسَّيِّئَةُ لا تُرْفَعُ وَلا تُكْتَبُ كاملةً.

وأَسْبَابُ مُضَاعَفَةِ الأجرِ كَثِيرَةٌ، منها:

1 - شَرَفُ الزمانِ.

2 - شَرَفُ المكانِ.

3 - شَرَفُ العاملِ (كالصَّحَابَةِ وَهذهِ الأُمَّةِ).

4 - بِحَسَبِ الكَيْفِيَّةِ؛ كالخُشُوعِ.

5 - بِحَسَبِ الإِخلاصِ.

6 - شَرَفُ العملِ (فَرِيضَةٌ أَوْ نَافِلَةٌ).

7 - بِحَسَبِ الحالِ (حَالُ الغَفْلَةِ مِن الناسِ ليسَ كَحَالِ الإِقبالِ).

والأعمالُ أربعةُ أَقْسَامٍ:

1- عَمَلُ الحَسَنَاتِ، وَهذهِ مُضَاعفةٌ إِلى سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ إِلى أَضْعَافٍ كثيرةٍ.

2- عَمَلُ السَّيِّئَاتِ، وَهذهِ تُكْتَبُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً غَيْرَ مُضَاعَفَةٍ.

3- الهَمُّ بالحسنةِ، فَتُكْتَبُ حَسَنَةً كاملةً وَإِنْ لمْ يَفْعَلْهَا.

4- الهَمُّ بالسَّيِّئَةِ، وَلمْ يَعْمَلْهَا، فَتُكْتَبُ لهُ حَسَنَةً وَاحدةً.

---

(1) الأنعام: 160

الحَدِيث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيْ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. ولايَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِيْ بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِيْ لأُعِيْذَنَّهُ) (1)

موضوعُ الحديثِ: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الصَّادِقُونَ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ الشَّوكانيُّ: حديثُ: ((**مَن عادَى لي وليًّا**)) قد اشتملَ علَى فوائدَ كثيرةِ النَّفعِ، جليلةِ القدرِ، لمن فهمَهَا حقَّ فهمِهَا، وتدبَّرَهَا كما يَنْبَغِي.

وقالَ الطُّوفيُّ: (هذا الحديثُ أصلٌ في السُّلوكِ إلَى اللهِ تعالَى، والوصولِ إلَى معرفتِهِ ومحبَّتِهِ، وطريقةِ أداءِ المفروضاتِ الباطنةِ وهي: الإيمانُ، والظَّاهرةِ وهي: الإسلامُ، والْمُرَكَّبِ منهُمَا وهو: الإحسانُ، كما تَضمَّنَهُ حديثُ جبريلَ عليهِ السَّلامُ، والإحسانُ يَتضمَّنُ مَقاماتِ السَّالكينَ مِن الزُّهدِ والإخلاصِ والمراقَبةِ وغيرِهَا).

---

(1) رواه البُخَارِيّ

الشَّرحُ :

((**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ**)): حَدِيثٌ قُدُسِيٌّ كما مَضَى، مَعْنَاهُ مِن اللَّهِ تَعَالَى وَلَفْظُهُ مِن النبيِّ ﷺ.

(1) ((**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا**)): (**عَادَى**)؛ أيْ: آذَى وَأَبْغَضَ وَأَغْضَبَ بالقولِ أَوْ بالفعلِ.

وَالوَلِيُّ هوَ النَّصِيرُ وَالصَّدِيقُ وَالصاحبُ وَالسَّيِّدُ، وَوَلِيُّ اللَّهِ: هوَ نَصِيرُ دِينِهِ الذي يَعْمَلُ على نُصْرَتِهِ، وَهوَ صديقُ الطاعاتِ الذي لا يَصْبِرُ عنها، وَهوَ صَاحِبُ الاستقامةِ الدائمةِ، وَهوَ الذي سَادَ القلوبَ وَالمجتمعاتِ بانْقِيَادِهِ لأمرِ رَبِّهِ تَعَالَى.

وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى هُم الَّذِينَ اتَّصَفُوا بالصِّفَاتِ الآتيَةِ: (الإِيمانُ، التَّقْوَى، الحُبُّ في اللَّهِ وَالبُغْضُ في اللَّهِ، مُوَالاةُ الطَّاعَاتِ).

وَيَنْقَسِمُونَ إِلى قِسْمَيْنِ:

(1) **مُقْتَصِدُونَ** (2) **سَابِقُونَ**. كما في الحديثِ.

وَمِن الأولياءِ خَبَّابٌ وَقِصَّتُهُ معَ أُمِّ أَنْمَارٍ؛ حَيْثُ كَوَتْهُ بالنارِ فَصَبَرَ، ثمَّ دَعَا عَلَيْهَا خَوْفاً على دِينِهِ، فَأُصِيبَتْ بِصُدَاعٍ فِي رَأْسِهَا مَا كانَ يَهْدَأُ، إِلاَّ بَكَى خَبَّابٌ لَهَا.

(2) ((**فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحربِ**)): (**قدْ**) حَرْفُ تَحْقِيقٍ، وَالمعنى: أَيْ أَعْلَمْتُهُ أَنَّهُ مُحَارِبٌ لِي؛ لأنَّ حَرْبَهُ للوَلِيِّ حَرْبٌ للَّهِ تَعَالَى، وَلأنَّهُ إِنَّمَا حَارَبَهُ لصلاحِهِ وَتَقْوَاهُ أَوْ لإِشغالِهِ عَن الطاعةِ أَوْ لِدَعْوَتِهِ إِلى الانْحِرَافِ، فَيَكُونُ بذلكَ قدْ أَعْلَنَ الحربَ معَ اللَّهِ، وَلا شَكَّ أَنَّهُ خَاسِرٌ فيها لا مَحَالَةَ.

(3) ((**وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ**)): لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ مُعَادَاةَ أَوْلِيَائِهِ مُحَارَبَةٌ لهُ ذَكَرَ بَعْدَ ذلكَ وَصْفَ الذينَ تَحْرُمُ مُعَادَاتُهُمْ وَتَجِبُ مُوَالاتُهُمْ، فالقِسْمُ الأَوَّلُ مِن الأولياءِ، وَهُمُ المقْتَصِدُونَ على الفرائضِ.

وَفِي الْحَدِيثما يَدُلُّ على أنَّ الأعمالَ الصالحةَ مُقَرِّبَةٌ إلى اللَّهِ تَعَالَى كَالذِّكْرِ وَالصلاةِ وَالصومِ وَالزكاةِ. وَأَفْضَلُ القُرْبَةِ هوَ أَدَاءُ الفرائضِ؛ لأنَّها المطلوبةُ.

و ((افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ)): أيْ أَوْجَبْتُ عَلَيْهِ، وَأَلْزَمْتُهُ بها، فَلَيْسَ لهُ فيها خِيَارٌ، وَهيَ المقَدَّمَةُ على غَيْرِهَا. وَهذهِ الفرائضُ هيَ الأركانُ.

(4) ((ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ)): هذا القِسْمُ الثاني مِن الأولياءِ، وَهُمُ السَّابِقُونَ الذينَ أَدَّوا الفرائضَ وَزَادُوا النَّوَافِلَ.

وَقولُهُ: ((وَلا يَزَالُ))، يَدُلُّ على مُدَاوَمَةِ العملِ الصالحِ، وَثَمَرَاتُهُ اتِّصَالُ القلبِ باللَّهِ تَعَالَى، وَالسلامةُ مِن الغفلةِ، وَالقُرْبُ مِن اللَّهِ، وَنَيْلُ مَحَبَّةِ رَسُولِهِ، وَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ، وَالخاتمةُ الحَسَنَةُ، وَالنَّجَاةُ يومَ القيامةِ.

وَ((النَّوَافِلُ)) جمعُ نَافِلَةٍ، وَهيَ: الغَنِيمَةُ وَالعَطِيَّةُ وَالزِّيَادَةُ، وَالمرَادُ بها مَا زَادَ على الفرائضِ مِن العباداتِ، وَتَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ: رَوَاتِبَ، وَنَوَافِلَ.

وَالنَّوَافِلُ: مُطْلَقَةٌ، وَمُقَيَّدَةٌ.

وَالمقَيَّدَةُ: مُؤَكَّدَةٌ، وَغيرُ مُؤَكَّدَةٍ.

((حتَّى أُحِبَّهُ)): فيهِ إِثْبَاتُ صِفَةِ المحَبَّةِ للَّهِ تَعَالَى على الوجهِ اللائقِ بهِ، وَفيهِ أنَّ الأعمالَ الصالحةَ سَبَبٌ مِنْ أسبابِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى للعبدِ.

(5) ((فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بهِ...)): هذهِ ثَمَرَاتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى للعبدِ؛ أنْ يَمْلأَ قَلْبَهُ خَوْفاً منهُ وَمَهَابَةً لهُ، وَيَمْلأَ سَمْعَهُ بِذِكْرِهِ وَكِتَابِهِ، وَيَمْلأَ بَصَرَهُ بِآيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَالكَوْنِيَّةِ، وَيَمْلأَ يَدَهُ بالنفقةِ وَبَذْلِ المعروفِ وَمَنْعِ الأَذَى مِن الطريقِ، وَيَمْشِيَ بِقَدَمِهِ إلى أَمَاكِنِ الطاعاتِ، فهذا حِفْظٌ للعبدِ في جميعِ حَوَاسِّهِ وَجَوَارِحِهِ، وَتَسْخِيرُهَا في طاعتِهِ وَالعملُ بما يُرْضِيهِ، وَهذهِ الكَرَامَاتُ حِفْظٌ في العملِ.

(6) ((**وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ**)): ثَمَرَةٌ أُخْرَى غيرَ الحفظِ وَالتَّسْدِيدِ، وَهيَ إعطاءُ السؤالِ وَإجابةُ الدعاءِ، وَلا تَكُونُ هذهِ إلاَّ للأولياءِ عِبَادِ اللَّهِ الصالحِينَ الذينَ لَوْ أَقْسَمَ أَحَدُهُمْ على اللَّهِ لأَبَرَّهُ، وَالإنسانُ في حاجةٍ إلى إجابةِ الدعاءِ.

كَأَنَّ الحديثَ يُبَيِّنُ أنَّ دُعَاءَ الأولياءِ مُسْتَجَابٌ؛ لأنَّهُ جَاءَ بِصِيغَةِ القَسَمِ وَالتوكيدِ، وَهذا حِفْظٌ في الكلامِ.

(7) ((**وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**)): هَذِهِ ثَمَرَةٌ أُخْرَى وَهيَ إعَاذَتُهُ؛ أيْ: إذا طَلَبَ العَوْذَ وَالحِفْظَ مِمَّا يَخَافُ، وَالمعْنَى: لأَحْفَظَنَّهُ مِمَّا يَخَافُ، سَوَاءٌ كانَ مِن البشرِ أَوْ مِن الشياطينِ أَوْ مِن الدوابِّ أَوْ غَيْرِهَا، وَهذا حِفْظٌ في البَدَنِ.

الْحَدِيث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَال: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) (1)

موضوعُ الحديثِ :

موانعُ التَّكليفِ

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

قالَ النَّوويُّ: (وهذا الحديثُ اشتملَ علَى فوائدَ وأمورٍ مهمَّةٍ، لو جُمعَتْ بلغَتْ مُصَنَّفًا لا يحتملُهُ هذا الكتابُ).

وقالَ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ: (وهو عامُّ النَّفعِ؛ لوقوعِ الثَّلاثةِ في سائرِ أبوابِ الفقهِ، عظيمُ الوقعِ، يصلحُ أن يُسَمَّى نصفَ الشَّريعةِ؛ لأنَّ فعلَ الإنسانِ الشَّاملَ لقولِهِ:إمَّا أن يصدرَ عن قصدٍ واختيارٍ وهو العمدُ مع الذِّكْرِ اختيارًا.

الشَّرحُ :

((إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ)): أيْ عَفَا وَرَفَعَ وَلَمْ يُؤَاخِذْ، وَالمرَادُ أَنَّهُ غَفَرَ لهم وَعَفَا عَنْهُمْ. وَهذا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَمَنِّهِ؛ لِعِلْمِهِ بِضَعْفِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ وَنَقْصِهِمْ.

((لِي)): أيْ لأَجْلِي وَتَعْظِيمِ أَمْرِي وَرِفْعَةِ قَدْرِي، وَقدْ قَالَ تَعَالَى:{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}(2)

---

(1) حديث حسن رَوَاهُ ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

(2) الشرح:4

وَمِنْ رِفْعَةِ قَدْرِهِ الشفاعةُ العُظْمَى، وَهوَ أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لهُ بابُ الجَنَّةِ، وَأُعْطِيَ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ غَيْرُهُ، وَصَلَّى بالأنبياءِ، وَعُرِجَ بهِ إلى مكانٍ لَمْ يَصِلْ إليهِ مخلوقٌ غيرُهُ، وَخَصَائِصُهُ كَثِيرَةٌ.

(2) ((**أُمَّتِي**)) **الأُمَّةُ**؛ أي: الجماعةُ، وَهم جماعةُ الإجابةِ الذينَ سَمِعُوا الأمرَ فَقَامُوا بهِ، وَتَرَكُوا النَّهْيَ وَحَذِرُوا مِنْهُ وَاتَّبَعُوا الصِّرَاطَ المستقيمَ، وَكانَ لهم في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.

وَأُمَّةُ الإجابةِ أَفْضَلُ الأُمَمِ؛ إِذْ هيَ وَسَطٌ بينَ الأنبياءِ وَبينَ الأُمَمِ، وَهم عُدُولٌ، قَالَ تَعَالَى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}**(1)

(3) ((**الخَطَأُ**)): ضِدُّ العَمْدِ، وَهوَ أنْ يَفْعَلَ الشيءَ يَظُنُّ صَوَابَهُ فَيَتَبَيَّنُ ضِدُّ قَصْدِهِ، كَأَنْ يُرِيدَ قَتْلَ كَافِرٍ فَيَقْتُلَ مُسْلِماً، فهذا لا حَرَجَ لهُ عَلَيْهِ فيهِ، وَلكنْ يُؤَدِّي الدِّيَةَ وَالكَفَّارَةَ، وَرُفِعَ الحَرَجُ؛ لقولِهِ تَعَالَى: **{رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}**(2)

قَالَ تَعَالَى: ((**قَدْ فَعَلْتُ**)).

وَمِن الخَطَأِ: قَتْلُ النفسِ المعصومةِ خَطَأً، فَلا يُقْتَلُ بذلكَ؛ لأنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذلكَ، وَلوْ قَصَدَ ذلكَ لكانَت النفسُ بالنَّفْسِ، وَكذلكَ مَن اجْتَهَدَ في القِبْلَةِ وَأَخْطَأَ لم يُعِدْ، وَمَنْ أَخْطَأَ في الصلاةِ لِجَهْلِهِ لَمْ يُعِدْ، وَحَدِيثُ المسِيءِ، وَهوَ خَلاَّدُ بنُ رَافِعٍ الذي أَعَادَ الصلاةَ ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثمَّ عَلَّمَهُ النبيُّ ﷺ كَيْفِيَّةَ الصلاةِ كَامِلَةً، وَلمْ يَأْمُرْهُ بإعادةِ الصلواتِ المَاضِيَةِ.

(4) ((**النِّسْيَانُ**)): (**النسيانُ**) يُطْلَقُ على مَعْنَيَيْنِ:

---

(1) البقرة: 143

(2) البقرة:286

الأوَّلُ: الذُّهُولُ عَن الشيءِ.

الثاني: التركُ للشيءِ.

والمرادُ بهِ هنا: الذُّهُولُ عَن الشيءِ، أيْ: غَفْلَةُ القلبِ، فهذا لا يُؤَاخَذُ بهِ؛ لأنَّهُ لا قَصْدَ فيهِ. وَمِنْ ذلكَ مَنْ نَسِيَ وَاجباً مِن الصلاةِ سَجَدَ للسَّهْوِ وَصَحَّتْ صَلاتُهُ، وَمَنْ نَسِيَ سُنَّةً فَصَلاتُهُ صَحيحةٌ، وَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِياً في رمضانَ فَصَوْمُهُ صَحِيحٌ، وَمَنْ نَسِيَ صلاةً فَلْيُصَلِّهَا مَتَى ذَكَرَهَا.

(5) ((وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)): الإكراهُ: هوَ إِلْزَامُ الشخصِ بما لا يُرِيدُ، وَهوَ مِنْ مَوَانِعِ التكليفِ.

فمَنْ أُكْرِهَ على الكُفْرِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ فلا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَمنْ أُكْرِهَ على تَرْكِ وَاجِبٍ فلا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَيَقْضِي إذا زَالَ الإكراهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ الحَجَّاجِ بنِ عِلاطٍ الذي قَدِمَ مَكَّةَ عَامَ خَيْبَرَ، وَقالَ لأهلِ مَكَّةَ: إنَّ اليهودَ انْتَصَرُوا على الرسولِ ﷺ، وَأَرَادَ بذلكَ أَخْذَ مَالِهِ فَأَخَذَ مَالَهُ كُلَّهُ، وَأَخْبَرَ العبَّاسَ بِنَصْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺوَطَلَبَ منهُ ألاَّ يُخْبِرَ بذلكَ إلاَّ بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ.

فَائِدَةٌ:

مَوانِعُ التَّكْلِيفِ ثلاثةٌ:

1- الجهلُ، وَضِدُّهُ العِلْمُ. وَدَلِيلُهُ حَدِيثُ المسِيءِ صَلاتَهُ.

2- النِّسْيَانُ، وَضِدُّهُ التَّذْكِيرُ وَالقصدُ. وَدَلِيلُهُ حَدِيثُ: **((مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا))**.

3- الإكْرَاهُ، وَضِدُّهُ الاختيارُ، وَدَلِيلُهُ قولُ اللهِ تَعَالَى: **{إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}**(1)

---

(1) النحل:106

الْحَدِيث الأربعون

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبَيَّ فَقَالَ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُوْلُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" (1)

موضوعُ الحديثِ: حقيقةُ الدُّنيا.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

كم مِن مكلَّفٍ وَقَفَت الدُّنيَا عائقًا في طريقِهِ مِن الالتزامِ بأوامرِ الدَّيانِ، وكم مِن مكلَّفٍ نفذَ حبُّ الدُّنيا إلَى قلبِهِ فأصبحَ أسيرًا لها ولأهلِهَا، وكم مِن مكلَّفٍ باعَ دينَهُ وضميرَهُ وأمَّتَهُ بسببِهَا، لذلك بيَّنَ رسولُ الإسلامِ ﷺ كيفَ يَنْبَغِي للمكلَّفِ أن يكونَ فيها، حتَّى يجتازَ هذه الدُّنيا بسلامٍ إلَى دارِ السَّلامِ.

فهذا الحديثُ أصلٌ في الزُّهدِ في الدُّنيا واحتقارِهَا، والقناعةِ منها بالقليلِ الَّذي يُبَلِّغُ للآخرةِ.

الشَّرحُ :

(**أَخَذَ**) أيْ: أَمْسَكَ وَوَضَعَ يَدَهُ للتَّنْبِيهِ على أَمْرٍ مُهِمٍّ.

(**مَنْكِبَيْ**): مُثَنَّى مَنْكِبٍ، وَالمِنْكِبُ: هوَ مُجْتَمَعُ رأسِ العَضُدِ وَالكَتِفِ. وَسُمِّيَ بِهِ؛ لأَنَّهُ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ.

---

(1) رواه البُخَارِيّ.

(6) ((**كأنَّكَ غَرِيبٌ**)) أيْ: مِثْلُ الغريبِ، وَالغريبُ هوَ البعيدُ عَنْ وَطَنِهِ وَعنْ أَهْلِهِ، وَالمرادُ أيْ: كَمَنْ لَمْ يُقِمْ فِي بَلَدِهِ، فهوَ مَشْغُولُ البالِ بِوَطَنِهِ (الآخرةِ) وَبِأَهْلِهِ (أَهْلِهِ فِي الآخرةِ)، وَليسَ مَعَهُ مِن الزادِ إلاَّ بِمِقْدَارِ حَاجَتِهِ، وَهوَ رجلٌ مُعْرِضٌ عَن الدُّنْيَا مُتَقَلِّلٌ مِنْهَا.

(7)((**أو عَابِرُ سَبِيلٍ**)): (أَوْ) بِمَعْنَى بَلْ، فَهِيَ للإضرابِ وَلَيْسَتْ للتَّخْيِيرِ.

وَعابِرُ السبيلِ: هوَ المسافرُ الذي يَرْحَلُ كُلَّ يَوْمٍ مَرْحَلَةً لِيَصِلَ مَقْصُودَهُ، وَنحنُ فِي سَفَرٍ إلى الآخرةِ.

وَوَجْهُ الشبهِ: أنَّ المقِيمَ قدْ يَرْكَنُ إلى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، وَالمسافرُ بِعَكْسِ ذلكَ لِبُعْدِهِ عَنْهُمْ.

وَالمسَافِرُ لا يَأْخُذُ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ إلاَّ الشيءَ الضروريَّ، وَالمسْلِمُ لا يَأْخُذُ إلى الآخرةِ إلاَّ العملَ الصالحَ.

وَالمسَافِرُ لا يَرَى الطريقَ هَدَفاً وَغَايَةً، وَلكنْ يَرَاهُ سَبِيلاً وَمَعْبَراً، وَكذلكَ المسْلِمُ يَرَى الدُّنيا كذلكَ.

وَالمسَافِرُ يَشْعُرُ فِي كلِّ لحظةٍ أَنَّهُ يَبْتَعِدُ عَن الانطلاقةِ وَيَقْتَرِبُ مِن النهايَةِ، وَكذلكَ المسْلِمُ يَبْتَعِدُ عَن الدُّنيا وَيَقْتَرِبُ مِن الآخرةِ.

وَالمسَافِرُ يَتَزَوَّدُ مِن المحَطَّاتِ، وَالمسْلِمُ كَذَلِكَ.

(**وإذا أَمْسَيْتَ**): أيْ إذا دَخَلْتَ فِي المساءِ، وَهوَ مِن الزَّوَالِ إلى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ.

(**إذا أَصْبَحْتَ**) أيْ: إذا دَخَلْتَ فِي الصباحِ، وَهوَ مِنْ نصفِ اللَّيْلِ إلى الزَّوَالِ.

والمرَادُ: كُنْ مُسْتَعِدًّا للموتِ في كلِّ لحظةٍ؛ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي مَتَى يَكُونُ؛ إِذْ هوَ مِنْ عِلْمِ الغيبِ الذي لا يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، وَالواجبُ الاستعدادُ لهُ، قَالَ تَعَالَى: **{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ}**(1)

وَقدْ أُمِرْنَا أَنْ نُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهِ، قَالَ ﷺ: ((**أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ؛ الْمَوْتِ**)).

قَالَ بعضُ السَّلَفِ:

(لَوْ قِيلَ: القِيَامَةُ يَوْمُ غَدٍ، لَمْ أَجِدْ للعَمَلِ الصالحِ مَزِيداً).

(**وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ**) أيْ: خُذْ مِنْ سَلامَتِكَ لِمَرَضِكَ، فَاغْتَنِم الصِّحَّةَ حتَّى يُكْتَبَ لَكَ حالَ المرضِ ما كُنْتَ تَعْمَلُهُ حالَ الصحَّةِ، وَمِثْلُهُ اغْتَنِمْ خَمْساً قبلَ خَمْسٍ... منها صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، فالصِّحَّةُ قُوَّةٌ وَتَمَكُّنٌ مِن العملِ، وَالمرَضُ ضَعْفٌ وَعَدَمُ تَمَكُّنٍ.

(**ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**) أيْ: تَزَوَّدْ بالعملِ الصالحِ حتَّى تَجِدَهُ أَمَامَكَ؛ لأنَّ الدُّنيا دارُ عَمَلٍ وَالآخرةَ دارُ جزاءٍ، الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالآخرةَ دَارُ مَقَرٍّ، الدُّنيا دَارُ زَرْعٍ وَالآخرةَ دَارُ حَصَادٍ.

قَالَ عَلِيٌّ: (إِنَّ الدُّنيا قَد ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالآخرةَ قد ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، وَلكلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أبناءِ الآخرةِ وَلا تَكُونُوا مِنْ أبناءِ الدُّنيا؛ فإِنَّ اليومَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلا عَمَلَ).

وَقالَ أحدُ السلفِ:

(العقلاءُ ثلاثةٌ: مَنْ أَرْضَى رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ، وَمَن اسْتَعَدَّ لقَبْرِهِ قبلَ أنْ يَنْزِلَهُ، وَمَنْ تَرَكَ الدُّنيا قبلَ أنْ تَتْرُكَهُ).

---

(1) الجمعة

فالدُّنيا دارُ عَمَلٍ،**{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}**(1)وَيَصْحَبُ الإِنسانَ إِلى قبرِهِ ثلاثةٌ، فلا يَبْقَى مَعَهُ إِلاَّ العملُ. وَيَأْتِي العملُ للعبدِ في قبرِهِ على صُورَةِ رجلٍ. وَالحياةُ عملٌ وَالموتُ جزاءٌ.

(1) الزَّلْزَلَة:7، 8

الْحَدِيث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِيْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بنِ عمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَيُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ" (1)

عبدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ العَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ القُرَشِيُّ، الزَّاهِدُ العَابِدُ المكْثِرُ مِنَ الحديثِ، الجامِعُ بينَ العِلْمِ بالتَّوْرَاةِ والقُرْآنِ وغيرِهما، وَأَحَدُ العَبَادِلَةِ الفُقَهَاءِ، مَاتَ بِمِصْرَ، وَقِيلَ: بِمَكَّةَ، وقيلَ: بالطَّائِفِ، وقيلَ: بِفِلَسْطِينَ، وَرَجَّحَ ابنُ حَجَرٍ أَنَّهُ مَاتَ بالطَّائِفِ في ذِي الحِجَّةِ لَيَالِي الحَرَّةِ عَلى الأَصَحِّ عَنِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

موضوعُ الحديثِ: العملُ بالسُّنَّةِ.

هذا الحديث مع وجازته يصلح أن يقال فيه: إنه كل الإسلام؛ لإفادته أن من كان هواه تبعًا لجميع ما جاء به النبي ﷺفهو المؤمن الكامل، ومن أعرض عن جميع ما جاء به ومنه الإيمان فهو كافر(2)

قال الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الْحَدِيثعلى وجازته واختصاره من الجوامع لهذه الأربعين وغيرها من السنة(3)

قال الشبشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: هو حديث عظيم نافع وجيز، جامع لأفراد الشريعة (4)

(1) حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.

(2) الجواهر اللؤلؤية شرح الأربعين النَّووِيّة (367).

(3) التعيين في شرح الأربعين، للطوفي (331).

(4) الجواهر البهية (256).

الشَّرحُ :

(1)((**لا يُؤْمِنُ**)): (**لا**) نافيةٌ، وَالمرادُ نفيُ الإيمانِ الحقيقيِّ وَالإيمانِ الصادقِ؛ أيْ: لا يَتَحَقَّقُ الإيمانُ.

(2) ((**أَحَدُكُمْ**)): أيْ أحدُ أُمَّةِ الإجابةِ، فهوَ خطابٌ لِمَنْ يَنْتَفِعُ بالخِطَابِ، وَتذكيرٌ لِمَنْ يَنْتَفِعُ بالتذكيرِ.

((**هَوَاهُ**)): هُوَ ما تَهْوَاهُ النفسُ وَتَمِيلُ لهُ.

والهوَى بغيرِ الشرعِ مَذْمُومٌ؛ لأنَّ الميزانَ يَخِفُّ بهِ، وَيَهْوِي بالإنسانِ على الهاويَةِ، وَيَضِلُّ بهِ عَنْ سبيلِ اللهِ، وَيَتَّبِعُ الشيطانَ، وَهوَ الذي يَسُدُّ منافذَ الخيرِ، وَيَفْتَحُ منافذَ الشرِّ، وَعواقبُهُ وَخِيمةٌ.

وَقدْ حَذَّرَ اللهُ مِن اتِّبَاعِ الهوَى، وَيقولُ تَعَالَى: **{يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ}**(1)

وَبَيَّنَ تَعَالَى عَوَاقِبَهُ فَقَالَ: **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}**(2)

وَرَفَعَ مكانةَ مَنْ خَالَفَ هواهُ وَجعلَ مَصِيرَهُ الجَنَّةَ، قَالَ تَعَالَى: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}**(3)

---

(1) ص:26

(2) الجاثية:23

(3) النازعات:40،41

(3) ((**لِمَا جِئْتُ بِهِ**)): أيْ ما أُرْسِلْتُ بهِ مِن القرآنِ وَالسُّنَّةِ، فهما المرْجِعُ وَإليهما الاحْتِكَامُ؛ لأنَّهُما مَصْدَرَا الشريعةِ؛ لأنَّهُما شَمِلا الدينَ وَشَمِلا مصالحَ العبادِ.

قَالَ تَعَالَى: **{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}**(1)

وَيقولُ ﷺ: ((**كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى**))، **قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى دُخُولَ الجنَّةِ؟ قَالَ: ((مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فقدْ أَبَى))**.

(1) النساء: 65

الْحَدِيث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: "يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَ تُشْرِك بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً" (1)

موضوعُ الحديثِ: أسبابُ المغفرةِ.

مَنْزِلَةُ الحديثِ:

الحديثُ عظيمُ الشَّأنِ؛ لأنَّهُ دلَّ علَى عظمِ شأنِ التَّوحيدِ، وعظمِ الأجرِ الَّذي أعدَّهُ اللهُ للموحِّدِينَ، كما دلَّ علَى سعةِ مغفرةِ اللهِ لعبادِهِ.

كما فيهِ ترغيبٌ عظيمٌ بالاستغفارِ والتَّوبةِ، والإنابةِ إليهِ سبحانَهُ وتَعالَى.

الشَّرحُ :

((**يا ابنَ آدمَ**)) : المرادُ بهِ الإنسانُ المطْلَقُ، الذي يَشْمَلُ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى.

وَخَصَّ الذَّكَرَ مِنْ بابِ التغليبِ، وَإلاَّ فإنَّهُ يَشْمَلُ النساءَ وَالجِنَّ، وَآدَمُ هوَ أبو البشرِ، سُمِّيَ آدَمَ؛ لأنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الأرضِ.

---

(1) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ.

(1) ((**إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ**)): هذا السببُ الأوَّلُ مِنْ أسبابِ المغفرةِ: وَهوَ الدعاءُ، وَقدْ قَالَ تَعَالَى: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}** (1)

وَللدَّاعِي إِحْدَى ثلاثٍ:

إِمَّا الإِجابةُ في الحالِ.

وَإِمَّا الادِّخَارُ ليومِ القيامةِ.

وَإِمَّا دَفْعُ ضُرٍّ بِسَبَبِهَا.

وَيَجِبُ مُرَاعَاةُ أسبابِ الإِجابةِ وَالحَذَرُ مِن الموانعِ.

وَقدْ سَبَقَ بَيَانُهَا في الحديثِ العاشرِ.

((**لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السماءِ**)): هذا السببُ الثاني: وَهوَ الاستغفارُ.

وَ(**عَنَانُ السماءِ**): أي: السَّحابُ.

وَالاستغفارُ: طَلَبُ المغفرةِ، قَالَ تَعَالَى: **{وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**(2)

ولا يَهْلَكُ معَ الاستغفارِ أَحَدٌ.

وَالاستغفارُ أَمْنٌ لهذهِ الأمَّةِ مِن العذابِ، قَالَ تَعَالَى: **{وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}** (3)

---

(1) غافر:60

(2) البقرة:199

(3) الأنفال:33

وهوَ خيرُ ما تُخْتَمُ بهِ الأعمالُ، وَخيرُ ما تُخْتَمُ بهِ الأعمارُ، وَخيرُ ما تُخْتَمُ بهِ المجالسُ. أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بهِ، وَأَمَرَ بهِ رسولُهُ ﷺ، وَكانَ يَسْتَغْفِرُ في اليومِ أكثرَ مِنْ مِائةِ مَرَّةٍ، وَيَعُدُّ لَهُ الصحابةُ في المجلسِ الواحدِ مِن الاستغفارِ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَالاستغفارُ دَوَاءٌ للفقرِ وَللعُقْمِ وَللجَرَبِ، قالَ تَعَالَى: **{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً *وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً}**(1)

وَفي الحديثِ القُدُسِيِّ يَقُولُ تَعَالَى: ((**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**...)).

وفوائدُ الاستغفارِ تَفُوقُ الحصرَ.

((**يا ابنَ آدمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ**....)): **القُرَابُ**: أيْ مِلْءُ الأرضِ ذُنُوباً.

وَهذا السببُ الثالثُ، وَهوَ التوحيدُ الذي يَقْتَضِي صَرْفَ العبادةِ للهِ خالصةً، وَالاقْتِدَاءَ بالرسولِ ﷺ، وَالسلامةَ مِن الشركِ، وَالتصديقَ الجازمَ بوجودِ اللهِ وَبِرُبُوبِيَّتِهِ وَبِأُلُوهِيَّتِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ الواحِدُ الذي لا شَرِيكَ لهُ.

(1) نوح:10-12

الخاتمة

فقد تم والحمد لله على توفيقه شرح كتاب الأربعين النووية، توخينا فيه الإرشادات المطلوبة بأن يكون جامعًا بين الإطالة والإيجاز، ومناسبًا لمراحل الصغار، وبأسلوب يذكر المتعلم ويعلم المبتدئ، احتوى على موضوع الحديث وبيان أهميته، وشرح أهم الألفاظ التي تحتاج إلى شرح وبيان، ثم أهم ما يستنبط منه من الفوائد، راجين أن ينفع الله سبحانه وتعالى به، وأن يعلي به الدرجات والمقامات، ويكفر الخطايا والزلات، وما كان به من صواب فهذا توفيق من الله ومنّه، وما كان فيه غير ذلك فنسأله العفو عن التقصير والزلّة، ومن وجد خطأ، أو نقصًا فبدلنا عليه، فهذا من التعاون على البر والتقوى، ومقرب إلى المولى.

نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشيخ د. محمد احمد عبد الغني

انتهى تحريره في 28/ شعبان عام 1447

الفهرس

الرقم	الحديث	الصفحة
1	حديث:إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	3
2	حديث: مجيء جبريل ليعلم المسلمين أمر دينهم	17
3	حديث: بني الإسلام على خمس	46
4	حديث: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه	50
5	حديث: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	56
6	حديث: إن الحلال بين وإن الحرام بين	64
7	حديث: الدين النصيحة	70
8	حديث: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله	78
9	حديث: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	83
10	حديث: إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا	90
11	حديث: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك	94
12	حديث: من حسن إسلام المرء	99
13	حديث: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	102
14	حديث: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث	105
15	حديث: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا	108
16	حديث: لا تغضب	116
17	حديث: إن الله كتب الإحسان على كل شيء	119

18	حديث: اتق الله حيثما كنت	122
19	حديث: احفظ الله يحفظك	126
20	حديث: إذا لم تستح فاصنع ما شئت	138
21	حديث: قل آمنت بالله ثم استقم	143
22	حديث: أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان	145
23	حديث: الطهور شطر الإيمان	149
24	حديث: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	155
25	حديث: ذهب أهل الدثور بالأجور	161
26	حديث: كل سلامى من الناس عليه صدقة	166
27	حديث: البر حسن الخلق	170
28	حديث: أوصيكم بتقوى الله	176
29	حديث: تعبد الله لا تشرك به شيئا	183
30	حديث: إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها	190
31	حديث: ازهد في الدنيا يحبك الله	192
32	حديث: لا ضرر ولا ضرار	198
33	حديث: البينة على المدعي واليمين على من أنكر	203
34	حديث: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	211
35	حديث: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا	216
36	حديث: من نفس عن مسلم كربة	222
37	حديث: إن الله كتب الحسنات والسيئات	226

38	حديث: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب	231
39	حديث: إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان	235
40	حديث: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل	238
41	حديث: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به	242
42	حديث: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني	245
	الخاتمة	248
	الفهرس	249